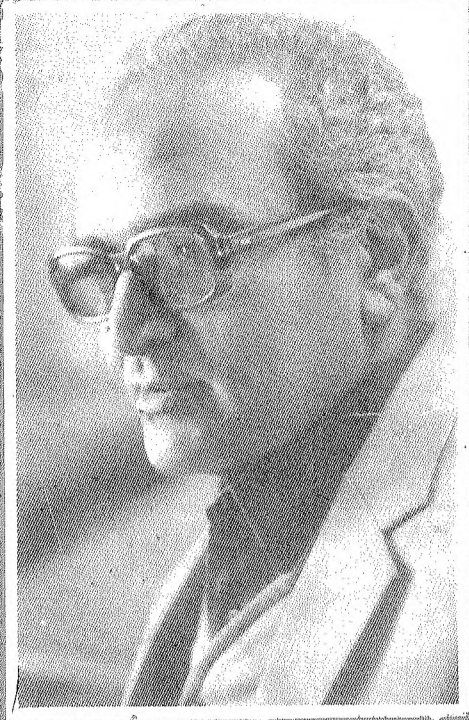
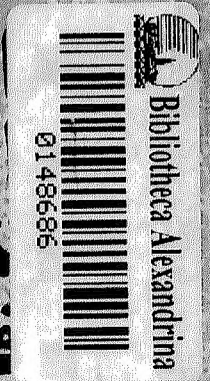


# مجموعه - أبيض طويلاً - صالح الكمال

١



الوليف  
الأيام التالية  
خمس جرائد لم تقرأ  
فوستوك يصل إلى القمر





# الأعمال الكاملة

---

١

## مجيد طوبيا

---

■ الوليف

■ الأيام التالية

■ خمس جرائد لم تُقرأ

■ فوستوك يصل إلى القمر

قصص قصيرة

---



١٩٩٢







---

الولي

---



## الوليف

### ● العضلات :

قرب مصنع السكر وعلى شاطئ التربة والشمس تميل الى المغيب جلس الصبية يتسامرون ، ليس بينهم غير بنت واحدة وهى نرجس ، تنصت ولا تجرؤ على المشاركة فى الكلام ، اذ كان الحديث يدور حول عضلات الرياضيين التى تبرز لهم من المران فى الدراعين والساقين وفى جانبى الصدر .

ضحك الولد ذو السنة المكسورة مشمرا عن كفه مثنيا ذراعه اليمنى زاعما ان فيها عضلات قوية ، وفعل مثله الجالس الى يساره ثم ثلاثة آخرون وكذلك اقصرهم ، فتعالت الضحكات الساخرة المنكرة .. وبعد ان سكتوا قال بدر - أطولهم - وهو يحملق فى عيونهم ان له عضلات كبيرة فى صدره وساعديه ، فسكتوا على مضض ولم يجرؤ أحدهم على الاعتراض ، عدا منيدور الذى تحسس موضع هذه العضلات وقبل ان يعلن تكذيبه لوجودها كانت نرجس قد شمرت بن كعها لترىهم ما لديها ، فضحكوا منها لأن البنات لا تنبت لهن عضلات .

لم يعجب الحال مندورا ، نهض وخلع جلبابه وقفز الى التربة سابحا الى الضفة الأخرى ، وتبعه اثنان آخران ، ثم نرجس التي لحقت بهم فرأى مندور في صدرها بروزين خفيفين ظن انهما عضلات ، وغازله الا يملك مثلها ، فوجد كفه فجأة تجلب شعرها بسرعة وفي عنف صامت ، فلما تعثرت تركها تقع وخرج يرتدى جلبابه وانصرف والبنت تبكى وهى لا تفهم لماذا فعل بها ذلك !

### ● الكباش :

مضى عابرا شريط القطار مخترقا أرض الكلا قرب أبراج الكهرباء الشاهقة . عند اصنام الفراعنة رأى ماعز الفجر وكباشهم فظل يلعبها ويحاورها حتى شبع لها ، فعاد الى داره مع أول الليل متوقعا لوم أمه لاتساع ملابسه .

وقبل ان ينام تأمل السماء من نافذة الغرفة ، اختار أنصع النجوم وقال هذه نجمتى . . وفى اليوم التالى كان قد نسي ما فعله مع نرجس ، لكنها لم تكن قد نسيت اذ جفلت مبتعدة عنه مقتربة من بدر ، ولم يعجبه هذا ، وفكر فى السباحة لكنه سمع قطار القصب الطويل يقترب بطيئا كعادته ، فجرى نحوه وما أن بدأت عرباته فى المرور امامه حتى تسلق الرابعة وصعد فوق حمولتها ، رآه بدر فلحق به وظلا يتسابقان فوق القصب فى عكس سير القطار قافزين من عربة الى أخرى حتى وصلوا الى الأخيرة فسحب كل منهما عودا ووثبا على الأرض .

كسر مندور عوده نصفين وتقدم من نرجس يريد أن يهديها النصف الأسفل الأخطى مذاقا ، لكنها تراجعت بخائفة وقد برأت

نصف العود في يده كالعصا ، واتجهت الى بدر الذي قدم لها نصف عوده فاخذته .. نهرها مندور مفتاحا بحجة تمحكها في الاولاد وامرها بان تنصرف لتلعب مع البنات امثالها ، لكن بدر جذبها من يدها فجلست معه وراحا يمتصان القصب .. واعطاهما مندور ظهره وجلس يمص عوده والضفادع تنق من حولهم ، وبعد ان انتهى غسل كفيه في مياه التربة ومضى عائدا ، وفي طريقه تجاهل كباش الفجر وراح الى منزله راسا فلم تتسخ ملابسه ولم تؤذبه امه .. ثم استلقى على سريره يتأمل نجمته الناصعة ، وبعد ان نام جاءت امه واغلقت النافذة خوفا عليه من برد الليل .

## ● الثعبان :

في الصباح طلبت منه والدته ان يطعم الطيور فوق سطح الدار ، صعد اليها والقي فولا وذرة للدجاج ، وقمحا مدشوشا للكتاكيت وكان يحب ان يطعمها من كفه ، وكان يعرف عددها فاكتشف نقص احداها ، بحث عنه في داخل الأقفاص وفي اركان السطح ولم يجده ظن ان الحداة قد خطفته لكنه سمع صوصة خافتة عند السور القبلي ، ووجد الكتكوت هناك ملتصقا بطوبة يجاهد في الابتعاد دون جدوى ! .. اقترب منه فاكتشف ان جناحه الأيسر محشور في أحد الشقوق ، مد يده يجذبه وأدهشه ان يجد مقاومة لجذبه ، شدد الجذب فانسحب الكتكوت معه مسافة فاذا به يفاجأ بثعبان ممسكا بالجناح وكان يحاول جر الكتكوت الى جحره ! .

بسرعة التقط مندور قطعة خشب هبط بها فوق راس الثعبان - وكان قد رأى رجلا يفعل مثل هذا مع ثعبان آخر -

وظل بضبط ويشدد الضبط حتى كف الثعبان عن الحركة ..  
وعندئذ فحص كتكوته فوجده قد مات ، وأحزنه موته .. لكنه  
رفع الثعبان متديا بنصف جسده فوق الخشبة وهبط به  
الى امه !

صعقت المرأة وأخذت تتحسس جسده ملهوفة ، وهي  
تسأله ان كان الثعبان قد لدغه في قدمه أو في أى مكان آخر ونفى  
ذلك في هدوء الواثق ، فقبلته في كل وجهه والتقطت الثعبان  
وألقت به من النافذة الى الحارة .. تساءلت الجارات فتفاخرت  
امامهن بأن مندور الشجاع قد قتل الثعبان دون خوف وتقلت  
الجارات القريبات الحكاية الى الجارات البعيدات .. ومن  
هذا الاهتمام ادرك الصبي أنه قد أتى بعمل مدهش ، فانتعش  
سعيدا مزهوا ، وهبط الى الحارة مختالا ليجد الجارة بهانة  
تخطو فوق ثعبانه رائحة آتية عدة مرات ! .. تعجب ونظر الى  
امه متسائلا فلم يجدها بالنافذة ، صعد اليها ووجدها بالمطبخ  
وسألها عن سلوك الجارة بهانة ، قالت :

– لأن المسكينة عاقر .

نظر محتارا .. قالت :

– العاقر هي المرأة التي لا تلد .

– وهل خطوها هذا بجملها تلد ؟ !

– هكذا قال الاسلاف .

ولم يكن يعرف ان لثعبانه كل هذه القوة ، واراد الانصراف  
لكن الأم احتجزته حتى أشعلت القوالب واطلقت البخور ، وطلبت  
منه ان يخطو من فوقه سبع مرات ، هتف معترضا :

— لكنى لا أريد أن ألد .

### ضحكت :

— الثعبان ، والفرعون أيضا لجلب الحبل ، أما هذه  
البخور فهي ترد الحسد .

### ● الشجاع :

طاوعها على مضض كى ينطلق الى أصحابه ، شاعرا بقوة  
غير عادية وبإقدام لا حد له وبانه قادر على طرح أقوى الصبية  
أرضا . . وعند مصنع السكر لم يجدهم وأدرك انه وصل  
مبكرا ، فأخذ يتأمل أبراج الكهرباء الشاهقة واللمبات الحمراء  
المضاء ليلا ونهارا فوق قممها ، ووعد نفسه بأن يطلب من أبيه  
لمبة مثلها يركبها فوق سريره .

ثم تذكر ثعبانه فركض عائدا الى الحارة باحثا عنه وكان  
يريد أن يريه لأقرانه ، لكنه لم يجده وعلم أن سيد الاسكافي قد  
سلخه وأخذ جلده وألقى بالباقي للقطة . . وفوق باب الاسكافي  
وجد الجلد مشدودا بأربعة مسامير ، فشعر بالأسى وسار مطرقا  
لكنه تنبه الى أن الجلد هو خير دليل على عمله الخارق ، فشد  
من طوله وأخذ شهيقا عميقا ورفع رأسه وسار يذق الأرض  
بقوة ، الى أن صادفه ثلاثة من أصحابه ثم لحق بهم عند أطراف  
البلدة اثنان آخران ، وبدأ الشمل يكتمل ، ووجدهم جميعا  
يعرفون .

عندما عبروا من جوار ماعز الفجر هجم فجأة على أكبر  
الكباش والقاء أرضا ، غير أن الكبش نهض بسرعة وكاد أن ينطحه

لولا أنه تغاداه . وعند مصنع السكر انضم اليهم بدر ثم نرجس  
التي رمت مندور طوبلا ، وطلبوا منه أن يحكى الواقعة بالتفصيل  
فحكاهم لهم وهم مشدوهين مهورين بفعلته ، وسألوه عن طول  
الثعبان فبالغ فيه .. وسأله الولد ذو السنة المكسورة من كثرة  
اكل الجلاب :

- ألم تخف ؟ !

**قال :**

- لم أخف .

شعر بدر بالفيرة وقال :

- أنا ايضا قتلت ثعبانا .

لكن احدا لم يعرفه التفاتا ، وترحزت نرجس من جواره  
مقتربة من مندور ، وعندما شعر بها تكاد تلتصق به نظر اليها  
فابتسمت له لكنه لم يبتسم وان كان قد شعر بالراحة ..

**• الوليف :**

هبطت الشمس كثيرا وعلا نقيق الضفادع ، وقال صبي :  
ان جلد الثعبان يباع غالبا فتضابق مندور لفقدانه .. ولما دخل  
الليل انتقلوا الى الضوء الساقط من سور المصنع .

وقال صبي :

- سمعت عمى ذات مرة يقول لأبى ان لكل ثعبان وليفا .

- وليف ؟ !

- وليف ينتقم له اذا قتله انسان .

نظروا لمندور ، ارتبك لكنه سأل :



— وكيف يعرف الوليف هذا الانسان ما دام لم يره ؟ !

— قال عمى ان الوليف يتعرف على القببات ولو بعد سنوات . وحكى عن وليف ظل يتشمم ثلاثة اشخاص نائمين فى غرفة واحدة دون أن يمسهم بأذى ، حتى وصل الى الرابع وكان هو القاتل فلدغه وهرب .

برقت عيون الصبية واقشعرت ابدانهم ، نظرت نرجس الى مندور الذى ظل صامتا .. وفجأة تلفت أحدهم محمقا الى بقعة مظلمة ، وارتفع من بعيد عواء طويل .. ثم روى بدن ما سمعه من أن فم الشعبان له نابان مثقوبان كأبرة الحقنة يدخل السم منهما الى جسد اللدوغ فيموت .. ورغم ضجيج المصنع الا أنهم سمعوا حفيفا خافتا صادرا من الحشائش القريبة ، فحملقوا جميعهم وكنموا أنفاسهم ، وبعد برهة رأوا ضفدعا يقفز بين العشب فاسترخوا لكن التوتر ظل يسيطر .. وتساءل مندور فى داخله ان كان بإمكان وليف ثعبانه أن يكتشف مكانه وهو بعيد عن الدار ؟ !

حدث حفيف آخر فوجموا متوجسين ثم قفز صبي من مكانه بغتة ، وهبوا جميعهم أيضا والتصقت البنت بمندور وكأنه هو الكفيل بحمايتها من الشعبابين .. وانفضت الجلسة وهروا عائدين الى ديارهم بخطوات خائفة ليتلأ مندور عنهم فوق الطريق الأسفلتى .. فلما وصل الى داره وجد نرجس تحوم ، رآته فجاءت وتمسحت فيه بابتسامة ودودة ، لكنه لم يكن رائقا فتجاهلها صاعدا ، ليستقبله والده مهللا فى أعزاز :

— هذا هو ولدى الهمام مندور .

## ● الإنكماش :

الا ان الصبي سآله :

— احقا ان لكل ثعبان وليفا ياخذ بثآره ؟

بهت الأب واخذ يطمئن ولده منكرا وجود الوليف ، لكن الأم هبت مرتجفة معيدة اشعال القوالح ثم طافت ارجاء الدار ببخور الشيخ النفاذة .. ومع العشاء سآلها مندور عن السر في هذا البخور ، قالت :

— لان رائحة الشيخ تطرد الثعابين .

وعلى الفور عاد الخوف يملأ قلبه ، اذن فحكاية الوليف حقيقة !!

ولم يتناول عشاءه جيدا .. وعندما استلقى على السرير لم ينظر الى نجمة السماء وكانت اقل نصوعا بسبب اتساع القمر ، بل ظل محمقا الى حواف النافذة قلقا من أن يأتيه الوليف منها ، فاتحا عينيه على آخرهما مقاوما النوم .. لكن التعاس غلبه وغفلت عيناه وقتا ثم سرعان ما هب مدعورا صارخا وقد شعر بشيء أملس يلمسه ، وثب الى الأرض وظل يتقافز في مكانه مرعوبا .

اتته امه ملهوفة واضاءت النور واخذته في حضنها فشعرت بجميع جسده يرتعش ، وجاءه والده وظل يقنعه بان ما شعر به ليس الا توهما ، وكى يطمئنه فحض امامه كل مكان في الغرفة ،

لكن الخوف أزاغ عيني الصبي ، ولم تجد معه اوصاف الشجاعة  
والجراة ولا اغلاق شيش النافذة وزجاجها . . فزاد حزن الأب  
وركبه الكمد ، وزاد جزع الأم وقررت ان تبينه الى جوارها ،  
فنام الأب في سرير الابن ، وذهب مندور الى سرير امه حيث  
تكور منكمشا في حضنها ، وهى تربت عليه فى حنان شاعرة  
برجفات جسده المنكمش .

## اغماض العين

### ١ - الغربال

ولما كان اليوم السابع - وفيه تنائرت بللورات الملح في  
الهواء ، تحرق عين الحسود - جاءوا بالغربال فوق الأرض ،  
وفوق الغربال فرشوا حبات الفول لتسد الثقوب بين الأوتار ،  
ومن فوق الفول نثروا حبات الأذرة الصفراء ، ومن فوقها القمح  
والأرز والشعير ، وقرب الحافة الدائرية بعض الحصى في أغلفة  
براقة من لون الذهب ولون الفضة .

خرجت أمى من غرفتها ، بالوليد في حضنها ، حافية  
القدمين ، ناعمة الخطوة ، في رائحة عطرية وثوب جميل ، ينساب  
شعرها في خصلات سوداء تاهت فيها الشعرات البيض القليلة .  
اهتزت كل اللسنة في الأفواه ، بالدعاء ، بالزغاريد ، نساء  
وبنات وبعض الرجال . . ضحك أبى . احمر وجه أمى فتحول  
لونه القمحي الى لون نحاسي ، ضوى تحت نور الصباح  
فاختفت كل التجاعيد : وصار وجهها اخذا في جمال نادر ،  
هاديء قرير كوجه مريم في صور المسيحيين .

بين هالة الحبوب والحبوى تركت أمى أخى الوليد فوق  
الغريبال ، لم تتركه بنظراتها .. واذا ذلك دقت امرأة بالهون  
النحاسى ، ونقرت فتاة بغطاى وعاءين ، وارتفعت الزغاريد من  
كل الأفواه ، وصار الصوت صخباً وضجيجاً .

بعد أن تنبه الوليد الى كل ذلك ، ونظر الى الهون والى  
النساء والبنات الأبنكار ، وضع أصبعه فى فمه وغرغى برهة ،  
وصار يركل الهواء بقدميه . ثم فجأة ابتسم فابتسمت أمى ،  
وفجأة قطع ابتسامته فوجمت أمى وقطف لونها وحملت حولها ،  
وعلى الفور ركبها ذعر عظيم : كانت عيون النسوة تتسع  
مجدوبة فى الحاح الى الجسد الصغير ، حيث الوليد ملفوفاً فى  
بياض من حرير ، بطن قدميه فى رقة خديه ، بيضاوى الوجه ،  
مسحوب الدقن ، دقيق الفم صغير الأنف ، لكن عينيه واسعتان  
بشكل غير مألوف ، بأهداب طويلة سوداء وجفون تنسدل فى  
بطء ثم تتهادى منفرجة كاشفة عن دائرتين فى لون مبهم !!

نقلت المدرسة القصيرة مكانها عدة مرات ثم هتفت :  
- عجيبة عيونه عجيبة !! من هناك رايتها عسلىة ومن  
هنا أراها سوداء !

قالت الجارة ، وكانت أمى تنفر منها :

- ومن هنا بنية !!

قالت الجدة ولم يكن طقم الأسنان فى فمها :

- عيونه فيها من كل ذلك ، عجيبة هذا الولد !!

فقالت الجارة التى تنفر منها أمى :

- ولدت من الأطفال سبعة ، وأبدا لم أر مثل ذلك ،  
لا فيمن ولدت ولا فيمن رايت !!

تقلقت عينا أمى واسود وجهها . أخرجت نظارتها من  
جيبها وتبتتها ، دقت النظر الى الوليد ثم الى عيون النسوة ،  
ونوقفت على عيني الجارة وصرخت :

- الملح . انثروا الملح .

اعترضت الجدة :

- ليس الآن .

ثم حملت الوليد فوق غريال الحبوب ، من فوق كفيها ،  
ممدودة اليدين ، تسند حافته بذقنها . انحسرت الطرجة  
البرتقالية فبان شعرها الأبيض القصير . وكان وجهها خيوطا  
غائرة من حول الفم ومن حول العينين وفي الخدين والجبهة ،  
وشعيرات رهيقة نابثة تحت الأنف وفوق الدقن .

لكن أمى رأت عيون الجميع لا تفادى الطفل . ارتعش رأسها  
فبان كل تجاعيدها ورايت نور الصباح يلمع فوق شعراتها  
الببيض . عادت تصرخ :

- قلت الملح . أين الملح ؟ احرقوا به عين الحسود .

تناثرت البللورات في الهواء ، برقت تحت ضوء الشمس ،  
تساقطت فوق الرعوس وبين الأرجل ، اصطكت مع زجاج  
النافذة المفتوحة ، تطاير بعضه خارجا وسقط الى مياه النيل  
اسفل دارنا .

وبعد الملح أشعلوا الشموع الطويلة ، وطاف بها طابور  
الأطفال المنشدين من خلف الجدة ، هبطوا الى الطابق المعتم  
فتلألاً ، صعدوا الى سطح الدار فعاكس الهواء لهبها ، وبهت  
نورها في نور الشمس .. وذعر البط والدجاج ، ومدت الأوزة  
البیضاء عنقها وكاكت .

ساروا في محاذاة السور الشرقى ، فجاء تل المقطم من  
خلفهم ممتدا على الضفة الأخرى ، في بطن صخوره توجد قبور  
موتانا .. وتساقط الملح مرة ثانية الى النهر .

استداروا الى السور البحرى فأطلوا على حقل القصب  
الكبير الذى لم يعد به قصب ، والذي يتحول الى بيوت زاهية  
الألوان يسكنها الأثرياء وكبار الموظفين .

وبعد السور البحرى جاء السور الغربى ، ومن أسفله ديار  
الأهالى باهتة كالحة ، والشوارع ضيقة مكتظة تسير السيارات  
فيها بسرعة المشاة ، وفي أقصى كل ذلك الشريط الحديدى يحصر  
المدينة بينه وبين النيل .

ثم اتجهوا الى السور القبلى والبيوت تمتد في القدم ، الحى  
العتيق المتلاصق المتداخل ، وديار الأجداد القرييين تتساند  
بيوتهم ويتساقط الصف منها بتساقط احداها ، ومن بعدها  
أرض الكلا وخيام الفجر وأغنامهم ، ثم أصنام الفراعنة البعيدين،  
ياكل المساعز الكلا ثم يلهو قافزا فوق صخور المعبد .

طافوا السطح سبع مرات ، في انشاد مستمر ، وملأت  
حبات الملح أرض السطح فبرقت وتلألأت ، في البداية جرت

الطيور والتقطت بعضها ثم كفت عن ذلك ، وصاحت الأوزة  
البيضاء وصاح البط عند الأقدام بصوت مزعج ، واختلط كل  
ذلك مع انشاد الأطفال . وفي النهاية اطفأ الهواء كل الشموع .

وكان الوليد قد نام فتلقفته أمي وخبأته في صدرها ، ثم  
اختبأت به في غرفتها .. ورعت الجد الحاضرين وضابفتهم ،  
وأكلوا جميعا أرزا باللبن .

ثم حدث بعد انصرافهم ان خرجت أمي من الغرفة ،  
وأصرت على تبخير الدار .. كان صوتها جافا مرتعشا ، ومازال  
شحبها يزداد ووجهها يمتقع . قالت لأبي :

— هل لاحظت نظرات تلك الجارة اليه ؟؟

ضحك وقال ان هذا الكلام لا يليق بناظرة ووضعة  
الأطفال ! .. ومن فورها أعطته ظهرها متقدمة نحو باب الشرفة ،  
وقالت :

— دعك من مهنتي . هل نسيت الشوطة التي جاءت  
للأرناب علم اول ؟؟

نظرت الجارة الى الأرناب المديدة فوق السطح ، وهتفت :  
يا لكثرةم !! .. وبعد ذلك بأسبوع ماتت الأرنبة الجدة ، وفي  
الصباح التالي ماتت الأرنبة السوداء والأرنب الأبيض المبقع  
بالأسود ، ثم مرضت الأرنبة ذات اللون الأجرب والتي كنت أحبها  
وأطعمها كثيرا من يدي ، وماتت في المساء فالتقيتها الى النيسل  
( ووبخني ابي من أجل ذلك ) .. ولم تمض الا أيام حتى لم يكن



بالسطح عدا أربعة لحقتهم أمى بالسكين ، ورفضت أنا إن أذوق  
لحمها .. ومن يومها صارت أمى وجدتى تنفران من الجارة ،  
وتتشاءمان من زيارتها لنا .

قالت أمى :

— هل نسيت هذه الشوطة ؟ !

ولما سخر أبى من كل ذلك نهرته الجدة فى حدة ، وصارت  
تضم الشال البرتقالى من حول رأسها .

## ٢ — المناجاة

فى الفجر المبكر تصعد الشمس واهنة من خلف الجبل  
الصخرى ، وما أن تتركه بغدة امتار حتى تكون قد حمت  
واشتدت وزاد سطوعها ، وفور غروبها يدخل اليوم فى لحظات  
مبهمة من تداخل الليل على النهار ؟ ثم يقترب الجبل من السواد ،  
حتى يسيح تماما فى كل ما حوله ، ويأخذ لون السماء ولون  
الأرض ولون النهر ، الى أن يبرز القمر متسللا من ورائه فيحدد  
منحنيات قمته .

طلع القمر كامل الاستدارة ، بدرا شديد النضوع ، ففادرت  
جدتى الشرفة ، مؤمنة بأن اطالة القعود فى طلعه تصيب  
الانسان بلطفة فى العقل .

انارت اشعة البدر قمم الموجات بلألة فضية ، وصبغت  
جلباب والذى الأبيض بزرقة باهتة ، واذابت التجاعيد فى وجه  
أمى فعاد لون النعومة الى بشرتها ، وصار شعرها رماديا  
غامقا ، ولم تكن تشعر به أو بنا ، مشغولة بوليدها النائم فى

حجرها ، يفرغ في صوت علب ، فترعش له ساقها من تحته  
في هزات رتيبة .

وكان والدى هائما ووجهه شرقا الى جبل الضفة البعيدة .  
ركن سيجارته فوق سور الشرفة ، فأزاحها الهواء الى النيل  
( وسمعتها تنطفئ ) . كان الوقت فيضانا وفيه تملو مياه النيل  
فتغرق جزر التحاريق من وسطه ، وتقرب موجاته من رصيف  
الشارع ، وتظل تضرب جدار دارنا في حركة دعوب .

كنت مستلقيا فوق شلثة جدتي ارقب استدارة القمر  
وتناثر النجوم - يقظان نعلان - والسكون والصمت في كل  
مكان الا من نقيق الضفادع الرتيب ووشيش المريجات المتصل  
الخافت ، لذلك كنت اسمع مناجاة امي للرضيع ، في همسات  
غير مالوفة ، تلاقيه :

- ايها الابن الحبيب ، حبك في قلبي حار وعظيم ، انت  
شمس نهاري ودفئها ، بدر ليلي ونجومها ، انت مولدى الجديد ،  
خلصت حياتي من الظلم ، أنت نيلي ، ترويني .

وكانت حافة ثوبها تتحرك قريبة من الأرض صعودا وهبوطا  
في خفة مع هزة سافيا ، وكانت بهمس في ترتيل حنون :

- ايها الابن العزيز الذى لا شبيه له ، من أجلك ترقزق  
عصافير الفجر ، وتشدو البلابل عند العصر ، وتصمت الدنيا  
بعد الغروب ، أنت جميل بديع ، أدفات قلبي ، فصار لا ينبض  
الا من جمالك .

وكان نصف جذعها الأعلى حانيا فوقه ، وكان البدر يحيط  
راسها بهالة قمرية :

– أيها الابن الرضيع الذى به سررت ، جئتنى والمشيب  
يدخل شعرى ، وكنت أغلق رحمى وكنت أجفف ثدى – أيها  
الابن الذى لا مثيل لعينيه – وكنت نسيت الحمل والارضاع ..  
أنت فريد حتى فى موعد قدومك .

### ٣ – البخور

ليلة السبوع كان القمر فى نصف استدارته ، وفى صباحه  
التالى علق أمى أعلى باب الدار فردة حذاء طفل قديمة ؛  
قالت :

– كيما تخطو إلينا أقدام السعد .

وهز أبى كتفيه .. وجاءتها إحدى الجارات للزيارة وحيث  
المولود برغرودة طويلة . ابتسمت أمى فى غير ارتياح . وتحت  
الحاح الجارة احضرت لها الوليد لتقبله ، ولما أطالت النظر  
إليه اختطفته وأدخلته الغرفة .. ثم قامت – عقب انصراف  
المرأة – بإطلاق البخور وطافت بطبق الجمر فى غرفة الضيافة  
وفى غرفة النوم ، ثم أدارته من فوق الوليد سبع دورات .

وقبل الليلة التى كان القمر يستدير فيها علق بعض  
سنابل القمح أعلى الباب وقالت :

– وهذا يجلب الرزق والخير .

وجاءها ثلاث مدرسات للتهنئة . وكلهن يحملن بعض  
الهدايا : مع واحدة ملابس أطفال ، قبلته وقالت :

— جماله قلته !

ومع النانبة عابجة حلوى مزركشة الألوان . حملت مبهورة ،  
وهمست :

— هاتان عينا ساحر !!

والثالثة وضعت قرب بده لعبة تصدر أصواتا عالية  
وقالت :

— سوف يكون معبودا من البنات ، مرهوبا من الفتيان .  
فشكرتهن أمى على مضض ، وتحدثن عن مستوى التعليم  
الهابط وعن سفن الفضاء وغلاء المعيشة وأمور عديدة .

وتكررت الزيارات وتكرر تصاعد البخور ، ولما قال أبني  
انها ستتسبب في ارتفاع اسعاره ، تجاهلت المزحة وألحت الى  
ازدياد عدد الزائرات منذ يوم السبوع ، قالت بأن هذا لم  
يكن يحدث من قبل . دهش والدى وقال :

— لأنك ببساطة حديثة الولادة .. ومن قبل لم تكوني  
كذلك .

لم تفتنع . قال :

— والسبب أيضا أن معظمهن مدرسات تحت نظارتك .

قالت :

— انما السبب هو جمال المولود المدهش .

أصرت :

— سوف يحسدنه .

ضحك :

– يا لضيعة التعليم !!

ثم جاءت الليلة التى انتصف فيها القمر ، وفيها زارتنا الجارة التى تكرهها جدتى ولا تحبها أمى ، وجلست طويلا وشربت الشاي ، ثم طلبت احضار الوليد لالقاء نظرة اليه ، لكن أمى قالت فى هدوء انه فى بيت جده ( وكان من حسن حظها انه لم يبك فى مهده طوال مدة الزيارة ) .. ورغم ان الجارة لم تره الا ان البخور ملأ جو الدار .

وجاء ضيف مع زوجته – وكان ذلك قبل ان يصير القمر هلالا – ورحب بهما أبى ترحيبا شديدا ، بالمثل فعلت أمى .. وكانت جلسة ذكريات بينهم ، سخروا بعدها من كل الأجيال الجديدة ، ثم قالت المرأة وأظن ان اسمها هانم :

– سمعنا عن طفل تحكى عنه البلدة ، فجننا نبارك وجننا نمتع الأنظار .

فاهتز جلع أمى يمينا ويسارا تندب وتنوح فى همهمات غريبة .

وجمت مع الجميع ، وبتر أبى ضحكته . قالت :

– مرض المسكين ، أصابته عين .

الثفت أبى فى حدة . قالت :

– منذ الصباح لم يدخل فمه شيئا ، رافضا للأكل رافضا للرضاعة لا يمض الا فى أصبعه ، أصابته عين .

ثم أخذت تصف الأعراض التى ظهرت عليه ، وذكرت تفاصيل دقيقة وغريبة ، وكانت تتكلم فى حرارة وثقة ( لكنها حرصت على الا تدبر نظراتها نحوى او نحو أبى ) .

دعت الضيفة بالشفاء والصحة ، ورمت بالنار والدمار على  
كل حسود غدار ، وقبل أن تمضي وصفت بعض الطقوس ، قالت  
انها لمنع الحسد ، وبالفعل نفذتها امي رغم أن الطفل كان يكركر  
في صحة جيدة .

#### ٤ - الوحش

كلما تأكل القمر زاد تلاؤ النجوم من فوق سماء تزداد  
قتامة .

ومن برهة لأخرى تتجمع المياه المتسربة من مسام الفخار  
أسفل قعر القدرة ، وتكور ساقطة في قطرة صغيرة .

كنت مستلقيا فوق أرض الشرفة وقرب أذني حفيف ثوب  
امي يهتز في عصية ، وكان والدي حائقا من وسوستها ،  
فجلست صامتة لا تحادثه ، ولم تلاغ الطفل ، وانما داعبت شعر  
رأسه الخفيف وهي تهدده بهميمات منغمة ليسر بها كلام  
أو مناجاة ، لذلك بكى الطفل فخابلته بالهزات العصبية ، سكنت  
بفتة ثم عاد يبكي حتى نام ونهضت به الى فراشها .

وفي عودتها نهضت انا الى سريري ، وكل ظهري تنميل ووجع  
رأسي صداع بعائد ثقل النعاس .

في سكون الليل لم أسمع سوني الضفادع والصادبن ، ثم  
سمعت امي تجيب على عتاب أبي بكلمات قليلة جافة ، جعلت  
صوته يعلو في لوم عنيف فلم ترد عليه . صمت وربما يكون قد  
اشعل سيجارة .

ابتعدت همسات الصيادين وبقي تقيق الضفادع ووشيش  
المويجات الواهنة ، وسمعت صوت أبى رتبيا لكنه متهدج :

— ذلك لأنك لم تلاحظ ما حدث !

اهتز مقعده . قال صوتها :

— فى الشهر الماضى زارتنى فاطمة ، وبعدها سعدية وهى  
التي لم تزرنى منذ سنوات !! ثم جاءتنى زوجة حسن دكرورى ،  
وفى الأسبوع الأخير زارتنى امرأة ابن خالتك وتعرف أنها تكرهنى،  
ثم سناء المدرسة وهى الآن فى اجازة وضع ، وبالأمس ابنة  
المقدس حنا ، وصباح هذا اليوم هانم مع زوجها !!

ولما لم يرد أبى قالت :

— كى تعلقنى !!

فأبدى دهشته فأكدت :

— كل واحدة منهن تشتهى ولدى .

جلست أنصت . كررت أمى :

— تشتهى ولدى وتريد مثله .

لا بد أن وجه أبى احمر . قالت :

— ألم تر أن كلهن حوامل ؟؟

طار النوم من عينى تماما : كلهن ؟ .. سأل أبى :

— كلهن ؟ !

— وفى الشهور الأخيرة من الحمل .

بعد الدهشة سأل أبى فى برود :

– وما الضرر من ذلك ؟

– لأن الحامل ان اشتت شيئا ارتسم شكله على بدن مولودها ، وكل واحدة منهن اشتت ولدى الذى لا مثل له ، توحت عليه كى يأتى طفلها فى مثل حسنه .

اهتز مقعد والدى . سمعته يتجه الى القدرة ويملا الكوب ويعيده بعد برهة فوق الغطاء ، ثم اهتز مقعده ثانية .

وبعد ذلك عادت الرتبة الى الأصوات فى الموجات ونفيق الصفادع ، وفى غناء خافت لصوت غريب ناء ، ربما حملته المياه من الضفة البعيدة حيث قبور موتانا .

## ٥ - الحداة

فى بيت مثل بيتنا يجد الانسان نفسه متيقظا عند الفجر .

سمعت صوت الحداة قريبا جدا منى . فادركت انها فى الشرفة .. مشيت حافيا ونظرت من وراء الشيش ، وكانت واقفة فوق السور والهواء يداعب ريشها ، وكنت أحب أن أتأمل وجهها واجده اكثر جمالا من وجه البطة او الدجاجة او الديك الرومى ، واستغرب نفور الناس منها ، والدتى وجدتى يكرهانها بسبب انها خطافة . وما زالت امى كلما رأتها أو سمعتها تهتف فى غل :

## – الخطافة .

ذات يوم ذبحت جدتى بطتنا ذات الريش الأسود وتفت ريشها ، وكان الوقت غروباً ، ثم ملحتها امى تمهيدا لطهيها ظهر



اليوم التالى ، وخشيت عليها من حرارة الصعيد فوضعتها فوق طبق فى الشرفة الشرقية حيث الهواء طوال الليل ، وغطتها بالمصفاة الكبيرة .. لكن عند الفجر جاءت الحداة التى تنام فى الشجرة العالية وهبطت الى الشرفة . ( ولا أعلم كيف رأت البطة تحت المصفاة !! ولا كيف تمكنت من ازاحتها جانبا ) لتبدأ فى تمزيق الذبيحة والتهامها اربا . استيقظت أنا على قلقلة الطبق فوق الأرض ، تسالت ونظرت من خلف الشيش ، كانت الحداة تقف على مقلب وتضغط بالآخر على البطة النيئة نافثة جناحيها نصف انتفاشة ، ترمق ما حولها فى حذر ، وبهرتنى مهارتها وقوتها ، فجمدت مكانى شغوفاً بما أرى ، حتى تنبعت الى أمى تقترب شاهقة مستنكرة فرجتى ، وتفتح الباب فى صيحة مخيفة ، أزعجت الحداة فخطفت البطة وطاروت هاربة ، لكن الغنيمة أفلتت من بين مخالبها ، وسقطت الى النيل وسرعان ما غاصت محدثة دوائر كثيرة اتسعت حتى ضاعت فى رقابة المسار . اغتاظت أمى وظلت تشتم وتسب كل حدآت الأرض وغربائها ، ومكثت الحداة حتى الظهر تحوم فوق المياه صائحة نالحة ، لذلك الحت أمى على أبى أن يستدعى راميا يخلصنا منها بطلق نارى ، فمأطل أسبوعاً كاملاً وفى اليوم الثامن اشترى ثلاثه كهرابه لتحفظ فيها ذبائحها ، وظل هو يفضل الشرب من مياه القدرة التى فى الشرفة ، ورغم ذلك ظلت كلما سمعت الحداة أو رأتها ، تبرطم ساخطة :

### • الخطافة •

استيقظت الدار على صباح الوليد باكياً . يريد الطعام أو تغيير الملابس . وهرولت الأقدام فى خطوات مسرعة أو واهنة ، ثم سمعت السيفون أكثر من مرة ، وفكرت فى حديث الليلة الماضية ، فاكشفت أن أمى تناقض نفسها : انها تخشى على

الطفل من النحس بسبب تفرد في الجمال ، والناس يحسدون  
الانسان النادر ولا يلقون بالا للمتكبر ، فيكون من المفيد اذن أن  
تدع الخوامل تحلقن اليه وتتوحن عليه لتلدن أشباهه فلا يعود  
فريدا ، وبصبح شائع العينين وعندئذ لن يحسده اى انسان .

على مائدة الافطار قلت لها هذه الفكرة ، فلم ترد على  
ونهضت تلم المائدة ساخرة منى ومن الكلية التى أدرس بها ،  
فضحك أبى كثيرا لكنه كتم ضحكته فجأة واكتأب .. وبعده  
بقليل - وكنت اقرا في جريدة الصباح - رمقتنى أُمى بنظرة  
مكتومة الغضب ، ولاحظت الخطوط تزداد غورا في بشرتها وتزداد  
عددا يوما بعد يوم ، قلت انها لو ظلت على هذه الوسوسة  
للحق وجهها بوجه الجدة الذى يشبه الغربال تجعدا .

فلما انصرفت الى مدرستها صار الطفل في عهدة الجدة ،  
فرحت أتأمله مليا ، الوجه شاحب ، لكنى ارتجفت من عينيه :  
اتساع مدهل وعمق مريك وسحر غير مألوف !

خرجت الى الشرفة منقبض القلب ، فى السماء كانت  
الحداة الخطافة تطير من عشاها الى ارتفاع شائق ( مرة رأت  
فارا فيببط كالصاروخ ثم علت وكان بين مخالبا ) .

تأملت مياه النبل تحرى : الحسر الحجرى بعده فى مسار  
موتى مدننتنا وشيعهم الى الضفة الأخرى للنهر ، بدفون  
لا يهبط عنه .. الا انى رأت وجه الطفل الشاحب يتموج فوق  
صفحته ، فعادت الرخفة الى قلبي ، وعادنى الوحيم .

أخذت أتأمل الصيادين يعدون الشباك ، ويخيطنون تفزقاتها  
انتظارا لمقدم الظلام ، حيث يطفئ السمك لسكون الليل ويضعّد

الى السطح ، فان اكل الطعم تعلق في الشص ، وخرج يتلوى  
بعيدا عن الماء حتى يخنق في الهواء .

وفي السماء كانت الحداة لا تحرك جناحيها ، سابحة  
بجناحين مفرودين وذيل مثني الى اسفل ، وهى تهبط الى عشا  
في اعلى شجرة الكافور المخضرة طوال العام ، الباسقة من فوق  
جذع سميك عتيد ، يربطون اليه المراكب ، ويونقون فيه قارب  
الموتى الكبير .

## ٦ - القارب

على نوبتين يوميا يرحل هذا القارب من مرساه حاملا  
موتى هدينتنا ويشيهم الى الضفة الأخرى للنهر ، يدفنون  
موتاهم في قمة التل ويرجعون بأسى الفراق ، الأحياء في ضفة  
الغرب والموتى في ضفة الشرق ، مناقضين دورة الشمس ،  
مخالفين مسيرة المصريين القدماء .

واكثر من مرة ياخذنى هذا القارب الى اسفل من التاملات  
اقول لنفسي : مكتوب على كل المدينة أن ترحل فيه ، واقول  
ايضا : فوق قمة التل تراب كان في الأصل أحياء في غرب النهر  
يزداد التراب ولا ينقرض الأحياء .. ومرة واحدة سأل  
نفسى : كم من امرأة حسناء تحولت الى تراب ؟ .. وعصرنى  
الألم : لماذا لا يبقى الحسن وحده ؟

وبعد التفكير اجابنى أبى مترددا ، كنا في جلسة المساء :

— ربما لأن الحسن لا يظهره الا القبح .

فنقلت عيني الى حجر امي متفحصا وجه الوليد ، فهالني  
شدة شحوبه .. قلت ان ذلك فعل نور القمر الهزيل ، لكنني في  
الصباح نأكدت من ذلك ، وثيقنت من بياض وجه امي مع تزايد  
التجاعيد من حول عينيها .

لذلك كنت في غاية القلق عندما سافرت الى الجامعة  
بالمدينة ، تم وترتني خطابات أبي حتى ركبتى الخوف .

في خطابه الأول قال ان الوسواس تملكك عقل امي وقلبها ،  
فتحولت الى اعصاب مشدودة ، واخذت تحرص على أن يبدو  
الطفل عيلا دائما في أعين الناس !!

ثم قال - في خطاب مبسر ان الأمور تدهورت تماما ،  
وانها صارت تتحذر حتى من نظره ، وانه يظن أن العلة أصابت  
الولد بالفعل .

مرت فترة طويلة انقطعت فيها خطاباته ، ولم يرد على  
رسائلي ، حتى جاءني مكتوب صغير ، حذني فيه عن القطعة  
التي خافت على أطفالها من القرباء خوفا طافيا ، فأكلتهم لتخبئهم  
في جوفها .

وبعد ذلك حدث أن جاءني برفية قصيرة تستدعيني .

ووجدت امي جالسة امام الطفل المسجى ترمقه محملقة ،  
لا تبكي لا تتكلم ، ذاهلة عن الدنيا ، فقط تحمق الى عينيها  
المفتوحتين دون انغلاق .

وعندما دخلت الرأفة العجوز الى المهد ومدت اصابعها لتسبل  
العينين ، ثارت امي رافضة ، وهاجت وكادت تلقى بالعجوز  
ارضا .. فارتعش أبي في وقفته ، واجهش صوته ينهرها :

— أنت السبب ، بحرصك المجنون تسببت في ذلك .

كانها لا تسمعه . تهدج صوته :

— عاملتيه معاملة شاذة فقضيت عليه !

وظلت تحملق الى العينين المفتوحتين في هدوء وسكون

( نظرت انا اليهما فانتفضت نبضات قلبي ، مازال السحر

فيهما .. فهمست لنفسى : انه لم يمت ) .

سحبت أبى بعيدا ، فقاومنى وهو يصرخ :

— رعاء معتوهة ، ظلت تحجبه عن العيون حتى حجبت

عن الحياة !! وكان أجمل من كل الحياة .

( وكان السحر ما زال في العينين )

.. ثم حدث ان أمسكوا أمى ودخلت العجوز وأسبلتهما ،

وعلى الفور صار ميتا ، وعلى الفور وقفت أمى مذهولة ، وصرخت

صرخة واحدة ارتعشت لها قلوب الجميع — وتركها أبى — وظلت

تبكى حتى لم يعد لديها بكاء ، وصار وجهها كوجه الجدة تجعدا .

وعندئذ صعب حالها على والدى ، فأخذ يحايلها ويطيب

من خاطرها :

— نحن أتيينا به وباستطاعتنا ان نأتى بغيره ..

**قال :**

— جاءنا على كبر ، وكنا سنموت قبل ان نتم تنشئته .

**قال :**

— وهل الأحياء سعداء ؟؟

## ٧ - الأميرة

.. لكنه بعد كل هذا الكلام المطيب انهار فجأة وبكى -  
وكنا في قارب الموتى نسير شرقا - وأخذ يهذى :

- لا يعيش الجميل ، لا يعيش ، فان أصبح قبيحا عاش .

نظر للنعش الضئيل وكانت الحدأة تحوم فوق المرفأ :

- لا توهب الحياة الا لناقص الجمال .

ملأت الدموع عينيه :

- يولد الجميل وفيه بذرة الدمامة ، فهو لم يعد كامل  
الحسن ، وهو يموت لنعيش دونه .

بللت الدموع جفنيه ، ربت الجار على كتفيه ، لم احتمل  
ذلك ، نظرت الى النهر اسفلنا ، فرايت ظلى وظلال الرجال  
تتموج من فوق المويجات .. وكان القارب يفرق هذه المويجات  
الى شطرين ، وجاءنى صوت أبى :

- القبح فى الأم والأب .. والقبح لا يلد الا القبح ، وان  
انجبنا الحسن فكيف يعيش ؟ !

وبعدها ظل صامتا لا ينطق . وطفعت زمجرة آلات القارب  
على صوت انفاسه المجهدة ، لكنها لم تقدر على حجب  
عويل أمى .

كانت أمى فى الشرفة الشرقية ، تنظر الينا تعول وتولول -  
ولم تكن جدتى بجوارها - والنسوة يجذبنها الى الداخل ، لكنها  
تقاوم ونصف جذعها مائل خارج السور .

- غامت الدنيا في عيني ، لكنى رغم المسافة رأيت الدموع تنهل  
من عينيها فوق الخدين ساحبة معها قطرات العرق ، رايتها  
نساقط الى مياه النيل القائمة ، تلمع في الشمس وهى تساقط  
الى النهر العريض .

فتذكرتها وهى امرأة جميلة ، ناضجة الحسن - وكنت  
طفلا تبهرنى كل الأشياء - لاحظت ان النهر عند الجفاف تظهر  
في وسطه جزر صغيرة يزرعونها خيارا وبطيخا ، وكانوا يتركون  
البطيخ يكبر ويتضخم لتصل الواحدة منه الى حجم قدرة  
المياه - وكان هذا يعجبني - وكانت فرق الكشافة تقيم معسكرات  
الميت في هذه الجزر ويجلسون في دائرة من حول الفوانيس  
يتسامرون - ويظل الأمر كذلك شهرا قليلة ، بعدها تسود مياه  
النيل فيهجر الزارعون الجزر ويفيض النهر ويرتفع ويأتى الى  
جدر منزلنا يضربها ، وبقرب سطحه من شرفنا .

سالت امي مبهورا عن سر هذا الفيضان فأخذتني الى  
حجرها وداعبت شعري الخشن بأناملها - وكنت أحب ذلك -  
وحكت لى عن اميرة فرعونية اسمها ايزيس ، كانت تحب زوجها  
الجميل الطيب ، لكن حدث أن دبر له أخوه الخبيث حيلة شريرة ،  
وقتله ومزق جثته قطعا نثرها في انحاء البلاد ، فحزنت الزوجة  
على حبيبها وصارت تبكى ولا تكف عن البكاء ، ودموعها تنسال  
دون توقف ، وتسيل لتتجمع وتترايد وتنحدر الى النهر حتى  
حدث الفيضان ، فارتوت الأرض ونبت الزرع واكل الأحياء ..

.. وكنت أغالب النوم ، وكانت امي تقول ان الأميرة ظلت  
تفعل ذلك بانتظام في نفس الموعد من كل عام ، وأن موسم

الفيضان هو موسم البكاء عند إيزيس ، ومياه النهر هي دموعها  
الغزيرة ..

.. وكانت أصوات غناء شجية تأتي من بعيد ، وكف أمي  
بدلك ظهري : وساقها تهتزان بى هزات منتظمة ، ورائحة  
صدرها فى أنفى ، وكانت النجوم فوقها ناصعة متألقة ، وكان  
وجهها لطيفا باسماء بلا تجاعيد .



## بعض المنحنيات

---

### ● منحني القمة

ازداد ظهري غوصا في مسند المقعد الوثير ، كانت السيارة تمرق صاعدة نل المقطم ، منحنية عن الطريق الأفقى ، مخلفة من ورائها حي القلعة ، والطريق الى فوق وعز ، كثير التعاريج ، لكنى لم اشعر بمطباته ، والسيارة تتسلقه مكتومة الزمجره ، وسامى يفودها في هدوء وعلى وجهه بسمة باهتة ، ربما كان يسترجع بعض ايام الماضى .

تأملت القاهرة ، رغم اننا في أول الليل الا اننى ميزتها راقدة في اتساع ، وجميعها في مدى الرؤية ، ونحن نعلو عنها ونرتفع ، ومقابر الموتى تاتى من تحتنا ، وعند قمة التل تلوح مدينة المفطم ، قلت لسامى :

— تسكن في مكان له هدوء القمر

ضحك : وخيل لى ان بضحكته رنة ساخرة :

— لم تخلص بعد من نزعتك الخيالية !

- لماذا اذن سكنت هناك ؟؟

- رأت زوجتى ذلك فوافقتها

وبعد برهة سألتنى :

- هل تظن ان شجرة الكافور ما زالت قائمة ؟؟

- اظن ذلك

- اذن فاسمك مازال مخلدا !!

تأكدت من السخربة فى ضحكته ، وكنا فى المرحلة الابتدائية  
عندما رآنى منهمكا فى حفر اسمى على جذع هذه الشجرة ،  
وسألتنى عن السبب ، أشرت الى أطلال الآثار فى وادى الكلا ،  
قائلا اننى افعل مثلما فعل الفراعنة ، فمط شفتيه عجباً ومضى  
يلقى الفروع بالطوب ليسقط ثمرها ويأكله .

ومنذ تزامن الدراسة لم اقبله ، وعندما لقيتيه مصادفة  
كدت أحسده على المنصب الذى قفز اليه ( ولما سألتنى عن نفسى  
أجبتة فى صوت خفيض ) .. ودعانى الى منزله فى قمة القاهرة  
ليعرفنى بزوجته ، ومن قبل ان أراها خمنت انها سوف تكون  
رائعة الحسن .

انحشر الطريق بين مرتفعين ، فارتد صوت المتحرك من  
فوق الصخور ليتضاعف فى أذنى :

- وعربة الأسطى صابر ، اتظنها ما زالت تسير ؟؟

- من المؤكد انها تسير .

- اظنها اعتق عربة تدب فوق سطح الأرض !!

بطيئة لكنها أكيدة الوصول ، بخط سير واحد لا تغيره  
ابدا ، من قربتنا الى حدود المركز جيئة وذهابا ، حتى تندرنا  
بانها لو تركت في آخر الطريق بمفردها لعرفت كيف تعود دون  
سائق ، ولا اظن احدا غير عم صابر قادرا على قيادتها ، فكل جزء  
فيها اصيغ من اختراعه الخاص ، الفرملة تقوم بعمل ضاغط  
البنزين وضاغط البنزين يقوم بعمل الفرملة ، ولدنا فوجدناها  
بصاحبها ، الذي فشلت دائما في تقدير عمره ، وعندما تجرات  
وسالته اكتفى بتأكيد انه اقوى منى ومن كل الراكبين معي ،  
اكتظ رأسه بالعديد من الحكايات والدكريات التي تعتقت في  
رأسه فساح الواقع على الخيال ، يعرف الأيام بالمناسبات ،  
يوم زواج أو طهور أو مولد أو يوم التطعيم ضد الكوليرا ،  
أو يوم ان اكل الولد مسعود اللحم الضأن لأول مرة ! ..  
وكنا ننحشر في عربته للوصول الى ثانوية المركز والعودة منها ..  
لكن سامى لم يكن يركبها معنا ، كان يذهب الى المدرسة ويعود  
منها في سيارة والده ، ويخرج من داره بعدنا ويصل الى  
المدرسة قبلنا .

## ٢ - منحني الجراد

« منحني خطر - هدىء السرعة » .. لكنه لم يهدئها ،  
وزعقت الاطارات محتكة بالأسفلت الخشن ، وعادت الى ذهني  
عربة عم صابر ، وهي تنهادى مخترقة وادى الكلاء ، خطر لأحد  
كباش الفجر أن يلحق بها وينطح مؤخرتها بقرنيه الملفوفين ،  
مما أفرقنا في ضحك لا آخر له ، ومما أغضب عم صابر ، فأوقف  
عربته وصرخ فينا أن ننزل وأن نبحث لنا عن سيارة أخرى ،  
وظللنا نحايله ونتملقه راجينه أن يحكى لنا قصته مع زوجة

الموظف الانجليزى ، وكيف انها اعجبت به وبفحولته ، وكنا نعرف ان ذلك يسعده جدا ، وكنا نحن أيضا نحب سماعها ، فآدار المحرك ونهادت العربية على صوت يقول :

– حدث ذلك فى عام الجراد الأجرى ، وهو الذى يأتى من الصحراء ، فهو ان جاء من فوق الوادى يكون لونه أخضر اللون ، أما الذى يأتى عابرا الصحراء فيجىء فى لون الرمال ، لكن كل الجراد تراه فى السماء وهو سد عين الشمس أسود اللون . والجراد الأصفر يتحول الى الأخضر بمجرد ان يأكل زرع الفلاحين .

– لماذا يا عم صابر ؟ !

– لأن الزرع الذى يأكله أخضر اللون .

هزنا رءوسنا دون اعتراض ، فقال :

– الجراد الذى جاء بعد موت سعد باشا زغلول بثلاثة أو أربعة أعوام كان لعينا ، لونه أخضر لأنه أتى على الخضرة فى طريقه ، فآدخل الفلاحين فى كرب وضيق جعلهم يقترضون من المربى الخواجات بالربا الفاحش ، وكان هؤلاء النصابون منتشرين فى كل القرى من فرنساوية على يونان على انجليز على اتراك ، لم يكن فىهم أى مصرى لأن المصريين فقراء .

ثم صمت عندما سبقنا سامى فى سيارة والده ، والذى أبطا عم صابر حتى يبتعد غبارها والى ان استحثه مصطفى من المقعد الخلفى ، مطالبا بالدخول فى حكاية المرأة الانجليزية ، فانتعشت ملامحه بطريقة لم تقدر كل التجاعيد على اخفائها ، وآخذ يقول :

– كانت امرأة كالبطة البيضاء التى اطعمت جيدا .

اعتدلنا جميعا ، والذين كانوا في الخلف مالوا الى الامام .

— كان وجه زوجها في لون عرف الديك الرومي ، اما هي فكانت بيضاء ، ممثلة وليست سمينة ، وطويلة وشعرها في لون القمح ، وكان الجراد يهدد البلاد ، جراد اصفر من الصحراء ؟ !

— كان ذلك بعد معاهدة ٣٦ بحوالى الحول ، امرت الحكومة بعمل تجريدة من اهالى اربع قرى لايقاف الجراد عند حدود الصحراء ولتطفيه مرة اخرى اليها ، وكانت قريتنا من هذه القرى ، وجاء الرجل الانجليزى من البندر ليشرف على التجريدة ، ومعه زوجته للفسحة — كان الانجليز يحكمون مصر ويهمهم أن يكون محصولها وفيرا — وكانت امهاتكم لم تحمل بكم بعد عندما اشتركت في نقل الاهالى .

هتف سيد :

— كل الناس ؟ !

— عدا ثلاث عائلات تعرفونهم ، منهم عائلة هذا الولد سامى الذى سبقنا فى سيارة والده .

بصق الى الطريق :

— كان اجر النفر قرش صاغ فى اليوم ، وانهمك الرجال فى حفر الخنادق ثم فى اطلاق الدخان الكثيف مع صياح النسوة ، بينما الاطفال يحركون النباتات وافرع الأشجار ، والقصد من كل ذلك هو اغلاق الجراد وتخويفه كي يعود الى الصحراء ثانية ، وقد ضايق الضجيج والدخان المرأة الانجليزية ، فأمرنى زوجها بكلام ركيك ان آخذها لأفرجها على آثار الفراغة ، ومضيت بها .  
— تنحنح ابن المقدس حنا بجوارى فلكرته بكوعى كي يصمت .

— ولما ابتعدنا عن الدخان والصراخ شعرت بشيء يلمس  
قفائى ، ظننتها جرادة هاربة ، لكن اللمسة كانت ناعمة ، وكانت  
من اصابع المرأة ، ففهمت غرضها وركنت العربة واخذتها بين  
الخصوص .

صفق رياض :

— عم صابن يا جن !!

— كانت قوبة الجسد ومعطرة وامتعنتى كثيرا ، لكن عند  
عودتنا انقلبت المتعة غما ، اذ وجدنا فلاحا تعول ملطخة رأسها  
بالطين وامامها طفلا منهوش الجسد !! كانت قد غفلت عنه أثناء  
العمل ، فحط عليه الجراد وظل ينهش بدنه الصغير ، وبكاؤه  
يضيع وسط الضجيج والصخب ! وعندما تنبّهت اليه امه كان  
قد مات ولم يكن هناك من يداويه ، وقد ألهم عويل الأم غضب  
الفلاحين فانهالوا على الجراد حتى هج ونجحت التجربة .

— واين ذهب بعد الصحراء ؟؟

احتار :

— ذهب الى حيث جاء .

وعدت اسأله عن الانجليزية وان كان لم يرها بعد ذلك ،  
فقال :

— ظللت احمّل البيض والزبدة والدجاج الى سكنها  
بالبندر ، وكان رجلها كثير الغياب بالقاهرة .

وكان فى كل مرة يضيف الى قصته حواشى وتفصيل لم  
يات ذكرها من قبل ! .. تأملنا الغيطان المنبسطة وسألته ان  
كانت المرأة قد انجبت منه فأجاب :

— كانت عاقرا ، وقد فشل معها الأطباء ، وعندما إفهمتها بأن الفلاحة العاقر عندنا تلد اذا لمست صنم الفرعون ، جاءت خلسة من وراء زوجها ولمسته .

— وهل ولدت ؟؟

— قال لى شيخ كبير ان ذلك مستحيل لأن صنم الفرعون يولد نسوة الفلاحين فقط ، ولا يولد ابدا نسوة الخواجات .

### ٣ - منحنى المجهول

سرعان ما تكاثف ظلام الليل وأخفى تماما المقابر اسلفنا ، وتحولت القاهرة الى نقط مضيئة منتظمة فى خطوط أو متناثرة على ارتفاعات شتى ، لكنى عدت أرى الأوز يسبح فوق مياه الترع ، بينما عم صابر يحكى لنا عن زوجة المراهب ، قال ان زوجها كان روميا والذى قبله كان شركسيا .

سأله حسين محتارا :

— شركسيا من أى بلد ؟؟

— من بلاد الشركس ، اما هو فقد كان روميا من بلاد الروم ، وكان يقرض الستين قرشا أول الشهر ليستعيدها جنيها كاملا فى آخره .

— هذه سرقة !

— كان الفلاح فى عوز دائم ، فائناء الحرب العظمى حدث ان زاد سعر القطن بطريقة مربحة جدا ، جعلت معظم الفلاحين يزرعون اراضبهم قطناً فى الحول التالى ، منصرفين تماما عن زراعة الحبوب ، وإيامها كانت سوق القطن مجنونة ، اليوم

القنطار بمائة ريال وغدا بعشرين !! فتخرب بيوت ويشل رجال ،  
ولذلك لجئوا الى السلف ، ومن بقرضهم غير الرايين ؟ ! بنك  
التسليف كان يقرض كبار المزارعين فقط ، وكان هذا الرايى  
الرومى طماعا بقلب كالحجر ، بينما دين الفلاح يتراكم بالفائدة  
المركبة ، وان كان فى الأصل جنيها يصير بعد شهر جنيهين ،  
وبعد شهرين اربعة ، وطبعا عجز معظم الفلاحين عن الدفع ،  
فحجز الرجل على دوابهم ، لكنه قبل اليوم المحدد لبيع البهائم  
سقط فى الخلاء بعيار نارى اصابه فى القلب تماما ، وظل ملقى  
مكانه فوق التراب .

#### — من قتله ؟؟

— جاءت الحكومة ، وحطت الجميع اقوالهم ، وسألونى  
مع من سألوا ، وقلت لهم اننى لا اعرف شيئا ولا اشك فى أحد ،  
تعجبوا : فهل قتل الرومى نفسه ؟ ! .. قلت لهم ان الله وحده  
يعلم ، وفى النهاية قيدوا الحادث ضد مجهول !

#### — ولكن من قتله ؟

— المجهول .. قالت النيابة ان الذى قتله هو الفاعل  
المجهول .

#### نسكننا ، قال :

— ناقرية جميعها كانت تعرف الفاعل ! .. لكن حتى  
الرومية نفسها لم تحزن على زوجها ، كان عندها كعدمه وكانت  
تختار من شبان القرية من يعجبها ، وتأخذه الى دارها وتجعله  
يستحم ثم تأخذه الى سريرها لقرض غير خاف .

#### — وزوجها ؟؟



— كان يحب المال فقط ، وقد جربت هي الكثيرين من  
اهل البندر ومن الروم والشركس والانجليز ، فلم يعجبها سوى  
الفلاحين .

تخايب عويس بقصد ايقاعه :

— وهل كانت البلهارسيا منتشرة ايامها بين الفلاحين ؟ !  
— طبعاً .

— وهل كانوا يشكون من الفقر ، ضعفاء لا يأكلون جيداً ؟ !  
وجم برهة ، ثم قال في عصبية :

— قلت ان الرومية كانت تطعم من تختاره ببطء كاملة .  
مازحته :

— فهل اكلت من بطها ؟؟

ضحك ، ثم دار بعربته مع انحناء الطريق ، الذي كان  
ينحني مع انحناء التربة .

٤ — منحني كلب الوادي

أضاء سامي مصباحي السيارة فسقط نورها على الصخور  
الجانبية : واوحات المرور تشير الى منحني قريب ، ورايت  
فيه مفارقة كبيرة ، وقالت انها تنفع مكمنا لبعض الوحوش  
او لعصابة من اللصوص .. لكن المدهش حقاً هو اصرار عم صابر  
على فساد الزوجة الانجليزية وزوجة المراهب ، ومن بعدهما زوجة  
عرفان باشا ، وجميعهم ممن اذلوا الفلاحين !! .. فهل هو نوع  
من التعويض ونوع من الانتقام المعنوي .

جاءت سيارة في طريقنا وسقط نورها على وجهينا ، لكن  
سامى لم يخفض من سرعته . وفي برهة النور ضيق من عينيه ،  
ثم سرعان ما راح وجهه في الظلام وسألني :

— لماذا لم تتزوج حتى الآن ؟؟

ربما لضالة راتبى ا اكنى لم أخبره بذلك ( وسمعتة يضحك  
بضحكة غريبة :

— هل تعتقد من صنف البنات ؟ !

فهمت قصده ، وعاد يقول مجاملا :

— كان ذلك في الماضي ، ولم تكن أياما سيئة ، مضى في  
ذلك ؟؟

وكان يقصد حادثة التلميذة سناء ذات الفم الواسع ، وكنت  
قد صادقتها ، وكثيرا ما تفسحت معها على الترفة خارج حدود  
المركز ، وكان هو يعرف علاقتى بها ، وكانت المظاهرات أيامها  
كثيرة ، وكنا نهتف بسقوط من نشاء وبنحية من نشاء . وكانت  
الحكومة قد فتحت كوبرى عباس وطلبة الجامعة من فوقه فقتلوا  
العشرات منهم — ولا اذكر جيدا ان كان ذلك في عهد « النقراشى »  
اما في عهد « عبد الهادى كلب الوادى » — الذى اذكره اننا قمنا  
بمظاهرة احتجاج كان سامى معنا فيها ، لكنه ما أن لمح البنت  
سناء حتى تلكا وانسحب ، ولم يخطر على بالى انه لاحق بها  
الا بعد ان عاملتنى في جفاء ، وبعد أن ضبطتهما خارجين معا  
من سينما المركز ، حيث ارتبكت هى أما هو فقد غمز لى بعينه  
اليمنى ، وفي اليوم التالى أخبرنى ان لقبالتها طعم الشهد رغم  
سعة فمها !!

تأملت لوحة السرعة المضاءة ودائرة عداد البنزين ، وسهمى الانحراف الى اليمين والى اليسار ، واحد أخضر والآخر أحمر : وخيل لى ان منحنيات الطريق قد زاد تعددها ، ونوجست من العتمة الكثيفة وتوقعت الهوة عند كل منحني حيث أعرف ان فى القاع مقابر الموتى .

## ٥ - قمة الكف

كما توقعت تماما وجدت زوجته انثى ساحرة ، داعب هواء المقطم شعرها فشممت عطرها الرائع ، باغتتنى بعينيها وهى تعطينى كاسا ، فاخذت أرنسف منه وأنا أتأمل أضواء القاهرة من تحت اعدامنا : بإمكان رجل واحد من هذا الارتفاع أن يهزم العشرات عن السفح .

ثم حكيت لهما - بعد الكأس الثالثة - اننى ، ومنذ هاجرت الى القاهرة ، وكلما شعرت برغبة فى حك راحتى اليمنى توقعت زيارة مفاجئة من أحد أهالى قريتى ، فابتسم سامى ، ورفعت الزوجة حاجبها دهشة :

- وهل تصدق فراستك ؟ !

- على وجه العموم .

مالت بجسدها تجاهى فى بسملة آسرة ، غمزة فى كل خد :

- لعلك تجيد قراءة الكف أيضا ؟؟

ظهر كفها فى بطن كفى ، ناعمة تجرحها أقل خدشة ، ارتجفت وبحثت فى ذهنى عما يقال فى قراءة الكف .. بينما سامى يقول :

— المؤكد ان هناك علاقة وثيقة بين رغبتك في حك كفك وبين دورتك الدموية وأعصابك وآخر وجبة تناولتها وحالتك النفسية ، تماما مثل رفة العين ، ولكن الأكيد أيضا انه لا علاقة لها اطلاقا بزيارة احبابك ؛ فهل تؤمن بالخرافات ؟ !

— لنقل مثلا شفافية ، أو بقايا من نقاء ريفي داخلي .

لكنها عادت تتحداني بانساعى عينيها فتنبهت الى كفها .  
في كفى .. قلت :

— يقول كفك ان العمر مديد والحظ سعيد وان أسعد أيامك هو الخميس .

— النهار منه ام الليل ؟؟

ثم بضحكة مستخفة :

— هل رأيت سكرتيرة زوجي الحسناء ؟ !

لا توجد امرأة تفوقك حسنا ، قلت ذلك في سرى :

— اما أسعد ألوانك فهو البرتقالي ، وأسعد أرقامك هو رقم خمسة ، وهذا خط القلب وسأقرأه لك .

زمت شفيتها :

— الا هذا

— اسرار ؟؟

— دع خط القلب في حاله !

ولما سحبت كفها رأيت كفى العريض ، خشنا ، باهت الخطوط قصير الأصابع .. وفي فصل ٢ علمى خامس مددته

فانهالت عصا المدرس فوقه ، وكانت كراسات الانشاء قد وزعت وفوجئت بدرجة سامى أعلى من درجتى فتهتفت بان هذا ظلم !! فعضب المدرس وضربنى بالعصا على كفى ، جلست اتمتم فى عناد بان موضوعى افضل من موضوع سامى فضربنى ثانية .

ضمت قبضتى بشدة ، فلت للزوجة :

— ذكرينى فى يوم لاحق أن اقرا لك الفئجان .

فتناثرت ضحكاتها فى أجواء المقطم ، وبعثرها الهواء الى سواد القاهرة المترامية تم سمعت عواء خافتا يأتى من بعيد واصطكاك بعض النوافذ ، وعندما رجعت بظهرى الى الراء رأيت ساقيا : جميلة هذه المرأة ، كيف احتكرت لنفسها كل هذا الحسن ؟ ! لو رآها عم صابر لتناقص اعجابه بالزوجة الانجليزية وبالرومية وبامرأة عرفان باشا !! فهل خطفها سامى من رجل آخر ؟ ! .. كنت اظل محتفظا بتفوقى طوال العام الدراسى ، وفى الشهرين الأخيرين يشرح له كل مدرس الأجزاء الهامة التى منها الأسئلة فقط ، ويدمع والده بسخاء ، وينتهى الأمر بتفوقه هو !!

كان الهواء منعشا ، وتحدث سامى قليلا عن أحوال البلاد وتوقعاته ، وعن رحلاته التى قام بها فى الخارج ، وذكر الآراء فى السياسة الدولية ثم سخر من موظف لديه هاجمه فى اجتماع عام للمؤسسة متهما اياه باحتلال منصب لا يستحقه — ورايت فى السماء نقطة خضراء مضيئة تتحرك فى صمت ، إدركت انها مركبة فضاء تدور حول الأرض — فشربت بلعة جديدة من الخمر ، ولما سألتنى سامى عن أحوالى فى العمل أفلت لسانى ، وشكوت له من رئيسى ، فوعد بان يوصيه خيرا بى ، وعزت على

نفسى وفكرت ان اخبره باننى فى غنى عن توصياته ، لولا اننى سمعت حفيف ثوبها وهى تناولنى كأسا جديدة ، فتأملت ذراعها وعنفها ، وتصورت بشرتها ملساء عطرها ، وسرت التهيئة الى مفاصلى - وكان المقعد مريحا - وتغلغل الخدر الى كل رأسى ، وشطح خيالى فرايتها تتبادى داخلة الى شفتى ، ثم الى حضنى - وأشم عطرها - وتفك أزرار ييجانتى ، وهى شرهة ، وهى تهمس بأن سامى لم يقدر ابدا على اشباعها بمثل ما افعل ، وتوشوش مأخوذة : باننى وحدى القادر على ارضائها ، أنا وحدى ، وليس سامى .

## ٦ - جميع المنحنيات - هابطة

.. لكنى تنبعت على أصبع سامى امام عينى :  
- نحب ان نعرف ما دار فى هذا الرأس ؟ ! الى ابن شردت بأفكارك ؟ !  
الهواء ، لم انظر فى عينيه :  
- الى قريتنا .

هز رأسه ، ويبدو انه عاد بقول بانها لم تكن اياما سيئة وبأن المدينة لم تفلح فى تغييرى ، وغاص الدم من كل وجهى وبردت أطرافى ، وصار مذاق الخمر فى فمى مرارا ، فالقيت نظرة اخيرة من فوق ، وكانت الزوجة تبسّم فى ود محمرة الشفتين ، وتضاعفت المراة فى فمى وشيرت بضرورة انصرافى ، وكان سامى مهذبا اذ نهض معى متوجها الى سيارته وهو يقول :  
- سوف اهبط بك .

## جميلة مثلها

### المنظر

الوعاء الصغير الصدى يمتلئ ، يرتفع مهتزا مع ارتعاشة الكف المعروفة ، ثم يميل لتنسكب منه المياه القاتمة ، يمتلئ ثم يعلو بطيئا مرتعشا ثم يسكب الى النهر ، يحاول المراكبي العجوز أن ينزح المياه من قاع القارب ، تقيس عيناه ارتفاعها ، متקרصا غائص القدمين في مياه الرشح ، محنى الظهر فوق قاربه الصغير المربوط بحبل ليفى بال الى وتد مثبت على الشاطئ قرب أقدامنا وأسفل قدمي سمر المهترئين في توتر عصبي .

بللت الرطوبة ملابسنا فالتصقت بأجسادنا - ولا نسمة هواء - والعجوز في محاولاته الرتيبة غير المنتهية ، كأنه لا يلحظ عدم نقصان الرشح في قاربه ! .. من قبل ان نأثى وهو يحاول نزحها بكوزه القديم ، تأملت كفه المعروفة المرتعشة . ، ولاحظت تساوى سطحي الماء داخل وخارج القارب !!

## ● من جميع الجهات

فجأة زام سمير ساخطا :

— غير معقول !! عبث ما يفعله هذا العجوز المتوه !!

ثم صاح مناديا :

— يا ريس ، يا ريس الا تلاحظ ؟ ! ماتنرحه يتسرب

ثانية !! كف عن هذا ، كف .

نظر اليه العجوز متانيا ثم عاد الى فعله فزاد حنق سمير  
وآدار مقعده بحركة غاضبة معطيا ظهره للمراكبي ، احتسى  
الرشفة الأخيرة من قهوته ثم عادت الهزة المتوترة في قدميه ثانية .  
ومنذ جاء الى جلستنا لاحظنا ضيقة ، سالناه عما يحنقه فانكر  
ذلك بطريقته الهازلة :

— انا على العكس تماما ، فقد نما الى علمي هذا الصباح  
من عليم ببواطن الأمور ، ان الحياة جميلة ، الحاضر فيها  
أفضل من الماضي ، والمستقبل أكثر اشراقا من الحاضر ،  
أبلغني بذلك الرجل ذو المقعد الوثير الدوار ، ولذلك ترونني  
متفائلا ، وهانذا ابتسم .

ثم وضع ابتسامته على شفثيه ، ولم نعلق على كلامه اذ  
كان صوته قد تهدج ، وكنا نعرف مشاكله في العمل ، طلب منه  
رئيسه في الجريدة ان يكف عن النغمة الزاعقة في مقالاته ، وأن  
يكتب مثلما يكتبون ، فرفض سمير ( وقال لنا : كيف اكتب  
مثله وأنا لست هو ؟ ! ) .. فاتهمه رئيسه بأنه يكتب كلاما  
لا يقرؤه احد ( وقال لنا سمير : أولا ليس عنده دليل على هذا  
الزعم ) ! ( وكان منفعلا فلم يقل لنا ثانيا ) .. وقال لرئيسه :



— اننا لو نصبنا منصة عالية في اوسع ميادين القاهرة ،  
ووضعنا من فوقها احدى الفوازي وتركناها ترعش اردافها  
فان الميدان سيمتلئ فوراً بالناس ، وسيتعطل المرور طالما  
هذه المرأة تهز وسطها ، فهل تريد منى ان اهز وسط قلمى ؟ !

وقال لنا :

حملك الرجل نحوى ثم ادار مقعده الوثير الدوار ،  
فارئيسى مقعد وثير دوار استخدمه كى يعطينى ظهره ، وكما  
كرهته من وجهه فقد كرهته من قفاه ، اننى امقته من جميع  
الجهات .

ثم ظل فى عصبيته حتى نقل مقعده وجعل ظهره الى  
المراكبى ، ولم يتكلم وتركناه فى صمته .

## ● المياه الراكدة

اما فريد مبروك فقد مكث وقتا يرمق سمر بنظرانه الرصينة  
( كنا نفيظه ذاكرين انه يبالغ فى رزائنه لتعويض القصر فى  
قامته ) ثم اخرج من جيبه جواز سفره وقلب صفحاته وتأكد  
من وجود تأشيرة الخروج فى احداها ، أغلقه فى عناية واعاده  
الى جيبه ، وكانت جلستنا فى الاصل لوداعه بسبب قرب  
هجرته .

نظر الى سمر ثانية ثم الى المراكبى ومحاولاته غير  
المجدية ، ثم تاهت عيناه الى مياه النيل شبه الراكدة ، ورايت  
على وجهه مسحة اسى ، وبدا واضحا عزوفه عن الكلام :

## ● نزوة عابرة

هتف اسامة :

- بالأمس فقط نجوت من وطأة الامتحانات والليلة أحب  
ان اسمع كلاما عن العشق والعناق . . وهذا الرجل  
القادم يحب .

تلفتنا خلفنا فراينا حسين يهبط الى الكازينو في بطء ،  
وأشعة الغروب تغطي وجهه لونا شاحبا ، وكنا نعرف ان له  
قصة حب مع فتاة لطيفة قمحية اللون طويلة القامة ، ظل يعاند  
حبها ويقاومه لفترة وانتهى بان نوى الزواج منها رغم قراره  
السابق بعدم الزواج نهائيا .

بادره اسامه :

- انت لمسة النور في هذه الجلسة القاتمة ، حدثنا ايها  
العاشق عن حبك العظيم .

افتعل ضحكة قطعها ثم قال :

- انسوا كل ذلك ، كانت نزوة خرجت منها مستعيدا  
حريتي .

دهشت وسألته ان كان يقصد انهما قد افترقا ؟ ! ..  
فارتجفت وجنتاه ويبدو انه فشل في افتعال ابتسامة اخرى ،  
ويظهر انه عاد يقول انها كانت نزوة عابرة . لكنى اقتربت منه :

- ما الخبر ؟

زاغت نظراته .

- ودعتها بالأمس .

— أسافرت ؟

— وداع الفراق

همست محتارا :

— يقينى انك احببتها ، فماذا حدث ؟ !

ارتعش الثقاب فى يده وانطفأ دون ان يشعل سيجارته :

— ادركت اننى لن اسعدها

— وجبكما ؟

— كان سيتبدد مع وطأة الأيام

وضع الجرسون امامه كوب ليمون نظر اليه ولم يتناوله ،  
وعندما حاول العودة الى الحديث اختنق صوته . . فتركناه  
لصمته الحزين .

### ● بعيدا عن الشرق الأوسط

طلب اسامه سيجارة فقدمت له واحدة ، رأى ماركتها  
فرفضها قائلا :

— هذا هو النوع الذى يفضلہ ابى .

ثم التقط واحدة من علبة حسين ، بينما امتدت يد فريد  
مبروك لتحسس جواز السفر فى جيبه ، وعيناه لا تتركان مياه  
النيل ، حيث امتد ظل الكوبرى فوقها والشمس قد زاد ميلها  
ناحية الغرب .

سيطر الصمت على الجلسة عدا تقيق الضفادع وهمسات  
خافتة لبعض الجالسین عن قرب .

فاخذ ضجرى يتزايد ، لذلك تنفست ارتياحا عندما وصل  
حجازى ، أخيرا جاء ظريف الشلة الذى لاحظ اغتمام حسين ،  
ولما عرف السبب عاتبه مازحا :

— احزين لأنك لن تتزوج ، كان الله فى عونى أنا وقد  
نجحت وتزوجت حببتي !!

ضحكت واسامه معه ، لكن حسينا لم يتبدل ، وابتم  
سمير .. وعندما انضمت الينا سعاد وطفلتها خرج فريد مبروك  
عن رصانته لينهمك فى مداعبة الابنة ، بينما حاول اسامة أن  
يفتح حديثا عن الشرق الأوسط فلم يتجاوب معه أحد .

## ● بين قوسين

عندئذ صاح حجازى :

— سوف أخفف عنكم هذا الجو الكئيب بحكاية مذهشة .

قال :

— لزوجتى هيام رغم أنها زوجتى ! ملاحظات ذكية تفاجئنى  
بها من حين لآخر ، ومنذ أسبوعين أخبرتنى باحدى هذه  
الملاحظات العجيبة ، قالت أنا نستيقظ كل يوم فى الصباح  
الباكر ، ندخل الحمام وتتناول فطورنا على عجل ، ونرتدى  
ملابسنا فى هرواة ، وعيوننا ترقب الساعة من لحظة لأخرى  
فى عصبية ، ثم نهول خارجين والنوم لم يغادرنا لتتراجع مع  
باقى الناس عند ركوب الأنوبيس ندفعهم ويدفعوننا ، متوجهين  
الى مقار أعمالنا حتى لا نتأخر عن التوقيع فى دفتر الحضور  
دقيقة واحدة والا كان لفت النظر والتعرض للخصم من المرتب  
وبعد هذه المجهودات الجبارة نتجخ فى الجلوس الى مكاتبنا



تعمل به ، وبالفعل رصدوا المبالغ اللازمة للطلاق من الخارج والداخل ، اذ ان داخل المبنى صار متهدما ومثيرا للاكتئاب ، وكالعادة تلكات الأمور حتى نفدت الأموال بعد طلاء الجدران الخارجية وحدها !! وظل الداخل على حاله !!

قلت معلقا :

— وما هو العجب في ذلك ؟ ! هاكم فاعلة أخرى : سر من رأى واكتأب من دخل !

### ● ورد النيل

سأل فريد مبروك سعاد عن احوال زوجها ، وان كان مازال قويا جسورا ام أن الشيخوخة المبكرة قد لحقت به ؟؟ فهزت كتفها في غير مبالاة :

— لم يعد الرجل الذى كان !

دهشت ، وكنا بين لحظات الليل والنهار :

— لكن راتبه زاد فجأة بقفزة واسعة ؟ !

مطت شفيتها ثم تلعثمت باحثة عن كلمات ملائمة لم تقلها وانما تشاغل بطفلتها التى انزلت من مقعدها متوجهة الى حافة النهر .. فنهضت سعاد وسحبته من كفها محذرة اياها من هذا النهر الذى يبتلع البنات الجميلات !! .. ثم التقطت حقيبتها من امامنا وهى تقول :

— سئمت طفلى منكم ، سأختلى بها على ترابيزة خالية .

ومع هبوط الليل غادر المراكبى العجوز قاربه ، وماء الرشع كما كان ، وتحامل صاعدا في بطء نحو الشوارع ، وزاغت

عيناي الى المياه ، كسر السد العالي من حدة الأمواج ، فصارت صفحتها قريبة من الركود ، وموجات واهنة تتلجلج في موضعها مخفية اتجاهها ، فسكنت انعكاسات الأنوار ، وسمعت تنهيدة بجواري ، ولما رأى حجازي ان سمر وفريد مبروك واسامة وحسين قد سهموا راغبين عن الكلام ضاع منه مرحة ولزم الصمت كذلك .

### ● احاول جاهدا وبكل طاقتي

ومع ركود الماء والهواء تحول تقيق الضفادع وحديث التراييزات المجاورة الى أصوات مبهمه غير واضحة ، تباعدت ليحل محلها صوت صديقتي منى ، ثم بدأت أرى صورتها ووجهها الهادئ اللطيف ، فراعنى فيه أسى عميق يطل من عيني واسعتين قليلتي الانفلاق .

وكانت قد زارتني في مقر عملي - بلا مساحيق كماداتها - سحبت مقعدا وجلست قرب مكتبي ، وقلت لنفسى باننى على استعداد للارتباط بها . وعندما تكلمت كانت في غاية الهدوء ، حدثتني عن نيتها في طلب اجازة طويلة من عملها ، فقلت لها ان هذا غير مضر ، ازددت قرص الصداع ثم اعربت عن رغبتها في الرحيل الى مكان لم تحدده بعد . ثم ظلت تتأمل كوب الماء وهي تحدثني عن فيلم عجيب شاهده مؤخرا ، ولخصت لي حكايته ، بان البطل وهو فيلسوف وقور تفاهم مع زوجته اللطيفة التي تحبه ، واثقيا على الانتحار ، وبالفعل نفذا فكرتهما في شجاعة كاملة ، فاماتا اطفالهما الثلاثة بأقراص منومة ثم انتحرا بعد ذلك لينتهى الفيلم .

رق صوتها الخافت في عذوبة أسرة :

— كانت اللقطة الأخيرة جميلة بديعة بالحزن ، جميع  
الأسرة مستلقية في طمانينة ، الأب والام وفوق وجهيهما مسحة  
من ابتسامة وادعة .

ترفرت لحظات صمت ثم سألتني فجأة :

— ألم تفكر في الانتحار يوما ؟؟

تحدثت في الإجابة . قالت في هدوء :

— عن نفسي فقد راودتني هذه الفكرة أكثر من مرة .

قلت متصنعا الوقار :

— ان أكثر الناس تحدثنا عن الانتحار هم أكثرهم تمسكا  
بالحياة .

تمتعت مستاءة في هدوء مقلق :

— أرجوك لا تدعى الحكمة معي !

فأخذت أصابعى تعبت في الأوراق أمامى ، وشعرت  
بساقي تهتزان في هزات عصبية ( وشعرت بها تراقب وجهى ،  
لكنى لم أنظر إليها ) . . تذكرت هدوء صوتها فارتعت بشدة  
وأخذت طوال باقى زيارتها القصيرة أحاول جاعدا وبكل طاقتى  
اقناعها بأن جميلة مثلها يجب أن تعيش .

● على الرغم

تنهد حجازى ثم قال لفريد مبروك بصوت واثق :

— الأكيد المؤكد والذى لاشك فيه ، ان هذه الجلسة  
سوف تذكرها كثيرا في غربتك ، وان هذا النهر سوف  
تشتاق اليه أكثر .



## للذكرى

كانت الشمس نائمة واهل البيت لم يستيقظوا بعد عندما  
صحا الجد من نومه ، فقام بترتيب سريره ، ويروى زرعته  
البلابل في الأضيض الكبير منزعجا من اوراقها الدابلة ، ثم تشاغل  
بتأمل عسكرى الداورية في نهاية نوبته وبعض المسرعين الى قطار  
الفجر .

وعندما علت الشمس وفرشت الطريق ملا الجد ساعة  
الحائط وكانت السادسة والنصف تقريبا فقدمها نصف سافة  
كى يوقظ اهل البيت ، لكنهم كانوا يعرفون لعبته فاستيقظوا  
حسب ساعاتهم الخاصة : الابن وزوجة الابن التى اخذت اللبن  
من البائع وقامت بغليه ، بينما الجد يوقظ حفيذه الذى كان  
يحب ملازمته ويرى فيه نبوغا مبكرا على ولد مثله فى العاشرة .

وعندما ملأت السيارات بدخانها وضجيجها الشارع العمومى  
كان الأب والأم قد توجهما الى عملهما والحفيد قد هروا الى

مدرسته ، فجلس الجد وحيدا يطالع الجريدة بادئا بصفحة  
الوفيات فصفحة الحوادث واخيرا اخبار الصفحة الاولى ،  
ولما فرغ ذهب الى مقهى الناصية وجلس مع بعض رفاقه السن ،  
وتحدثوا عن الماضي وتعجب معهم من الأجيال الجديدة ومن  
غلاء المعيشة ، ولما عبرت جنازة أحد الموتى من امامهم سألوا  
عن اسمه وظلوا يتحدثون عن أصله وفصله وممتلكاته ، وعن عمره  
الذي عاشه والمرض الذي مات به ، غير أن الجد لم يشاركهم  
وقد أحس بانقباض شديد شاعرا بشيخوخته وبثقل أعوامها ،  
فتحامل الى المنزل حيث قبع وحيدا حتى عاد ابنه وزوجة ابنه  
ثم حفيده الذي إلتقى بكتبه ثم تناول غدائه على عجل وهو  
لا يكاد يجلس في مقعده ليجرى هابطا الى أقرانه اللاعبين أسفل  
البيت متقافزين الكرة فيما بينهم .

بعد صمت طلب الجد - فجأة - من ابنه الاستعداد للذهاب  
الى المصوراتي لالتقاط صورة تذكارية تضمهم جميعا ، وحاول  
الابن تأجيل التنفيذ لكن الجد أصر قائلا أنه يريد صورة  
للذكرى .. فرضخ الابن على مضض للرغبة الطارئة وقد لاحظ  
رنة الأسى في صوت الشيخ ، وتبرمت الزوجة وكانت مجعدة  
تريد أن تستريح .

لكنهم في النهاية كانوا امام آلة التصوير فوق أربعة مقاعد  
متجاورة : الجد في كامل ملابسه بالكرافتة العتيقة ، والابن  
متضايق وقد اضطر الى مجاراته رغم حرارة الجو ، والزوجة  
مستسلمة والحفيد أكثر ضيقا لا يكف عن القلقلة وقد سحبوه  
سحبا من وسط اللعب مع أصحابه واحاطوا عنقه بكرافتة صغيرة  
لم يالفها من قبل .

نظر الابن الى ابيه فوجده مشرباً بعنقه في جلسة صارمة  
فقلده ، وغمز الى زوجته ان تفعل مثلها ففعلت بعد ان بذلت  
مجهودا كبيرا في تثبيت ولدها على نفس الوضع ، ثم اراح  
الجد كفيه فوق ركبتيه مكملا جلسة التصوير ، ففعل مثله الابن  
ثم الزوجة التي لا حظت هذا التعديل من نفسها ونفذته منتظرة  
ان يقلدهم الولد ، فلما لم يفعل اخذت كفيه بعصبية ووضعتهما  
على فخذيها ، غير انه ابعدهما ضجرا فأعادتهما وفي النهاية  
رضخ متمللا .

وبعد ان صار الأربعة في وضع التصوير انهمك المصور في  
اضافة لمسات الاضاءة الأخيرة ، وقبل ان ينتهى منها كان زهق  
الحفيد قد تضاعف فتحرك بغية الانصراف ، لكن الأم نهته  
وثبتت وضعه على شاكلة أوضاعهم ، وتوعدته بالضرب ان هو  
تحرك قبل التقاط الصورة ، وعاد المصور يستعد بينما ضيق  
الولد يتزايد واحساسه بخنقة الكرافتة يتضاعف فمد يده في  
عصبية وفكها ، وتوقف المصور مستاء ، واغتازت الأم وشعر  
زوجها بالحرج ، واستفزع الجد هذا الخروج عن الوضع !!

بسرعة اعادت الأم ربط الكرافتة من حول عنق الولد  
وكررت وعيدها له بالضربات ان هو كسر سكون اللقطة .. ثم  
عادوا الى وضع الثبات محاكين جلسة الجد .

وعندما هم المصور بالتقاط الصورة لاحظ التجهم على  
الوجوه فطالب بابتسامات خفيفة .. وفي حلق وضع الجد  
ابتسامة من فوق تجاعيده الفائرة ، ثم الابن ، ثم رسمت الزوجة  
ابتسامتها الخاصة ، بينما الحفيد على وشك الانفجار بكاء

وقد تذكر انهم حرموه من لعب الكرة مع رفاقه ، ونحايولة والحوأ  
عليه طويلا بالابتسام .

وفي الوهلة التي خيل فيها للمصور ان الحفيد قد امثتل  
وابتسم سارع بلقط الصورة ، لكنه عندما حمضها وطبعها  
وكبرها وجد الدموع تملأ عينيهِ . . ورغم انه لجأ الى التوش  
الا ان لمعة الدموع في عيني الولد ظلت واضحة الى جانب ثلاث  
ابتسامات مصطنعة لوالديه ولجده .

## شكاوى ملاك الموت الفصيح

- ١ -

الظلام يحيطه من كل صوب ، الصدر يلهث ، وصوت  
المطر ينهمر في الخارج .. قال في بسمة تودد :

- اعرفنى ؟؟

قربت الشمعة منه : الملبس أنيق ، الملمع وسيم ! وانحناء  
مهذبة كشفت عن سترة بللها المطر .. قال في توجس :

- اتخافنى ؟ !

أطرقت صامتا مداريا لهب الشمعة بكفى عن الهواء  
الساقط .. فهمس في أسى :

- تخشاني اذن !!

شكله ليس كما في الرسوم ، ومازال يلهث - العجيب  
انه يلهث ! - قلت :

- الطابق مرتفع ، لماذا لم تستعمل المصعد ؟ !

نظرة رصينة منه الى الشمعة ذكرتنى بانقطاع التيار  
الكهربائى . برفت عيناه :

— لعلك كنت تترقبنى ؟ !

تضاعف صوت القطرات الثقيلة ، هزت رأسى منكرا قال :

— لا تفزع ، انها زياره ودية ، لا اكثر .

تراجعت على مضض مفسحا له الباب .

## - ٢ -

الشمعة بيننا فوق الترايزة الواطئة ، احدثت ظلا لأنفه  
وسودا فى تجويفى العينين وهبوطى الخدين وبقعة عند الفم —  
صار وجهه كما فى الرسوم — دق قلبى رهبة .. عاد يقول :

— لعلك كنت تترقبنى ؟؟

انكرت بهزة راس عصبية ، والظلام كثيف خارج الشرفة ،  
وخياله لا ينعكس فوق الزجاج !

عند اول تساقط المطر توهمت سماع ثلاث نقرات فوق  
شيئ النافذة ، فتحته واجفا فلم أجد احدا غير المطر الغزير ،  
ثم انقطع تيار الكهرباء وانسحب النور من لمبات المنازل  
والشوارع فشعرت بالتوتر ، ثم دوى الرعد ولم يكن فى السماء  
برق فدام الظلام ، رعد بلا برق فتملكتنى رعشة كبيرة ، وظلمت  
أتحسس طريقى حتى ثثرت على موضع الولاة ثم الشمعة  
التي تنصهر الآن ، فلما سمعت طرقات على الباب كذبت أذنى  
لأنها كانت ثلاث طرقات ايضا ، ثلاث دقات .

مددت يدي بعلبة السجائر :-

- سيجارة؟؟

- لا ادخن

- هل أعد لك قهوة؟؟

- لا أشربها

- شاي؟؟

لا أشرب جميع المنبهات

بحافظ على أعصابه !! - ولكن هل له أعصاب؟؟ -  
سألته :

- شيء مثلج اذن؟؟

- الثلجات تتلف الأسنان

ويحرص على أسنانه !! - فهل له أسنان أيضا ؟! - خرج  
صوتي مرعشا :

- فأي شيء أقدمه لك؟؟

- لا نقلق ، مجرد وقت للحديث

- احساس بالملل اذن !!

اشعلت شمعة اضافية فصار له ظلان فوق الحائط ،  
وتعجبت ان كان هو أيضا يشعر بالملل مثلنا .. لكنى جاملته :

- تحت امرك

قال :

٦٥:

( م ٥ - الوليف )

- فلنبدا بالسؤال التقليدي والكلام يجز بعضه ، كيف ترى الحياة ؟؟

- الحياة ؟ !

- نعم الحياة

احترت بماذا اجيب ، قلت :

- لا بأس ، وهذا هو الجواب التقليدي

- والجواب الحقيقي

انسال زذاذ المطر متعرجا فوق الزجاج وقلت :

- من اعرفهم مازومين مهزومين ، ومن لا اعرفهم يتشاكون همسا أو جهارا من مر الأيام

- الجميع ؟ !

أومات ..

- كل الرجال وكل النساء ؟ !

- نعم .. تقريبا ، صارت الحياة نارا ولا نار جهنم

- غريبة !!

فكرت ان اسأله عن جهنم ان كان قد رآها ، لكنني اكملت :

- المصائب تقع كل يوم ومصائب الغد لم تأت بعد ، واكتظت الأرض بأمراض العصر وهي كثيرة .

- احقنا ؟ !



— منها على سبيل المثال غلاء المعيشة والانفجار السكاني  
وازمات المواصلات والمساكن ، وتناقص الغذاء وتزايد الضجيج  
والدخان والأربسة والحروب .

قاطعنى فى سأم ليكمل فى رتابة :

— ومنها أيضا انكماش الخب بين الناس وطرد الزيف  
للحقيقة ، واحساس الفرد بانه نكرة تحسم جلائل الأمور فى  
غيابه ، وتطاحن الأجيال وقمع الكبار للصغار ، والتقنوط وضغط  
الأحذية الثقيلة .

زادت دهشتى ، وزاد ضجره وهو يردد :

— ومعظم الناس تعميهم نفاهات اللحظة الراهنة ،  
ما يسمعون اليوم تكرر لما سمعوه بالأمس ، وأحدث مشاهداتهم  
تكرر لأقدمها ، ركود ورتابة ، وهذا هو حال البشر ، يتوهمون  
انهم يمارسون دورا وهم فى الحقيقة بلا دور !!

— انت تعرف كل شىء فلماذا تسأل ؟ ! هذا هو حال  
البشر ؟

فتح كفيه فى حيرة :

— فالمنطقى اذن ان يرحبوا بى ، اليس كذلك ؟ !

— ٣ —

لم أرد وكانت السُمعة الأولى قد قاربت الدبول فتشافت  
باشعال الثالثة ، ومع ارتعاشة يدي اهتز له ظلا ثالثا باهتا ،  
لكنى لم أقدر على تمييز عينيه ! .. وقال سامان شاكيا :

- قبل أن أجيئك قابلت آخرين من شتى الأعصار  
والأجناس ، قالوا لى نفس كلامك بشبيه عبارتك ، فهل معنى  
هذا ان جميع الناس تعساء ؟ !

- انها الحياة وغريز من يكابر .

- المتزوجون منهم والعزاب ؟ !

- المتزوجون يعانون السأم والندم وفتور العاطفة وذبول  
الرغبة ، والعزاب تضجرهم برودة الوحدة وتوهان العاطفة  
وحصار التقاليد السخيفة لهم .

## - ٤ -

هز راسه امتعافا وتنبهت الى ان المطر قد كف ، صدا  
قطرات ثقيلة ظلت تتساقط فى تواتر ممل ، يبدو انها من افريز  
الشرفة العلوية .. صوت قطرة فبرهة صمت .. ثم قطرة ..  
ثم ذبلت السمعة الاولى وترنح لهبها وانطقات ، وصارت ظلاله  
اثنين ، وهمس :

- تلك صورة شديدة القتامة للحياة !

- بل بشعة ، وقد نشرت الجرائد بعض الصور لفتيان  
ظهرت عليهم دلائل الشبخوخة المبكرة ، فشابت شعورهم وتجعدت  
وجوههم وانحنى ظهورهم رغم أنهم عند العشرين !

- اعرف هؤلاء الفتيان الشيوخ وقد زرت واحدا منهم ،  
ولكن هل أنا المسئول عن كل هذا ؟ !

- لا تندهش ان قلت لك ان الحياة صارت هى المرض ،  
والموت هو الشفاء كمجرى الماء للتائه فى الصحراء .

تشاكى جسده مهترا :

- فهل تعنون ذلك جيدا ؟ !

ارتبكت وبردت اطرافى ، وكان. يحملق بشدة نحوى  
فارتجفت .

- ٥ -

.. بينما النقرات الرتيبة فى الخارج : قطرة .. فضمت ..  
ثم قطرة .. ثم سألنى فى انفعال اليم :

- لم تجبنى : هل انا المسئول عن حياتكم هذه التى  
تسميها فظيعة وكئيبة ؟ !

انكرت بهزة رأس متوجسة ، فقرب الشمعة من وجهه -  
ارتجفت - وسأل :

- هل خلقتى مربعة منفرة ؟ !

انكرت بهزة مرتعشة ، وسمعت قطرة خافتة تبعها صمت  
ممدود .. ثم أخذ يسعل شرقان - هل أصبح معتل الصحة ؟ ! -  
واحضرت له كوب ماء نظر اليه ولم يشرب ، والشمعة ترتجف  
فى يده ، وأنسال المنصهر منها على كفه منزلقا الى الأرض ، دق  
قلبى رهبة لولا انه تساءل شاكيا :

- ان لم يكن هذا او ذاك فلماذا اذن يمتتنى جميع الناس  
ولماذا يرضعون أطفالهم كرهى ؟ !

قلت اعزيه :

- لعلك واهم !

تبأكى :

- كيف اكون واهما ولقد زرت أحد هؤلاء الفنان الشيوخ  
الذين تحدثت عنهم ، وكان كما وصفته مجعد الوجه شائب  
الشعر غائر العينين وفي نفسه منهارة ، ورغم كل ذلك فما أن  
وأتى حتى أصيب بنفس ما أصابك عند رؤيتي : ذعر وانظرات  
كارهة وتحفز للمقاومة ، ولم اكن أبغى منه سوى رفقة سهرة !!

حملق نحوى فلزمت الحذر متراجعا الى ظهر المقعد ..  
والقطرات تتلاشى وانفاسي تتسارع .

- ٦ -

.. ثم أعاد الشمعة في عصبية فانطفأت ، وبقيت الواطئة ،  
والفلور عاد الظلام الى تجاويف عينيه وفمه وهبوطى خديه ،  
وناح يشكو ، وانا الهث :

- كيف اكون واهما وانتم ترسموننى فى الصور بتلك  
الهيئة البشعة ، مشوها كالهيكمل العظمى ، برأس فى شكل  
الجمجمة ، ثم تضعون فى يدي منجل الحصاد الكئيب ؟ ! كم  
أنتم قساة أبها الناس !! كم أنتم غلاظ !!

وكان الظلام قد حط ، وقد تهدل كل جسده ، فتصببت  
عرقا باردا ، وضباب رمادى يفشى عيني .

- ٧ -

ثم ساد صمت ثقيل عدا صوت نحيبه الكتونم .. و...

٧٠

## دموع

مع اقتراب النهار من نهايته ، سارع الاله رع الذى خلق نفسه بنفسه الى اداء مهمته اليومية ، بان اشمس عينه المسومة ، ليعم الظلام فوق أنحاء الأرض . . حيث كان شاب نحيل يتباطا فى الدخول الى داره ، اذ كان يعرف ان سحارة الخبز خالية من الطعام ، وكان جائعا ولم يكن معه ما يحضر به اكلا ، ولم يكن فى سراجيه زيت ليضىء المكان فتحسب طريقه الى فرشته واستلقى عليها منهكا محاولا النوم ، لكن معدته الخاوية منعتة ، وحاول أن يشغل نفسه بالتفكير فى مواضيع شتى عله ينسى جوعه فلم يقدر على التركيز ، واخذ يبتهل الى الاله قائلا :

— اى رع يا من خلقت نار الحياة وانهار المياه ، معدتى الخاوية تملا راسى بالام الصداغ فاشملى بمطفك ، انت يا من انشأ الأيام والساعات وجعلت التناسل ، صراخ معدتى يطن فى اذنى فاشملى بمطفك وارسل برحمة النعاس الى عيني . .

وظل يتقلب في رقدته متأملا حاله وحال الناس ، وخطرت على باله اسئلة محيرة لم يحسمها بأجوبة مقنعة ، وطال الظلام وظن ان الليل الذليل لن ينجلى ، فخشى ان يكون رع قد أسرف في احتساء جعته الالهية وغفى وغفل عن فتح عينه المشمسة .

لكن هواجسه تبددت عندما فتح الاله عينه فتسلل ضوء النهار ، وصاحت دبكة الفجر موقظة الدواب والزواحف ، ورحل سلطان النوم عن اعين الناس فراحوا يفادرون دبارهم ، وعند ذاك هجر الشاب فرشته ، وتوجه الى عمه الكهل ، فوجده جالسا امام داره نحيفا شديد الشحوب والسمة والتجاعيد ، جلس الى جواره ، وبعد ان حياه وأبدى احترامه سآله :

– يا عمى الطب ، لماذا خلق الاله الانسان ؟؟

تأمله الشيخ برهة ثم رد في ابتسار :

– لأنه حدث ان بكى الاله رع فخلق البشر من دموعه .

طفحت مرارة الشاب :

– ولماذا لم بخلقنا دون الحاجة الى الطعام ؟ !

ادرك الشيخ ان ابن أخيه لم يوفق بعد في العثور على عمل جديد ، ولاحظ عليه هزال الجوع ، وحز في قلبه انه لا يملك ما يطعمه به .. وهتف الشاب :

– ان كان لا بد للاله ان يبكى وأن يخلق البشر من دموعه فلماذا جعلهم فقراء واغنياء ؟ !

تلقت الشيخ حوله في حذر ، وكان يخاف ان يكون هناك من ينقل الكلام الى مسامع الفرعون الفارشن جناحيه على الوجهين

القبلى والبحرى ، او الى اسماع كهنة المعبد المبجلين الفارقين في  
خيرات الاله الفانية ، فلم يشأ أن يتكلم .. بينما كان الحزن قد  
غلب الشاب فسالت دموعه على وجنتيه ، ولما تساقطت فوق  
ظهر كفه نظر اليها وقال متحسرا :

— اما دموعنا نحن فهى لا تخلق شيئا !!

بعد حين خرج الشيخ عن صمته مخفضا من صوته :

— منفردين لا تخلق دموع البشر شيئا ، اما مجتمعين  
فيمكنها ان تفعل وأن تغير .

وظن الشاب أن العم قد عاد يتكلم بالاحاجى كعادته كلما  
شاء انهاء الحديث ، فنهض وسار على شاطئ النيل دون  
هدف ، وعند حدود المدينة وجد نفسه قريبا من قصر الفرعون  
المرهوب ، ونلصص بنظرانه الأنسية الى حديثه فرأى الأميرات  
والوصيفات تحت ظلال ريش النعام ، والشبع باد عليهن ،  
فحدث نفسه : « لكن الفرعون ليس مثل البشر فهو منحدر  
من نسل رع وليس من دموعه » .. ثم اضطر الى الابتعاد متعشرا  
تطارده نظرات الحراس المستريية .

وبينما أشعة الاله الحارقة تلهب نافوخه ، وخواء المعدة  
يعصر ماء الرؤية من عينيه ، اذا به يشاهد الأشياء تفرق في  
نصوع شديد ، والسماء تنفرج عن أصناف من الطعام لليلة  
برائحة شهية — وكان النهر زاخرا بالتماسيح من مختلف  
الأحجام — وتابع المسير طويلا حتى خارت ساقاه فتوقف وانهار  
في مكانه وبدنه يرتجف برعشة عجيبة .

وعندما كان زورق الشمس في السماء يسبح بالاله صوب  
الغرب ، خرج من النهر تماسح كبير نفث الماء عن جسده

الضخم ، ثم استرخى على الشاطئ متثابرا وهو يرمق الشاب بنظرات كسول ، وقد تجمعت حول عينيه عدة قطرات بدت كالدموع .. وخرجت كذلك من قصر الفرعون محفة ملكية ، يحملها أربعة من العبيد وبدأخلها أجمل أميرات القصر ، وكانت تهوى مشاهدة مياه النهر وقد اصطبغت بذهب الغروب ، وقد ألف ان تجد المكان خاليا الا من التماسيح ، لكنها هذه المرة وجدت انسانا يجلس في مواجهة التماسيح ، والاثنان يرمقان بعضهما ، ولاحظت ان التماسيح بتثائب وانه في تناؤبه يقترب من الانسان ، وان قرصة هذا الانسان تعكس حزنا مريرا وباسا كبيرا .

وقد رآها الشاب وهي ترنو اليه في عطف ، وهي توقف المحفة وتنساب نحوه كالطيف الرقيق ، وتداعب شعره في حنان ، فابتسم لها وهو يظن ان ما به حلم لأن جسده كان مازال يرتجف وكأنها رعشة الحمى .. لكنها أخذته الى المحفة التي حملها العبيد الأربعة الى القصر ، وهناك شاهد عن قرب الوصفات بأجسادهن الجميلة والشبع باد عليهن ، ودخل مخبز التمسح وراقته رائحة الخبز ، وزار المطبخ الملكي فوجد من الطعام ما ملأ معدته بأشهى المذاق ، وتمنى لو أرسل بعضا الى عمه النحيف . ثم دخل معصر الجعة ، ورشف قدرا منها وخمن ان لذة مذاقها لا تفوقها لذة ابة جعة أخرى ما عدا جعة الاله رع بالطبع .. وبعد ذلك جعلته الأميرة يستحم ويتعطر ، ثم أخذته الى غرفتها الرائعة ، ولاحظ أنها جميلة وقوية وفي صحة جيدة ، وان شذى عطرها الملكي بدبعا .. وعند الفجر نام وهي في حضنه ، وبعد ظهر اليوم التالى استيقظا على مهل ، سارع هو بزيارة المطبخ مرة ثانية حيث ملأ معدته متدوقا من كل وعاء ،



ثم هروا الى معصر الجعة وشرب .. وقبل الغروب لاحظ أن  
الأميرة تتجمل وتزين استعدادا للخروج ، وفهم أنها خارجة في  
نزهتها المغيبة ، وتوقع أن تجد عند ضفة النهر شابا حزينا  
يائسا فتعطف عليه وتحضره الى قصر أبيها الفرعون الموقر فيفقد  
هو مكانه ، لذلك تجرا وطلب منها عدم الخروج ، واستهولت  
سموها جراته ، وعندما أصر أمرت عبيدها بضربه ، فتكالبوا عليه  
منفذين ارادتها التي لا ترد ، ثم حملوه الى الشاطئ حيث القوه.

فعاذت الرجفة تنتاب جسده المتقرفص ، وملأت الدموع  
عينيه ، بينما التمساح المثائب يزحف بطيئا ناحيته ، وعندما  
دنا منه انقض عليه بفمه الواسع .. وبعد أن ابتلع جميع بدنه  
شعر بالعطش ، فنزل الى النهر حيث ارتوى ، ثم عاد يسترخى  
فوق الشاطئ وقد تجمعت حول عينيه بضعة قطرات ، بدت  
تحت اشعة المغيب كالدموع الذهبية .. بينما عند أقصى غروب  
الأفق كان الاله رع الذى لم يولد ولا يموت يسارع باغماض  
عينه ليعم الظلام فوق أرجاء المعمورة .

## وحيل

### جاءنى الرنين ..

كصوت مبهم فى حلم ، كهاتف من مكان ناء سحيق ، اقترب  
رويدا حتى علا فتقلب فى نومى ، وتأكدت أنه جرس الباب .

تسالت فى خفة كى لا أوقف زوجتى ، واضأت نور الصالة  
وسالت :

— من ؟؟

جاءنى جوابه :

— أنا ..

لم اتنبه الى رنة الحزن ، وان كان الصوت شبيه صوته .  
فتحت الباب فوجدته :

— اخى الأصغر !!

احتضنته في شوق ، لم يبادلني الحزن وظلت ذراعاه  
متهدلتين الى جانبه .. لكنى رحبت به :

— يا الف اهلا والف سهلا ..

همس :

— اهلا بك ..

صدمتني الأحزان المرتعشة مع رنين صوته .. تراجعت  
اتامله لكن زوجتى خرجت من غرفة النوم تلمن نوبها .. ارتبك  
واعتذر عن إيقاظها . كررت ترحيبها وسارت نحو باب المطبخ :

— ساعد لك العشاء ، لا بد أنك جائع .

قال :

— لا . اشكرك ..

قلت له :

— بعد سفرة طويلة يجوع المسافر .

قال :

— بعد سفرة كثيفة تنسد شهية المسافر .

ثم توجه زائغ البصر صوب غرفته ، فأسرعت واضأتها له .  
وقف عند مدخلها متفحصا : على حالها كما تركها منذ سنوات ..  
رفت على جانب فمه نصف بسملة اسيانة ؛ وساحت عناه الى  
كتبه القديمة داخل المكتبة ، وصورة له خلف زجاجها يضحك  
مرحاً وسط زملاء رحلة مدرسية .. ثم تقدم الى الشماعة  
حيث بنطلونه الرمادي البالي ، وتحسس الشرخ في زجاج  
النافذة .. استدار ونظر طويلا الى صورة الكباش الأبيض القافز

الى الهواء من فوق الصخرة الكبيرة - وكان هو الذى علقها -  
ثم مال ونظر تحت السرير وسحب التيشبب الجلدى : نفخ  
التراب من فوقه وجلس يقطع نعليه .. ولما صاحت زوجتى  
من الصالة بان الغشاء قد أعد قال :

- ليست لى رغبة .

فجاءت وغيرت له ملاعة السرير وظلت تلح عليه بالأكل  
فكرر كلامه بعدم رغبته ، اسمعته بعض عبارات الترحيب  
واستأذنت لتنام وبقيت انا معه .

استلقى على ظهره ناظرا الى سقف الغرفة ، وكان صوت  
مذياع الجيران يصل الينا واضحا ، قلت له :

- جميل ان تزورنا بعد كل هذه الأعوام ..

اوما بهزة واحدة . سألته :

- كيف حال العاصمة ؟؟

مط شفتيه . قلت :

- عل أحوالك كانت حسنة ؟؟

ابتسامة قانطة عند جانبى فمه .. وساد الصمت بيننا ،  
وسمعت ضحكات كثيرة مصدرها راديو الجيران . سألته :

- هل تذكر ليلى ؟

قرب من حاجبيه . قلت :

- لقد تزوجت وسمنت وصار شكلها بشعا . انقذك منها  
ذلك الذى تزوجها .

ظل عازفا من الكلام . بعد صمت قلت :

- في الأسبوع الماضي زرت قبر أبينا فوجدته منبوشا  
والعظام منبورة ، وعثرت على آثار أقدام بعض الدئاب او الضباع ،  
ولم أجد فائدة من إبلاغ الشرطة .

الصمت لفترة أطول ، عدا الضحكات في مدياع الجيران .  
سأله :

- هل احضر لك الترانزستور ؟؟ في المدياع تمثيلية  
هزلية ..

رفض ذلك . قلت :

- اراك حزينا ؟ !

- .. .. ..

راعنى امتقاع وجهه . كررت :

- ان التمثيلية في المدياع تضحك !!

ان صوته :

- اعمل معروفا . اتركنى الآن ..

لم تهن على مفادته . اقتربت منه :

- ليس حالك على ما يرام ؟ ! هل احضر لك طبيبا ؟ !

هز رأسه رفضا فاهتز السرير .

- اتمر بأزمة مالية ؟؟

الابتسامة البائسة . هتفت :

- ان كانت النقود فانا في خدمتك .
- تحركت شفتاه لكنى لم اسمع صوتا . سألت :
- ماذا تقول ؟؟
- همس :
- اقول شكرا ..
- اهى مشكلة عاطفية اذن ؟؟
- لم ينطق . ملت نحوه :
- لاشيء يستحق الألم في هذا العالم .. ان كان حزبك  
من اجل فتاة غادرة فالجيالات كثيرات والى فتاة تتمناك  
وتسعد بك ..
- خرج صوته مكلوما :
- ارجوك اتركنى الآن ..
- امتاعب في العمل ؟؟
- هزة عصبية نافية . احترت :
- ان كان المسال والحب والعمل على ما يرام فمن اين  
تاتى الأحزان اذن ؟ !
- توسل هامسا :
- ارجوك دعنى بمفردى ..
- ألا تريد ان تتكلم ؟ !
- .. .. .. ..

— أرجوك تكلم ..

— .. .. ..

— الا تريد ان تقول شيئا ؟ !

ابتلت عيناه . الحفت :

— ليس لديك ما تقوله ؟ !

— تعب انا . اتركنى وحيدا ..

— قل .. الكلام يريحك ..

نفذ الصبر في صوته :

— اعمل معروفا ..

فتركته يستريح وقلت الصباح رباح .. وقبل ان اطفىء  
النور تهادته يتأمل صورة الكبش الأبيض المنساب في قفزه  
الرشيق الى فراغ الصورة ، ثملقى بكفيه فوق صدره  
وحملق في سقف الغرفة .

استلقيت الى جوار زوجتي مهموما مكدودا ، ارادت ان  
تحدثني عن مشاكلها مع تلاميذها ومع ناظر المدرسة ، فلم ارد  
عليها .. سكنت حينئذ شكت لى من الباعة ومن الأسعار .  
وقالت ان كل شيء صار مقرفا ، فلزمت الصمت .. سكنت  
وقتا آخر ثم تنهدت ويبدو أنها قالت بان الانسان عجيب حقا  
صعد الى الفضاء ولم يهزم الامراض ، لم أجبها وابتعدت عنها  
فكفت عن الكلام .. وعدت أفكر في عزوف أخى عن الحديث  
وعن الطعام ، وتذكرت أمى وهى تهتف حائقة : « الولد  
الشیطان !! غافلى مرة أخرى وذهب يلعب عند الفجر !! » ..

ثم وهى تطلب منى ان احضره لها . فتوجهت جنوبا ووجدته  
عند المعبد القديم منكوش الشعر يتقافز مع الماعز ويحاورها  
بين الكلا ومن حول اصنام الفراعنة المتهمة .

انتهى الضحك فى مدياع الجيران ، وبعد موجز الأخبار بدأ  
السلام الجمهورى بعزف ، لكن الصمت عم قبل نهايته ، فبدأت  
اسمع صوت انفاسى المضطربة .. تقلبت زوجتى وسألتنى :

– إيجافيك النوم ؟؟

تنهدت ولم انطق التصقت بى موشوشة :

– جربت من قبل وسيلة ناجحة للنوم ، حاولها الآن ..

ثم احاطتنى بذراعيها ومدت أناملها تعبت فى شعر صدرى .  
استدردت نحوها وشممت رائحتها وشعرت بشديها فى صدرى .  
جامعتها ، وبعد ان فرغت سألتها ان كانت قد تناولت حبة  
منع الحمل ؟ ! فزامت واعطتنى ظهرها وانكمشت على نفسها ..

وعند الصباح توجهت اليه .. فتحت بابه فى هدوء ،  
فوجدته فى نفس رقدته ، محبلا فى سقف الغرفة بكفيه فوق  
صدره ! .. ارتعت : كانت عيناه محمرتين ووجهه شديد  
الصفرة وتنفسه طويلا بطيئا ، والفظاء لم يمس جسده !! ..  
سألته :

– ألم تنم ؟؟

– .. .. .. ..

توسلت اليه ان يحادثنى :

– ماذا فعلوك بك ؟ ! الا تتكلم ؟ !



ظل ساكنا .

— الا تقول شيئا ؟ !

رمشت عيناه .

— تكلم أرجوك ..

فطلب منى كوب ماء . اندهشت : على الريق ؟ ! .. فكرر رجاءه واحضرته له ، وتحامل في نصف جلسة وازدرد بلعة واحدة ، استلقى بعدها .. وسألته ان كان يذكر ضاربة الودع ؟ فاتجهت عيناه نحوى لكنه لم يكن ينظر الى ، قلت محاولا الابتسام :

— ضاربة الودع الفجرية التى قرأت لك طالعك ثم اعطتك الحجاب ؟ !

تحركت شفتاه ، لكنى لم اسمع همسة واحدة .. فتهدج صوتى وهتفت :

— ماذا فعلوا بى ؟ ! ماذا فعلوا بك ؟ !

وعندما أغمض عينيه عادنى صوت امى تصيح متبرمة :  
« لا فائدة فى هذا الولد ، غافلنى كماداته وذهب يلعب عند الفجر » !!

امتلات عيناي بالدموع ورأيت الكباش الأبيض يسبح بعيدا عن الصخرة السوداء ، وشعره المتهدل يتموج منسابا أسفل ذقنه وبطنه ، وبياضه يروح ويشحب بطيئا ليذوب فى بياض الفراغ الناصع .

## النظرة فالابتسامة .. والعمر القصير

---

- مصرى ؟؟

- نعم

ازاحت شعرها الذهبى ، غائصة فى ميني :

- يعجبني لون عينيك ، أهو بنى ؟؟

- اظن ذلك

اربكتنى زرقة عينيها ، مالت نحوى مبتسمة :

- فانت من بلد الأهرامات وابو الهول ، أهو جدك ؟؟

- من ؟؟

- أبو الهول .

- أبو الهول أسد له وجه انسان !!

- وهل هناك جد أروع من هذا ؟ !

- وهل هناك شفاة ابدع من هذه ؟ !  
سحرتنى حيوتها . قلت :  
- كان زهوهم الاكبر انهم من نسل الملوك المنكماء  
- من هم ؟؟  
- جدودى القدماء  
نضارة بلا مساحيق ، وصفاء مريح ، وطيبة ..  
سألتنى :  
- لماذا تكلمت معى ؟؟  
- رايتك تنظرين لى اكثر من مرة فنشجعت وخاطبتك  
- وهل محادثة الآخرين تحتاج الى شجاعة ؟ !  
- مجالستك انت تحتاج الى شجاعة .  
- لابد اننى مخيفة ؟ !  
- بل لأنك جميلة ودقيقة  
بسمة راضية ، وعيناها لا تفارقنى ، فهربت بنظرانى الى  
عاملة المقهى والزبائن واكواب الشاي وزجاجات البيرة ، وسمعتها  
تقول :  
- امتلا المكان بدخان السجائر ، فهل نخرج لنتمشى ؟؟  
النور الأخضر ، وعبرنا الحديقة الفسيحة ، حيث الزهور  
والنافورات ، والأطفال فى ركنهم الخاص بالمراجيح والزلاقات ..  
قالت :  
- تعجبنى ابتسامتك ، لماذا لا تبسّم دوما ؟؟

- تعجبني عيناك ، لماذا لا تنظرين لى دوما ؟؟

واجهتنى بنظرة ثابتة ، متراجعة أمامى بنفس مشيتى ،  
والى أن لامست المقعد الخشبى فجلست ، وجاورتها ،  
واستدارت ، فعدت أهرب من زرقة عينيها .. قالت فى مرح :  
- لا تدع امرأة تنفرد بعينيك طويلا ، ألم يحذروك من  
هذا ؟ !

- من ؟؟

- جدودك الملوك الحكماء !!

- أظنهم قالوه فى جلسة خاصة

تشاغلتنى بأحد الأطفال ، راحت تداعبه وتلاعبه  
وتقبله وتلاعبه ، ثم سلمته الى أمه وجاءتنى متوردة ، تقترح  
زيارة أثر قريب .. قالت تغريبنى :

- شيدى جدودى البسطاء منذ مائتى عام

لم التحس ، قالت :

- الآن جدودى لم يكونوا ملوكا أو حكماء ؟ !

- بل لأن دارنا فى الصعيد له نفس العمر تقريبا

- هكذا اذن ، نسيت انك من مصر !

عيناها .. قالت :

- قبل أن تجالسنى كنت تكتب بطاقة لشخص ما ،  
اكانت لزوجتك ؟؟

- ليست لى زوجة

- حبيبة اذن ؟؟

- صديقة

مسكت معصمى تنظر الى الساعة :

- يمكنك الان اكمالها ، يجب ان اعود الى عملى فورا

- وبعد العمل ؟؟

- ان كنت تعنى ان نلتقى بعد ذلك فانا غير مرتبطة

مضت .. وتسكمت وقتنا دون هدف ، الناس من حولي  
مسرعون ، عدا ثنائيات المحبين ، بالنضارة والصفاء ، وشابة  
مند الناصية حائرة النظرة بين ساعة المعصم والترقب فى اتجاه  
معين ، لاح منه صديقها اليافع ، فاندفعت تقبله ، متدفقة  
وهو واثق .. لاحظت اننى الوحيد الذى يراقبهما ، فشعرت  
بالخجل والبلاهة ، واستدردت منصرفا ، ورحت انتشى بالحسن  
والتناغم ، والتلاؤم بين الناس والأشياء ، جاءت على ذهنى  
شوارع القاهرة فأبعدتها على الفور .

مع اقتراب الموعد توجهت الى مكان اللقاء ، جلست انظر  
الى ساعتى مشتاقا ، وعندما مددت يدى الى جيبى وجدت  
البطاقة الناقصة ، فقلت املا الوقت باكمالها ، قرات المكتوب :

« خطيبتى العزيزة ، اكتب لك بمجرد وصولى ، كما  
وعدتك .... » .

امسكت القلم افكر ، وتذكرت لقاء الوداع ، وكفى خطيبتى  
فى صدرى ، تصدان رغبتى فى تقبلها ! .. والخيبة فى وجهها

وانا احدثها عن شقتى ، قالت : « غرفتان فقط ؟ ! هذا امر جديد على اسرتنا !! » . ثم صدت رغبتى الصادقة بكفيها !!

تأكدت من هروب الكلمات ، ركنت القلم والبطاقة ، ووجدتني افكر فيمن انظرها ، والتي لم اعرف اسمها بعد ، شاعرا بشوق عجيب اليها وحنين !

احمر وجهي مع بسمه مجيئها ، ولمحت هي البطاقة فتمعنت فيها محتارة :

- تكتبون من اليمين الى اليسار ؟؟

- نعم

- يبدو كالرسم ، هل تأخرت عليك ؟؟

- في موعدهك تماما

تأملت الخط :

- يبدو انك لم تكمل بطاقة صديقتك ؟ !

- خطيبتى

- قلت انها صديقتك ؟؟

- كذبت

- واين الدبلة ، الا تستعملونها ؟؟

- مع المفاتيح في السلسلة

- ولماذا الكذب ؟ !

أطرقت خجلا . قالت في سماحة :

— هل خشيت إلا أقابلك الآن ؟؟

— أظن ذلك

— لم تكذب اذن ، كنت تحرص على ، وهذه رقة منك

أحسست بتجاعيدى الدقيقة تتلاشى

شاهدت رموشها رمشا رمشا .. وضعت أمامى علبة  
صغيرة :

— كولونيا لبعء الحلاقة

— لى ؟؟

— لن تكون لى !!

ابتسمت مأخوذا . قالت :

— كم تعجبني ابتسامتك !!

— أشكرك على هذه الهدية الرقيقة

— رقيقة ومأكرة ، كى تتذكرنى بعد حلاقة كل صباح

تأملت شفيتها ، فاثمت خدى :

— وقد تداوم على استعمال هذا النوع

سألتها :

— لماذا لم تتزوجى حتى الآن ؟؟

— كدت أفعها مرتين ، لكنى فشلت

— أمر مؤسف

— لماذا ؟ ! ان تكتشف عدم التوافق قبل الزواج افضل  
من ان نفجع به بعده .. أليس كذلك ؟؟

— .. !!

— الا توافقني ان اكتشاف عدم التوافق قبل الزواج  
افضل واصدق ؟ !

— طبعا طبعا ..

اشاحت بيدها متذكرة :

— اوه .. نسبت انكم تهتمون كثيرا بالغشاء !!

بعد العشاء ، بدأت الموسيقى بالرقصات الهادئة ،  
البطيئة .. ومعظم الراقصين من كبار السن وعدد قليل من  
الصفار ، الكبار منضبطون تماما مع الايقاع ، خطوة وخطوتان  
حسب القواعد والأصول ، أما رقص الصفار فأربع أباد تحتوى  
جسدبن متآلفين .

دعتنى الى الرقص .. واحتوتنى ناعمة ، النظرة فى النظرة،  
ثم الخد على الخد ، شمتنى وشممتها وتساوت حرارة جسدينا،  
الخطوات بطيئة والأحاسيس نشطة ، حلوة متفاهمة .

التهب الايقاع وجن ، فتى أرعن ، فاشتعل جسدها ،  
وانقدت نظراتها ، وخلت الساحة تماما للشباب ، متقاربين تأججا  
ومزاجا ، كأنهم راقص واحد وراقصة .. شرد ذهنى الى  
جلسات المقاهى والشيشة والطاولة ، لكنها اعادتنى هاتفة :



— ابتسم

ابتسمت فلتمت خدى .

وجاءت الاستراحة وجلسنا الى المائدة ، والى احاديث  
التعارف ، عن حياتها وعن حياتى .. وانخطفت السهرة ، من  
رقص هادىء رزبن ، الى لهث صاحب مشحون ، الى جلسات  
ناعمة هنية ، واخذنا الوقت صدقا وتلقائيا ..

\*\*\*

جاءتنى من الحمام كالطيف ، وديعة حانية ، مشتاقة  
كاننى حبيب عمرها ، تؤكد النظرة بلمسة الأنامل .. وفى نفس  
الاشراقه كان التدفق ، منها ومنى ، ولهفتها فواحة الأنوثة ،  
وقد نقص طولها بمقدار حدائها المخلوع .

لحظات وامضة وزالت ربكتى ، وطافت هى بى الى  
أحاسيس عذبة نقية ، خالية من التصنع فاشعرتنى كاننى حبيبها  
فى لقاء أول ، عشيقها فى تفاهم متجدد ، زوجها فى شهر العسل ،  
كاننى رفيق سنواتها الحلوة والمره .

فى الصباح الباكر راقبتها ترتدى ، وتزين فى بساطة  
وخفة . اقلت لى قبلة عبر المراة ، سألته :

— متى نلتقى ؟؟

— فى نفس موعد الغداء

تناولت حقيبتها :

— هذا ان شعرت بحنين لى ورغبة

لثمتنى :

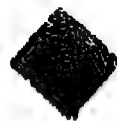
- وانا بدورى سانتظرك ان شعرت بلهفة اليك وشوق

عند الباب قالت :

- اذا لم يجد احدنا الآخر فلا داعى لأن يجهد نفسه في  
البحث عنه ..

انصرفت .. وراقبتها من النافذة تعبر الحديقة ،  
وتغيب .. ثم رابت اما تؤرجح طفلتها فوق الأرجوحة ، ثم الطفلة  
بدورها تؤرجح دميها ، لتمضى بعد ذلك في أعقاب أمها ،  
ووجدت نفسى اهتف فى أسى : « أين أنت يا شوقى بك ؟؟  
يا شاعر النظرة فالابتسامة فالموعد فاللقاء ؟ ! هاندا قد عشت  
تجربة شهورك المبددة فى يوم واحد ، دون افتعال ، دون وقت  
ضائع ، دون صد كفين » .

بعد الحلاقة تذكرت هدية الكولونيا .. وعلى مائدة الافطار  
اكتشفت ان البطاقة مازالت فى جيبى ناقصة ، واننى لم ادون  
التاريخ فى بدايتها !! .. سجلته ، ثم رحت أفكر ان كان هناك  
كلام يمكن ان أضيفه ، فلم أجد سوى ثلاث كلمات : « الناس  
هنا يعيشون .. »



# الأيام التالية



## لا يذكر البداية

يلوم نفسه لأنه لم يحدد مواعده في وقت مبكر ، لماذا بعد  
الظهر واليوم عطلة ؟ !

يعود الى جريدة الصباح محاولا القراءة لكنه لا يقدر على  
التركيز ، يقرأ طالعه اليوم ويبتسم ، ويركن الجريدة ليتابع  
خطوات زوجته المنشغلة في شئون البيت ، لا تعلق بقدميها كثيرا  
عند السير ، وانبعاجات عديدة أثقلت جسدها ترهلا ..

يسمع صوت « السيفون » ، ثم يرى ابنه الكبير يخرج من  
دورة المياه وفي يده احدى الروايات ، يتأمل نحافته وابيضاض  
وجهه ويتعجب . تأتي ابنته الصغيرة لتجلس لصقا به ، تعبت  
بالجريدة بعض الوقت ثم تترك لخيالها العنان منطلقة في أسئلتها  
المحلقة المربكة .. على عكس المرات السابقة لا يستجيب لها ،  
ويضيق بثرائها وبحلولها الغريبة التي تقترحها لأعسر المشاكل  
العالية والكونية .

يدخل الحمام ليحلق ذقنه . على غير عادته ينظر طويلا الى المرأة . يطالعها وجه شاحب اللون وأنف مستطيل ، ويكتشف تجاعيد خفية سفيرة تحصر بينها فما لا يعلوه شارب .. وبقعتين سوداوين فوق كل منهما عين جاحظة تحملقان نحوه !!

يخرج الى الطريق - حتى اللسان رأى به بعض التشققات المصفرة !! أصبحت مفاصل الساق اليسرى تؤلمه - يجد على المقهى شاة العجائز المبكرين فينظر الى ساعته ، ويفكر ان كان يجلس مريهم ام يسرع الى حفلة الصباح للفيلم الهندى ..

سرعان ما يسود الظلام فى صالة العرض ، وتبدأ الجريدة الاخبارية . يخرج علبة السجائر ليشعل واحدة .. قال له الطبيب : اظمن أنت بخير ، لكنه أمره بالاقبال من التدخين ، فيعيد العلبة ، يرى فى الجريدة لقطة لأحد السفراء الأجانب يقدم أوراق اعتماده الى رئيس الجمهورية .. ثم لقطة لصاروخ يهبط فوق سطح القمر ليقلع منه نائبة عائدا ، يدهش جدا ويشئى فى سره على عظمة هذا العمل .. ثم يشاهد فقرة مصورة فى هيئة الأمم المتحدة لم يفهم نماما المقصود منها .. وبعد ذلك تطالعها بعض الوجوه الصفرة فيرجح انهم اما من اليابان او من الصين ثم يكتشف انهم من فيننام ، فيعرب للجالس الى جواره عن شدة اعجابه بكفاح هؤلاء الناس ، لكن جاره بهز رأسه فى اقتضاب وعزوف عن الكلام .. ويتعمر بضيق شديد عندما ينتهز هذا الجار لينزوى فى اقصى الصف ! .. ويجد نفسه يشعل سيجارة رغما عن اوامر الطبيب ورغما عن تعليمات ادارة السينما .

بعد الاستراحة والاعلانات يبدأ الفيلم الكبير . قالوا له فى المكتب : انه فيلم ظريف بالألوان الطبيعية ، وانه من إطول

الأفلام الهندية ، وبه رقصات مسلية و اغان كثيرة ممتعة الى جانب أنه يحكى عن حياة بعض المساكين الشرفاء .. وطوال مدة العرض ، لم يمنعه استمتاعه بتكييف الهواء من أن يحزن في حرارة وصدق على فقراء الهند حزنا شديدا .

يخرج من السينما وقد قرب موعده المنشود . يستقل إحدى سيارات التاكسى مخبرا السائق عن وجهته ، يستبعد السائق اسم المكان فبؤكده له .

في الطريق يتساءل : متى كانت أول مرة فكر فيها في هذا المشروع ؟ ! لكنه يأخذ في مراقبة السائرين : تسبقهم الأقدام اليمنى مع الأيدي اليسرى ، ثم تتبادل معها تلقائيا الأقدام اليسرى والأيدي اليمنى ، يتكرر ذلك دائما طالما هم سائرون!! . يتسم ابتسامة نصفية تكتمل عند رؤيته لبعض الأطفال يلعبون .. وتمتلئ نظراته بالاعجاب من بعض النساء الصغيرات ، يهمس في شيء من الحسرة والأسى : أنيقات وفتيات ... وبعد قليل يضيق صدره من رؤية بعض الأماكن القذرة البائسة .

يخف ضجيج المدينة .. ثم يحيط الخلاء بالطريق من الجانبين . وقال الطبيب : عليك ألا تجهد اعصابك كثيرا ... ثم يترامى عن قرب المكان المنشود ، خفيضا كالحا مهجورا .. فمتى فكر في الابتعاد عن مكان الأجداد ؟ !

عند نهاية أسفلت الطريق يتوقف به التاكسى ويسأله السائق ان كان سيعود فيرد في غضبة مباغتة :

— طبعاً يا أخى ..

— آسف يا سيدى .. أقصد هل ستعود سريعا حتى  
انتظرك ؟؟

— كما تحب .. لن اغيب طويلا ..  
وتدوس قدماء فوق التراب .

عند نهاية الحارة الترابية بجذ المقاول فى انتظاره مبتسما  
مرحبا ، يتقدمه ليريه الطريق . لا احياء غيرهما والشمس حامية  
والظلال قليلة ، معظم البنايات من حوله واطية لا تعلو كثيرا عن  
سطح الأرض ، بعضها عال فاخر الى حد كبير .. طليت الغالبية  
بالجير الأبيض وزركش القليل فى بذخ ظاهر .. يتسم فى داخله :  
الفوارق الطبقيّة حتى الرمق الأخير ! .. يتجهم وجهه فى قسوة :  
التقطيبة هى المظهر الملائم لهذا المكان .. لكن كيف بدأت فكرة  
هذا المشروع ومتى كانت أول مرة ؟ !

يتوقف المقاول فيسأله :

— هنا ؟؟

— نعم . موقع ممتاز كما ترى .

يتأمل مساحة الأرض الصغيرة الخالية ، تقرب من مساحة  
غرفة الأولاد .

يندهش :

— لكنها لن تكون فسيحة ؟ !

— بل فسيحة بما يكفى يا سيدى ..

ربما .. وقد تكون غرفة الأولاد بادية الضيق لازدحامها  
بالأثاث . المقاول يسأل :



- وای لون تفضل ؟؟
- ماذا ؟ !
- ابيض !م ازرق ام سماوى ؟؟ .. جارك هنا جعل اللون في الداخل بنيا ..
- البنى كئيب ، انا ارتاح الى لون السماء .
- اختيار ينم عن الدوق .
- اشكرک .
- يدون المقاول ملاحظاته في نوتة صغيرة نم يقول :
- لكن جارك هذا طلى السقف فقط بلون السماء ..
- اريد السقف والجدران ..
- فهل تريد أية رسوم على السقف ؟؟
- ما الداعى ؟ !
- هو رسم بعض النجوم وأربعة ملائكة يتسمون . مسألة مزاج ..
- اريده بلا رسوم .
- فهل تريد بعض التماثيل ؟؟
- للملائكة أيضا ؟ !
- يمكن ان تكون للملائكة ، ويمكن ان نجهز لك تماثلا نصفيا أو بالحجم الكامل .
- لا داعى ...

... فسوف أتواجد بنفسى .. وعندما كان طفلا سمع  
إخاه الأكبر يقول :

(( ماما ماتت ، ماما ماتت )) .. ثم رآه ينتحب باكيا فبكى  
مثله ، وبعد ذلك صعد الى سطح الدار وطارد الدجاجة الفيومي  
.. لكنه بعد سنوات انفرد بالبنت فتحية فزنقها فى أحد أركان  
السطح وأخذ يقبلها ويصيح بشديدها الصغيرين ، وقاومته يومها  
بضراوة ، لكنها صعدت معه فى الأيام التالية .

المقاول يسأل :

- وفى الخارج؟؟ أى لون تفضل؟؟

- الأبيض .

- بالزيت أم بالجير؟؟

- الأفضل بالرخام .

- يكلف كثيرا .

- ابيض بالزيت .

- عظيم .. واللافتة؟؟

- اية لافتة ؟ !

- لابد أن نضع لافتة بالاسم . جارك هناك كتب عدة

آيات على الرخامة وتحتها حفر اسمه ..

- فلتحفر الاسم فقط ..

يفاجأ بوجود كلب أسود كبير ، يتودد اليهما بهزات ذيله  
المتسخ بالطين ، يلقيه المقاول بطوبة ثم يعود ويبتسم ابتسامة  
العمل :

— اعطنى الصيفة من فضلك حتى اكلف الخطاط  
بتجهيزها .

— فلنقل مثلا . . فليكتب اسمى فقط ، لا اكثر ولا اقل .

متى كانت اول مرة فكر فيها فى الابتعاد عن مكان الأجداد ؟ !

— باللون الأسود ام المذهب ؟؟

— الأسود البيق .

— تريده بالخط الكوفى ام بالنسخ ام بالرقعة ؟؟

— بالرقعة . . اعتقد بالنسخ افضل .

— اجمل واسهل فى القراءة . .

— السهولة مطلوبة فى هذه الأحوال .

يرمق الما قول وهو بومىء فى جدية ، ثم تحول عيناه الى  
امراة وحيدة فى سواد ، تقف خاشعة فى مواجهة احد الأبنية :  
زوج ام ابن ام أخ ام حبيب ؟؟ . . يشرذ ذهنه الى زوجته : من  
سيكون الأول ؟؟ لا توحى تجاعيدها ونسبة الشيب فى رأسها  
بأنها سوف تكون البادية . . يهز كتفيه : العلم فى الغيب ، وعندما  
كان صغيرا كان يظن أن الموت يأتى للآخرين فقط ، أما الآن ! . .  
( فجأة يجد نفسه وقد فارق الحياة توا ، وهو مكفن فى ثوب  
ابيض وزوجته تبكيه بكاء مرا وهى فى لباس يشبه السارى  
الهندي ، بينما العمال فى الساحة يعدون الحطب والوقود استعدادا  
لحرق جسده ، بينما واحد منهم يتأمل جسد الأملة الحزينة ) .

يعود الى وجه الما قول ليجد أن ابتسامة العمل قد عادت  
الى وجهه وهو يقول :

- نحن ننفذ بكل دقة طلبات الزبائن يا سيدى ..
- هذا واضح ..
- فلا تتضايق من كثرة أسئلتى ..
- أبدا أبدا .
- ( ثم يرى زوجته تبكى حزينة أمام قارورة صغيرة بها رمال  
كل جسده ) .. الا ان المكاول بساله :
- فهل تحب ان نزرع حوضا صغيرا من الزهور امام  
الباب ؟؟
- لا يضر .. ولكن من سيعاه ؟؟
- سندبر ذلك .
- حسن .
- فأى نوع من الزهور تحب أن نزرع ؟؟
- لا افهم فى الأنواع ، اريده وردا بألوان جميلة ورائحة  
عطرية .
- هذا له سعر وهذا له سعر ، لكن الفرق ليس كبيرا .
- لون جميل برائحة عطرية .
- سنفعل لك ذلك ، فهل تريد نباتات متسلقة ؟؟
- لبلاب ؟؟
- لبلاب او فضية ، فى شهور قليلة يمكن لشجرتين ان  
تغطى اوراقهما كل البناية .

يومئذ في ملل : الخضرة طيبة . يتابع النوتة وهى تعود الى الجيب .. ويذكر نفسه بالمانجو ، عليه ان يتناع - وهو في طريق العودة - بعضا منها للأولاد ، زاد سعرها كثيرا عن سعر آخر مرة اشتراها ، لكنه سوف يتناع منها ما يكفى أسرته ، الأولاد يحبون المانجو ، خاصة البنت الصغيرة ذات الأسئلة المربكة ، تظل في شرفة البيت ترافق الشارع حتى تراه قادما فتلهل بأعلى صوتها : « بابا عاد .. بابا عاد .. » .

يرجع الى وجه المناول فيجد ابتسامته التى لا تتغير ، وفمه يقول :

- سوف ننقل كل ذلك على اكمل وجه يا سيدى ..

( ومن فوره يتخيل البناء مشيدا مطليا وقد ثبتت الالفة باسمه واسم أسرته ) - ورأى قفصه الصدرى وهيكله العظمى في صورة غريبة ، فلما أنزل صورة الأشعة عشى الضوء عينيه ، وعندما استبان له وجه الطبيب رآه يتسم قائلا : « اظمن . عليك فقط بالاقبال من التدخين والابتعاد عن الاجهاد وتجنب النرفزة ومناطق الضجيج » - فقط !!

يشعر بانتقباض قاس ويدوار خفيف . يبادر قائلا :

- اشكرك . يمكننى الآن ان أمضى ..

- سؤال آخر من فضلك

- تفضل ؟؟

- القفل ؟؟

- ماذا ؟ !

- طبعا نشترى للباب قفلا ثقيلا متينا ؟
- وما الداعى ؟ !
- لصوص هذه الأيام يتاجرون فى كل شىء .
- يتسم مستسلما مزمعا الانصراف :
- لن يسرقونى !!
- غير أن المقاول يقطب فى جدية :
- سيدى .. كلية الطب تقع قريبا جدا من هذا المكان .

نوفمبر ١٩٧٠

## الوباء الرمدى

كان ما رأيته غريبا حقا !! لم أر مثله من قبل ، رغم اننى  
رأيت الكثير .

كنت منصرفا عقب ان انهيت زيارتى للمدرسة الثانوية  
بالمدينة ، وحدث ان دق جرس الانصراف ، وبدأ التلاميذ  
يهرولون خارجين من فصولهم صاخبين مهللين .. لكننى لاحظت  
ان تلاميذ فصل ثانية علمى خامس كانوا أسرع التلاميذ هرولة ،  
فرادى ، وفى هدوء مريب !! وقد تشاغل كل واحد منهم عن  
باقى زملائه بترتيب كتبه !! .. وليس هذا هو الأمر الغريب الذى  
لفت نظرى ، العجيب حقا ان معظم تلاميذ الفصل كانوا يضعون  
فوق عيونهم نظارات سوداء !!

لأول وهلة ظننتهم مكفوفين الا أنهم كانوا يعرفون طريقهم  
جيذا .. قلت ربما « وباء رمدى » ، سألت الاخصائى  
الاجتماعى فقال :

- هذا الفصل الآن اهدأ فصول المدرسة ..
- وقبل ذلك : هل كانوا يضعون هذه النظارات السوداء ؟؟
- على الإطلاق ..
- مددت زيارتي لعدة ايام وقد صممت على معرفة الحقيقة ،  
فتقمصتني شخصية المحقق ..

### ● ماذا قال الطالب فتحي عمار ؟؟ :

- سر الباب . اندفع الناظر . كنت اجلس في الصف  
الأمامي . وقفنا . رأيت خدشين في ذقنه حديث الحلاقة .  
جلينا . قفز بطنه نحوى بشدة ( في البداية قال : قفز كرشه  
نحوى بشدة ، ثم استدرك وقال : قفز بطنه ) فسمعت صوته  
نهرنا في حدة : « ثانية علمي خامس . كل المدرسين اشتكوا لى  
منكم » . ارتج بطنه متذبذبا منتفخا مسحوبا حسب عنف  
التنائم . دار علينا بضربنا بالخيزرانة . واحدا بعد الآخر .  
أربع ضربات لكل تلميذ . قسمت الضربات ، اثنان على الكف  
اليسرى واثنين على الكف اليمنى . كان في عنفوان قوته معى  
لأنه بدأ بى ..

- ما سبب هذا العقاب في رأيك ؟؟

- لا اعرف

- لا تعرف ؟ !

- حتى الآن لا اعرف

- لماذا تستخدم هذه النظارة السوداء ؟؟



- لأنها تناسب وجهي .
- ألم نحاول أن تسأل عن سبب هذا العقاب ؟؟
- لماذا أسأل وأنا قد عوقبت بالفعل ! .

### ● ماذا قال الطالب حامد الأشقر ؟؟ :

- غاظني ان الناظر يضربني بلا سبب ، مددت له يدي ؛  
وكان قد ضرب صفا كاملا ، ضربني مرتين على كفي اليمنى ،  
وانتظر ان أنقل اليه كفي اليسرى ككل التلاميذ لكنني لم أفعل .  
ضرب الثالثة فلم أغير كفي وظللت مركزا عيني في عينيه فهبطت  
الضربة الرابعة عنيفة مفرقة عصبية ..

- آه .. حسن ..
- ما هو الحسن في ذلك ؟ !
- لا شيء ، ولكن ما سبب كل ذلك في رأيك ؟؟
- قال ان المدسين قد شكونا اليه .
- ولماذا فعلوا ذلك ؟؟
- لا اعرف .. لا اعتقد ..
- سؤال آخر : لماذا صممت على تلقي الضربات الأربع  
على كف واحدة ؟؟
- قبلي صرخ الولد أشرف حتى من قبل ان تلمسه  
العصا ، تماما كالأطفال ، وأردت أن أثبت للناظر ان هناك  
رجالا .

- هل كنت تستعمل هذه النظارة ؟؟
- منازا ؟؟
- هل كنت تستعمل هذه النظارة من قبل ؟؟
- لا ..
- لماذا اشتريتها ؟؟
- أعجبتنى ..
- الا يوجد سبب آخر ؟؟
- أبدا .. أعجبتنى فاشتريتها .

### ● الطالب عماد اسماعيل :

- عندما جاء دورى فى الضرب رفضت مد يدى . قلت :
- ان القانون يمنع الضرب .
- التفت الناظر الى المدرس وقال له : « هذا الولد يتحدث
- عن القانون !! » .. ثم اوقفنى عند السبورة فوقفت . كانت
- حصة كيمياء عن المركب والمخلوط ..
- وهل هناك فرق بين الكلمتين ؟؟
- طبعا .. المخلوط يتكون من عدة عناصر ليس بينها
- تفاعل ، ويظل كل عنصر فيه محتفظا بخواصه دون تغير ..
- اما المركب فهو نتج من التفاعل الكيمائى بين عنصرين أو أكثر .
- فهمت فهمت ، المركب فيه تفاعل اما المخلوط فمجرد
- تجاود .

– شيء مثل هذا . المهم أن الناظر بعد أن انتهى من ضرب كل الفصل أمرهم بالوقوف ثم اختار الخمسة الطوال فيهم وأخرجهم إلى جوارى .. لكن المدرس همس إليه فعاد واستثنى من بيننا رسمى الديب ، أسمعته عن والده ؟؟

– سمعت ..

– قلت للناظر : لماذا نحن ؟ ! .. قال : أنتم مفصولون .. قلت له : هل لأننا طوال القامة ؟ ! قال : أخرجوا .. قلت له : ولكن رسمى الديب أطول وأعرض منا !! فصرخ وقال : لا تعودوا إلا ومعكم أولياء أموركم .

– وبعد ؟؟

– خرجنا إلى الشارع ..

– هل تشعر بمرض في إحدى عينيك ؟؟

– لا .. لماذا تسأل ؟ !

● الطالب حسين أحمد سامي :

( علمت فيما بعد أن اسمه الحقيقي : حسين علي سراج ) .

– في الفصل قلت للناظر : لكنني ضربت دون أن اعترض فلماذا تفصلني ؟ ! .. وفي الشارع قلت لعماد اسماعيل : لولا سلاطة لسانك لما حدث كل ذلك ، كنا ضربنا وانتهى الأمر .. فغضب عماد وانهمنى بالجبن .. فقلت له أن يكف عن تصرفات المراهقين ..

– كم عمرك ؟؟

– أكبر منه بعامين .

- لماذا تضع هذه النظارة القاتمة ؟؟
- عندي حساسية ضد الضوء القوي .
- طيب ، نعود لحكايتنا ..
- كدنا ان نتشاجر نحن الخمسة - لكننا رأينا أحد تلاميذ الفصل يقفز ما فوق السور - ثم نانيا ثم نالسا حتى تجمع معظم الفصل ما عدا أربعة أو خمسة منهم رسمى الديب المستثنى ..
- أتعرف والده ؟؟
- سمعت عنه ..
- وعرفنا ان نادر طه مبروك هو الذى أقنعهم بالتضامن معنا ..
- ما رأيك فى نادر طه مبروك ؟؟
- لا احبه .
- ولكنه حرض الفصل من اجلكم ؟ !
- لا احبه .
- هل هو متفوق فى الدراسة عنك ؟؟
- ليس لذلك ..
- اذن ؟؟
- عندما حدثت الوشاية فيما بعد من بعض التلاميذ لدى الناظر ، حدث أن رأى نادر أخرج من غرفة الناظر فاشاع فى الفصل اننى جاسوس الادارة ..
- لا يبدو عليك ذلك ..

— شكراً .

— هل من الممكن أن اتفرج على نظارتك ؟؟

— تفضل ..

— عيناك جميلتان ، فلماذا تخفيهما بهذه النظارة القاتمة ؟!

— قلت لك عندي حساسية ..

— أحقا .. كانت هناك وشاية اذن ؟؟

— وأنا أشك في اربعة تلاميذ اولهم نادر ، ابن الفلاح

الخبيث ..

— وماذا كنت تفعل لدى الناظر ؟؟

— كنت أقدم له طلبا لاعفائي من رسوم مجلس الآباء ..

والدى فقير .

● السيد/ طه مبروك :

( فلاح — والد نادر )

— لا أحب النزول الى المركز ، ولا استريح الى اهل البنادر.  
واكره دخول مكاتب الحكومة ، لذلك فقد تضايقت عندما جاءني  
استدعاء من ناظر مدرسة نادر . نزلت المركز وتوجهت الى المدرسة  
الى غرفة الناظر ، فرحب بي الرجل ، وطلب لى القهوة ، ثم  
الكازوزة ، وظل يمتدحني قائلا بأنه عرف أنني رجل طيب وفي  
حالي ، وبأنى أصلى الفرض في وقته .. فلما دهشت قال انه  
سأل المدرسين عنى .. زادت دهشتي ، ولكنى سكنت ، وقلت  
في بالي ربما كان بالمدرسة احد المدرسين من أبناء قريتنا  
ولا أعرف .. ثم كلمني عن نادر ابني ، قال انه ولد نبيه ..

قلت له اننى عرفت ذلك من حادثة حصلت له عندما كان صبيا صغيرا ، وكنا فى انتظار القطار على رصيف السكة الحديد بالمركز ، ونظر نادر فرأى السلك المجاور للرصيف يهتز فهتف بأن القطار قادم ، نظرت فلم أر شيئا ، لكن بعد قليل جاء القطار بالفعل !! . ومن يومها قررت ادخاله المدارس ، فلما أنهى الابتدائى دفعت له اشتراكا فى قطار الركاب حتى يتوجه الى المدرسة الثانوية بالمركز .. ابتسم الناظر - مثلك هكذا - ثم قال لى : انت النموذج الصالح للأب المكافح ، فخطب من هذا الفول .. ثم قال انه استدعانى من أجل مستقبل ولدى . وفى الحقيقة فقد اعجبنى هذا الناظر ..

- هل أخبرت ولدك بما دار بينك وبين الناظر ؟؟

- طبعا . قلت له : عملت زعيما على آخر الزمن فضانك أصحابك ووشوا بك لدى الناظر ، وقالوا له : انك انت المحرض الذى ضحك عليهم !!

- فماذا كان رد فعله ؟؟

- بهت وجهه ، وظل صامتا عدة أيام لا يأكل الا القليل .. حتى عادوا الى المدرسة ليفاجئنى بعد عدة أيام بأنه يريد ان يشتري نظارة سوداء !! .. لم اعارضه ، وقلت لعل ذلك يخفف من أحزانه .

● **ولى امر الطالب حامد الأشقر :**

- رغم أنه أضال اخوانه جسدا ، فقد تلقى الضربات الأربع على كف واحدة .. أنا عمه ، ولى أمره ، توفى والده فصرت

الوصى عليه ، بعد شهور يستطيع أن يستقل عنى ان أراد ...  
شأى ام قهوة ؟؟

— شكرا .. حدثنى عن مقابلتك للناظر ..

— هذه المدرسة من أقدم المدارس بالمحافظة كلها ، كان  
أول ناظر لها انجليزياً ، كان يسير بعد الظهر فى الشوارع ببنتلون  
قصير ، أحمر الوجه والفخذين لكن كل أهل المركز كانوا يهابونه ..  
— كان ذلك فى الماضى ..

— طبعاً . أيام الملك ، ثم جاء من بعده نظار مصريون  
كثيرون ، وشهادة لله فان الناظر الحالى هو افضلهم ..  
كازوزة ؟؟

— شكرا .. حدثنى عن المقابلة ..

— اكتشف انه يعرف عنى كل شئ . قال انه سمع من كل  
الناس عن طيبتى وعن أسرتنا ، وانه يريد مصلحة ابن أخى ..  
— ماذا قال عنه ؟؟

— قال انه فتى مراهق ، وان من فى سنه يكون شغوفاً بحب  
التزعم والمشغبة ، وان هذا الكلام هو نفس ما يقوله علماء  
النفس .. ثم أسر لى بكل الوقائع ، وقال ان بعض التلاميذ ممن  
يتظاهرون بصداقة ابن أخى هم الذين أخبروه بذلك ، سرا ..  
ثم أخبرنى أيضاً بأن البوليس حذره من هؤلاء التلاميذ .

— هل ذكر لك الأسماء ؟؟

— لم أسأله . وشكرت له ثقته بى ، فهو لم يفعل ذلك مع  
أحد غيرى .

— وكيف تصرف مع ابن أخيك ؟؟

— نصحنى الناظر بالا اعامله بالشدة ، وانما بالنظام .  
قلت لحامد : كدت تضحي بمستقبلك من أجل أصحابك فانظر  
ماذا كان ردهم لجميلك !! .. ثم أفهمته أن كل انسان في هذا  
الزمان لا يعيش الا لنفسه ، وكل واحد تكفيه همومه ، فلا احد  
يحمل هم احد .. اليس كذلك ؟؟

● الطالب ا . س . د . :

( طلب عدم ذكر اسمه بالكامل ) .  
— من رأى فتحى أن الواشين هم : احمد وعباس  
ومجدى .. ومن رأى احمد أن الخائن : اما مجدى أو فاروق ..  
ويقول حين — وأنا اثق في آرائه — أن الواشين هم : نادر  
وسامى وعلى .. أما انا فقد أصبحت أركز شكوكى في سبعة  
تلاميذ ، ثلاثة منهم على الأقل هم الجبناء الخونة .. وفي جميع  
هذه الأحوال فهناك عدد من الواشين غير المعروفين بالتحديد  
حتى الآن .

— ما رأيك في الناظر ؟؟

— سيدى أنا لا اعرفك ..

— يمكنك أن تثق بى .. ما رأيك ؟؟

— سيدى .. لا رأى لى .

● الطالب نادر طه مبروك :

— يصل قطارى من القرية الى المركز في وقت مبكر عن  
موعد بدء الدراسة ، وبذلك يكون امامى وقت أقابل فيه عددا



كبيراً من التلاميذ . كنت أسأل نفسي كلما جاءت عيني على أحدهم : أهو واحد من الواشين ؟؟ وعندئذ لا تبقى نظراتي في نظراته .. لذلك تجنبت كل التلاميذ ، ولاحظت أنهم يفعلون المثل .

— شيء قاس !

— بل فظيع . اخلطنا في الفناء .. قلنا : « السلام عليكم » ورددنا : « وعليكم السلام ورحمة الله » .. أكثر من ذلك لم نتكلم .. فقط عندما يسأل أحدهم في ملل بصوت بارد غريب عن موعد انتهاء الحصة . لاحظت أن عيون الجميع تلعب لعبة المراوغة ، لا تتلاقى أبداً .. أبداً .. عاملت بعضهم بمجرد الريبة والشك وبعضهم بيقين قاتل . أصبح جرس الانصراف عندي هو أجمل ما في اليوم كله . الابتسامات تحولت الى شيء غريب لم أنصاعده من قبل يظهر قسراً على الشفاه ..

— ألم تحاول أن تعاتب أحدهم ؟؟

— حاولت مع سمير جاري في المقعد . أول مرة تكلمت معه هبط نظراته الى الأرض ، تاني مرة لأذت عيناه بما وراء ظهري ، وفي المرة الثالثة صمد هو لنظراتي .. فتجنبتة أنا ..

### ⑥ الناظر يتكلم :

— بعد أن قفزوا كالقروء من فوق السور وخرجوا الى أسوار ، النفوا وجاءوا أسفل حجرتي وظلوا ينادون : « أبو كرش ، أبو كرش » .. ولما اختلست النظر اليهم من وراء الشيش هتفوا : « نسايفينك ، شافينك » .. الملاعين الفسار !! .. لكن النظام استتب حتى النهاية .

— الم تتساهل عن سر النظارات السوداء ؟؟  
— لاحظت ذلك في البداية . ومن رأيي أن هذه النظارات  
ضرورية في مناخ شمس ساطعة حارقة كشمس مصر ، أنا نفسي  
أضع نظارة سوداء كما ترى . هل أنت معي في ذلك ؟؟

— . . . . .

— وعلى كل حال فقد فعلت ما فعلت من أجل صالح  
الجميع : النظام ، وأولياء الأمور ، والمدرسين . . وأبنائي  
الطلبة .

يونيو ١٩٧٠

## غمزة العين

لم نصل الى جواب اكيد ..

وكانت هذه اول مرة نعرف فيها أن فتحية ما زالت بكرا ،  
وان أمها فرضت عليها رقابة قوية وأصرت على بقائها هكذا حتى  
تكمل السادسة عشرة ..

– وبعد ذلك ؟؟

قال سمير :

– وبعد ذلك تنزل الى السوق مثل أمها .

شعرت بضيق :

– فكم عمر فتحية الآن ؟؟

قال سمير :

– أمامها شهران لتكمل عامها السادس عشر .

قال فهمي :

- ثلاثة أسابيع فقط .

وقال حسين :

- بل عام كامل رغم دوران الجسد .

لم نصل الى جواب اكيذ وانتهت، الفسحة .

بلحاهم وذموزهم الحمراء وينطدوناتهم القمصرة ساروا في  
الصباح المبكر ، بمخلاتهم فوق ظهورهم يتأملون البيوت القديمة  
في جنوب البلدة .. سياح فقراء قال سمير :

- وهكذا يجوبون العالم بأقل النفقات ، حتى وصلوا  
الى بلدتنا هذه التائهة في مجاهل الصعيد !!

تأملنا البنت النحيفة معهم بصدورها الصغير وشفتيها  
الرقيقتين ..

- حتى الجنس لديهم صار كالمأكول والمنسرب ،  
لا يعقدونه ..

توقفوا طويلا امام احدى البنايات العتيقة ، يحلقون فيها  
مبهورين . توقعنا ان يتجهوا الى حيث آثار الفراعنة في أرض  
المعابد ، فسحبني سمير صوب الحارة الضيقة المقابلة :

- اليوم نختر طريقنا الى المدرسة .

سرنا بين صفين من البيوت المفتوحة الأبواب ، مداخها  
مساحات من العتمة العظيمة . سمير ما زال مبهورا :

- لاشك في أن ذلك يؤثر على شخصياتهم ، طلبة فرنسا  
مثلا أجبروا حرماتهم على الاستقالة منذ سنوات ، طبعاً .  
تذكر ذلك ؟

لكن الحيوان الصغير عبر الحارة ركضا في لونه الرمادى  
فهتفت :

— هل رأيته ؟ !

ابتسم سمير وقال :

— الا تعرفها ؟ ! انها « العرسة » التى تعيش على مص  
دماء الدواجن ..

ثم ضحك وقال موضحا :

— انها « دراكولا الدجاج » ينقض على عنق الدجاجة يعرف  
جيدا مكان عرقها ، ولا يتركها الا جسدا بلا دماء ..

— لنخرج الى أقرب شارع مرصوف ..

— هناك مفاجأة ..

— لنترك هذه الحارة ..

قال :

— سوف اريك فتحية .

اخذنى من حوار طويلة متعرجة الى اخرى قصيرة متعددة ،  
وكانت البيوت متشابهة والوجوه متقاربة والرائحة واحدة ،  
وصار الشمال كالجنوب والشرق كالغرب ، وضاعت منى  
الاتجاهات ، واحسست بالرطوبة تتسلل الى بدنى ، فمشيت كما  
يمشى سمير ... فتحية هذه التى تدور من حولها همسات  
التلاميذ ، والتى سمعت عن امها الكثير .

في طاوور الصباح انهمك الناظر في القاء تعليماته اليومية ،  
لكن حسين همس لى بان « ام فتحية » هذه خبيرة في مهنة

الامتع ، كل زبائننا من كبار الموظفين ويمد من أثرياء الريف ..  
وفوق الدرج الصاعد الى الفصل قال فهمي أنها ثمانية السمر  
جدا .. لذلك أكد لنا معدوح في معمل الكيمياء أن أحدا منا - حتى  
من تلاميذ السنوات الأعلى - لم يصاحبها ، ومن قال غير ذلك  
لا تصدقه .

لكزنى سمير :

- انظر ..

طبق الفول في يدها وتحت ابطها عدد من الأرغفة ، على  
عكس كل البنات في بلدنا ليست فتحة سمراء أو قمحاوية  
اللون وانما شديدة البياض نظيفة ، قفازة النظرات ، تمشي  
تنضحك مع المارة .

حملقت نحوها . همس سمير :

- رائعة من جميع زوايا الرؤية اليها ، اليس كذلك ؟؟

تسمرت مأخوذا وكانت ترمقني مبتسمة ، فجاءني  
بالحاح :

- حذار ، جميلة لكنها شرسة .

في عدوبة شديدة - ولدهشتنا - غمزت لي باحدى عينيها .  
فشهق سمير .. وفي نعومة بالغة - وقبل أن تختفي في عثمه  
دارها - التفتت نحوي وضفطت بأسنانها على شفتها السفلى ،  
فدام الصمت لحظات ثم وضع سمير كتبه تحت ابطه ليخرب  
كفا بكف :

- انها تحلق وتبتسم لكل التلاميذ ، لكن ان حاول

أحدهم مغاللتها شتمته هو وأمه ومن خلفوه .. لكنها معك  
انت - انت !! - لم تفعل ذلك !!

في فناء المدرسة وأثناء المسحة الصغيرة خيل الى ان معظم  
التلاميذ يعرفون واقعة الفيزة ، فشعرت بالزهو . وأمام الباب  
الخارجي تعجب أحمد :

- مع أنك لا بالجميل ولا بالوسيم !

وفي الأيام التالية تعودت خطواتي على الوصول قرب دارها  
في نفس وف خروجهما لشراء الإفطار - كما تعودت هي ان  
تأتينني في احتلامي - وصار طريق الحواري هو طريقي في كل الأيام،  
وصرت أعرف تفاصيله بكل دقة :

في الانشاء الأولى أجد الدار التي يكشف طلاؤها القديم  
عن الطوب اللبن ، ثم أسمع الصوت الرجالي الذي ينهر احدي  
النسوة ولم أسمعها ترد عليه أبدا ، ثم أرى البيت حديث الطلاء  
الذي « حج صاحبه وزار قبر النبي المختار » .. بعد ذلك أعبر  
مثلث الشمس المتسلسل الى الأرض لأقرأ التحذير التالي :  
« ممنوع لصق الاعلانات بأمر الحكومة » لكن بجواره عدة اعلانات  
انتخابية لمرشحين عن الفئات المختلفة ، وبخط رديء : « يعيش  
فريق الصقر الأسود : الكابتن منصور » .. وتعودت على رؤية  
العريسة تجرى وتقفز فوق بقع الطين ، ومرة رأيت قطا يطارد  
احداها لكنها اختفت في جحر ضيق الفتحة .. وكلما رأيت  
دجاجة ملقاة في الحارة متخشب الجسد متقلصة الأصابع زرقاء  
البشرة عند البطن والصدر ، وكلما رأيت الجرح الفئاث في  
عنقها وخط الدماء المتجمد حول منقارها تخيلت الموقف : يكون  
الوقت ليلا وتكون الدجاجة نائمة ، وتستيقظ على عنقها في فم

المرسة فلا تقدر الا على الصباح المكتوم ، وفي بطء تتسرب  
دماؤعا فتحس بخدر ووهن وتتقوس أصابعها ويزرق جسدھا .

لكنى فى نهاية كل ذلك أجد ابتسامة فتحية . انظر صوبها  
فقط ، أحيانا نسمدنى بابتسائتها ، أحيانا أخرى لا تشعر بى ،  
مراب ثلاثة أسابيع انها تستبى فانكشيت فى نفى ، ومرة  
شاهدتها تلتقط فردة شئبها وتجرى مطاردة عرسة رمادية  
اللون ، فصعدت الدماء الى وجهها لتضاعف من حلاوتها مئات  
المرات ، فيبرنى وجعلت دمائى تنسحب من وجهى ، وظل وجهها  
يلازمنى طوال الدروس الأولى .

وكلما تخيلت اقتراب عمرها من السادسة عشرة شعرت  
بحزن غريب مبوم ، كاذنى مقبل على فقدان شىء عزيز .. حتى  
قال سمير ذات يوم هازئا أن شابا اسمه « أشرف متولى » عرض  
عليها الزواج رغم تدينه من سيرة أمها . شعرت بالارتياح لكن  
سمير سخر من كل ذلك فكرهته .

رايت « أم فتحمة » فرايت الشعر الذهبى واضح الصبغة ،  
ورائت التجاعيد وقد غزت العنق الرخامى ، والخطوط الغائرة  
وقد ظهرت فى الجبهة الناصعة ، ولحم الذراعين وقد ترهل ..

اشترنا السندوتشات من الكنتين وعلق سمير :

— ذلك فان زبائنھا أخذوا يطالبون بالبنيت عوضا عنها ،  
لكن الأم قالت لرجالها المتهلفين : « ليس قبل أن تبلغ عاموسا  
السادس عشر » .

فتوقفنا عن المضغ ، وكانت هذه أول مرة نعرف فيها أن  
فتحية ما زالت بكرا !



لم نصل الى جواب اكيد .. وتساءلت انا ان كان من الممكن ان يحدث شيء ما خلال الوقت المتبقى : كان تفر من امها وتعمل كاية بنت اخرى ، كان تتزوج من « أشرف متولى » هذا ومئات البنات يعيشن مع أمثاله في دعة ، الا أنهم سخروا منى ، قالوا انه ضئيل المرتب نحيف الجسد ضعيف البنية ولن يرضى فتحية من جميع النواحي .. تم تحدثوا عن ذلك المحظوظ المنتظر ، واتفقوا على حتمية أن يدفع مبلغا عظيما . قال أحمد مفسرا :

— لا تحدث اول مرة الا مرة واحدة ، سجلوا هذه الحكمة في كرايسكم .

ونحن نبتعد عن المدرسة صوب النبل رشح سمر لهذه القلقة نائب المأمور ، قال ان زواجه ليس دليلا كافيا على حسن سيره وسلوكه .. لكن حسين أصر على طبيب الصحة لأن أمثالها في حاجة الى نوع خاص من الخدمات الطبية ، فرد سمر المناكف: انها بالمال يمكنها استئجار أبرع الأطباء .. وفكر ممدوح في مهندس المحاج وسيارته الجميلة .. ثم في سعيد المزارع الذي يمتلك الحد الأقصى من الفدادين .. ولما فحصوا وضع مفتش التحوين وقدرته على امدادها بما يشح من السوق أكد فهمي ان فتحية لو ترك لها الاختيار فسوف تختار كابتن فريق كرم القدم .

تعالت الأصوات واحتدت ، وكل واحد يذكر مميزات مرشحه .. وفي وسط كل ذلك استبعدوا أسماء أخرى اما بسبب كبر السن واما بسبب شائعات عن أصحابها بعجزهم الجنسي المبكر واما بسبب نقص المال برغم الفجولة .

تركنا الشارع ، مخترقين ارض الكلا اختصارا للسافة :  
وفكرت انا في صمت : لو فتحة صديقتى لاقنعتها بالزواج من  
« اشرف متولى » هذا - وقلة الدخل ليست عيبا - على ان  
تنفصل هي عن امها وبنفل هو نفسه الى أية مدينة أخرى بعيدا  
عن كل هؤلاء الناس .

( في المساء وقبل ان انام زارتني فتحة الحبيبة ورقبت  
بجوارى .. وبعد قليل اختطفتها في آخر لحظة من بين برائن  
هؤلاء الرجال الوحوش ولقنتهم درسا قاسيا لن ينسوه .. وبعد  
ذلك بقليل أيضا تمكنت بطريقة ما من جدل امها السادس عشر  
يتأخر ويتأكأ في الجيء حتى انتهيت انا من تعليمي في الثانوى ثم  
الجامعة وتوظفت وتزوجتها رثم معارضة أسرتي ، وقبيل شفتيها  
الطريتين في قبلة نائمة وعشت معها في سعادة هائلة لتبدأ عامها  
السادس عشر ... )

... لكنى في الصباح عندما فتحت عيني ووضعت رأسي  
تحت ماء الصنبور البارد تمنيت لها - أسفا - ان تموت .

قرب الامتحان اختفى الكلام تماما عن فتحة وعريسها  
الموعود وعن امها ورجالها . واثناء الامتحانات كنا نتحدث في طريق  
العودة عن افضل الحلول لكل سؤال . اختلفنا كثيرا حول  
اجابات المواد النظرية كاللغات ، لكننا في الرياضيات والعلوم لم  
نختلف ، وعقب امتحان الكيمياء وبينما نحن نبحث عن الجواب  
الصحيح لاحدى المعادلات اذ بسمير يهتف بغتة :

- منذ ثلاثة ايام ، اطال الله بقائكم ، بلغت فتحة السادسة  
عشرة ..

فضول ثقيل . سأل سعيد :

— وهل حدث الأمر ؟؟

تحرك فم سمير :

— في الليلة التالية مباشرة ..

— اكيد ؟؟

برقت عيناه . التهبت جفوني . سأ لسعيد في لهفة :

— فمن نالها ؟؟ من الأول ؟؟

شعرت بأناملى مثلجة وبجسدى ثقيل فوق ساقى ،  
وسمعت صوتى يرتعش فى داخلى : وهل تفرق ؟ !

اغسطس ١٩٧٠

## المنام

---

ولأنها البنت الوحيدة التي انفتحت لها قلبي ، فقد كانت  
رغبتي أن ألتقي بها وحدها ، أن اتحدث معها على حريتي . كنت  
قد جهزت كلاما كثيرا معظمه رقيق ، وكله صدق ودفع .  
لكنها جاءت ومعها إحدى زميلاتهما ، فتكونت الجلسة من ثلاثة .  
ارتبكت . صارت زميلتها بيني وبينها . لم يعد من المناسب أن  
أقول لها ما كنت أود ، ربما كنت قد نسيت . ما يقال لواحد  
لا يقال لاثنتين ، ويختلف الكلام حسب عدد الجالسين وأنواعهم .

جلسنا نثرثر في أمور عديدة ، ونظارفنا كثيرا ، وقصصنا  
بعض الملح . . لكننا أكثر من ذلك لم نقل . . وعلمت أن اسم  
الصديقة سعاد .

قالت نبيلة انها أصبحت تتعب سريعا من صعود الدرج  
هذه الأيام ، فردت صديقتها بأن هذه أعراض الشيخوخة . .  
كانت تظن أن هذه تكتة ، لكننا مع ذلك ضحكنا .

وصفت نبيلة آخر فيلم شاهدته بأنه ليس بفيلم على الإطلاق ، ثم تساءلت عن سبب تدهور السينما لدينا ؟؟

— وهل السينما لوحدها ؟ !

قالت الصديقة ، مؤكدة ان الصلة تكمن في مسنونا الحضارى كدولة نامية .. فعلقت أنا بأن سينما العالم الثالث صارت تهز الدنيا الآن .

وحدث خلال الجلسة ان التقت عيناى بعينى نبيلة ، كنت أريد أن أنقل بعضا من شعورى نحوها — ان لم يكن باللسان فبالعين — لكنها كانت تسارع بالنظر الى صديقتها .. فكتب أعود مهزوما للمشاركة فى الكلام .

مساء اليوم التالى جاءنى أحد الأصدقاء مع زوجته . وأخذانى الى ملهى « ميرى لاند » الليلي فى مصر الجديدة .. وكان هناك قوم كثيرون ، ألحنت زوجة صديقى بأن معظمهم من الشخصيات المعروفة وإبنائهم ، ثم عادت تتابع الفرقة الموسيقية التى تعزف الألحان الغربية .. وكان كل ما حولنا : تائق فى الشيايب تلتطف فى تناول العشاء ، وتبسم عند احتساء المشروبات .

بدأ الرقص فوق الدائرة المخصصة لذلك . ذهب صديقى ليراقص زوجته ، وصرت وحيدا ، بينما كل من فى الدائرة : امرأة ورجل ، فتى ونساء ، والموسيقى ناعمة وبطيئة والجمع ملتصقون .

تمتعت برؤية وجوه النساء من فوق اكتاف الرجال ومن جوار أفقيتهم .. وكانت الأرجل منظمة ومقيدة فى حركاتها :

كرهت هذا التماثل ، وكانت كل الخطوات متزامنة حسب ايقاع العزف البطيء ، ولم يعجبني هذا البطء .

وعندما انقلبت الموسيقى عنيفة وسريعة ، انسحب من الساحة كبار السن ، وتدفق اليها عدد كبير من الشباب . ادهشني ذلك في البداية ، فلما تأملت الرقصة لاحظت أنه لا توجد قاعدة محددة لحركاتها ، ولاحظت أن الراقصين لا يلتصقون وانما يواجه الفتى راقصته عينا في عين ، كل الأجسام تهتز وتتكهرب لكن لم تكن هناك قاعدة ، ولم تكن الموسيقى تتسلط على الخطوات ..

اعجبني كل ذلك ، وقلت ان اى انسان يقدر على هذا الرقص ، فقط يصعد الى الحلبة ويستسلم للاحاساس بالراقصين من حوله .. وتمنيت لو كانت معى نبيلة - كنت أجلس وحيدا -- ورغم حدة الموسيقى كانت الاضاءة خافتة ، وازواج الراقصين من أمامي باسمين ، فhezنى كل ذلك وانهشنى ، وكان الدخان يملأ المكان ، وفوق كل ترابيزة شمعة مشتعلة ...

( ولما نظرت الى جوارى وجدت نبيلة في ثوبها الأبيض الذى يشبه الفراء ، وكانت تبسّم وكانت أحلى من كل الأوقات ، وصعدنا الى الحلبة واندسنا بين الراقصين ، وسرعان ما سرت روح الرقص فى جسدينا - وكان جسدى خفيفا جدا - واندمجنا مع الجميع ، وسمعت تنفسهم ولهثهم ، وشممت عرقهم وعطّهم ، وشاهدت السعادة فى عيونهم ، ومارسنا الحركة معهم ، وكان هذا عظيما ، وكانت نبيلة تواجهنى وكنت اواجهها ، ولم تفادى نظراتها وجهى ، وقلت لها كل ما اريده فكانت تنزل بنظراتها الى شفتى .. )

غير أن الموسيقى أبطأت وعادت رتيبة ، فانسحب الصغار  
وصعد العجايز وعاد صديقي وزوجته ، فافقت ، وكانت الدماء  
في وجهيهما . وقبل أن نعود لأحاديثنا الاستطراذية واعدت  
نفسى بأن احكى قصة هذا الحلم الى نبيلة ، وذلك فى الموعد  
القادم . .

... لكنها جاءت ومعها زميل لها طويل اسمه مهدي ، كان  
يفترب من وجهها عندما يوجه حديثه اليها ، وكان يفعل ذلك  
بنظرة جسورة وإبتسامة صلفة ، وأذكر أنه لما جلس انثنت  
ساقاه أمامه كالأرجل العنكبوت .

كانت نبيلة ترتدى فستانا قصيرا ، فأعجبني منظر سافيتها  
ولاحظت خلوها من الشعر أو آثاره ، وصرنا نتكلم ، ونسيت  
الكلام اللطيف الذى كنت قد جهزته لنبيلة ، وحتى قصة  
سهرتى السابقة لما حكيتها اكتفيت بنصفها ، ولم أذكر كلمة  
واحدة عن حلمي القصير بالرقص معها ، وبدلا من ذلك مضيت  
أروى قصة ملفقة : فقلت اننى عدت بذاكرتى الى قريتنا  
بالصعيد ، حيث رأيت نفسى طفلا حافيا وسط العيال نلقى بالظوب  
الى النخلة ليتساقط بلحها ، ونطارده كل كلب نراه بالعصى  
والجريد . ثم تذكرت حقن الباهارسيا الكثيبة التى أدمت  
جسدى الضعيف ، وتصورت أبى جالسا أمام الدار يشرب الشاي  
الأسود ويتسكو من معاملة موظفى الزراعة ومن تغيب طبيب  
الوحدة ، ويقف احتراماً لمروء الضباط . . ورأيت طابور  
الصباح فى مدرسة المركز ونحن نحى العلم ونهتف للجمهورية . .  
وفى مطلع الفجر تصورت أمى وهى تستيقظ لتحمل الفرن للخبز،  
وتخيلت أنها لو رأتنى فى ذلك الملهى لأصابت الدهشة عينيهما  
بالشلل . .

ضحكت نبيلة من ذلك ، وارتعشت ساقا مهدي في رعشات عصبية ، وقلت له ان هذه السهرة نموذج مصغر لسهرات الطبقة الجديدة ، ثم سأله عن رأيه فيهم فهز كتفيه دون اهتمام .

تماكرت نبيلة وسألتني عن دفع الحساب ؟؟ فقلت لها :  
— تعرفين ان راتبى لا يكفى الا لايجار الشقة وللأكل  
الضرورى ..

ولما اضفت :

— وللإقتراض في آخر الشهر .

اعتبرا ذلك نكتة فضحكا ، لكنى هذه المرة لم أقدر على المشاركة .

أذكر ان الصمت تخلل هذا اللقاء عدة مرات . يكون الصمت بين اثنين متوادين صمتا عن الكلام المسموع فقط ، أما الصمت بيننا نحن الثلاثة فقد كان انكماشاً وعزواً .

وفي المرات التالية جاءت سعاد مع نبيلة .. وصار الصمت يطول .. ويتعدد .

في اللقاء الذى جاء بعد ذلك تأخرتا عن الموعد عشر دقائق .. وهذه المرة لم أكن قد جهزت كلاماً أريد أن أقوله لنبيلة ، وقصصت عليهما نكتة مهذبة لكنها في باطنها تحمل معنى بديها ، فوجمنا برهة ثم نظرنا لبعضهما وانفجرتا ضاحكتين .

وبعد النكتة جاء الصمت .. ثم تكلمت نبيلة .. ثم حدث صمت أطول .. وظلت اللعقة بين أصابعهما تدور في فنجان الشاي حتى بعد أن ذاب السكر ..



وكان النيل من اسفلنا ساكنا كسكون الهواء ، وكانت  
الضفادع تنق عند جسرهِ .. ولاحظت نبيلة ان المياه تذبذب في  
موجبات ضئيلة . فقالت :

— يبدو ان هذه الموجات لا تفارق اماكنها !!

قلت :

— لكنها في الواقع متحركة ، لأن النيل ينبع من اواسط  
افريقيا ليصب في البحر المتوسط ، فهو اخن يجري من الجنوب  
الى الشمال ، ولا بد انه متجه الآن صوب الشمال !!

قلت وانا امسح عرقى :

— ويتضح هذا لو القينا اليه بشئ يطفو فوق سطحه .

قالت تسخر :

— انت عزيز العلم ، علمتنى ما لم اكن اعرف !!

قلت لها :

— شكرا .

ثم قرأنا طالعتنا في الجريدة — وكانت الضفادع تنق —  
وضايقنى بعض الشيء ان نبيلة ولدت في برج الدلو ولم تولد في  
برج الحوت الذى ولدت انا فيه ، أما سعاد فأظن أن برجها هو  
العذراء أو ربما كان القوس .. وبمناسبة التنجيم والنجوم  
كلمتهما عن مقال قرأته حول غزو الفضاء ، رحنا بعده في سرحة  
تأمل طويلة ، تنهدت فيها نبيلة وتوقعت سعاد انه سوف يأتى  
اليوم الذى يكشف الانسان فيه اكسير الحياة ويصبح كل الناس  
من الخالدين ، أردت تصنع الدهشة لكنى فضلت الكسل ..

ثم عادت سرحة التأمل .. وثأبت نبيلة ، وذكرت بعض المعلومات عن تاريخ مصر اعتقد إن معظمها كان خاطئا .

تابعت طفلا صغيرا مضى يتعثر من خلف قطة سوداء رافعة الذيل - وكان ذلك في اللقاء الذي كان ترتيبه قبل الأخير - تحدثنا قليلا عن الشرق الأوسط وأزماته .. ثم قصت سعاد علينا أسباب فسخها لخطوبتها الثانية ، وكانت قد قصتها في لقاء سابق لكنى أخفيت .. كذلك حكيت نبيلة النكتة الفاترة التي سبق أن اضحكنا في أول لقاء ، واستطعت أن أحصى في جانب رأسها ثلاث شعرات بيض .

وفي اللقاء الأخير : وقفت لهما مرحبا بأقل من نصف الوقفة .. وبعد أن جلسنا سألت نبيلة عن أحوالها وصحتها . فصرحت متبرمة :

- لا جديد

ثم قالت بأنها صارت تفكر جديا في الهجرة

وبعد الصمت عادت تسكلم عن أعراض الشيخوخة المبكرة مرة أخرى .. وكنت مسترخيا في مقعدي ، وكنت أشعر بالخمول يتحرك إلى كل راسي وجنودي .

سألت سعاد عن آخر ما قرأته ، فتمتعت :

- لائحة التوظيف

وسكتنا .. ثم سألتها عن أحوالها فتأبعت :

- لا جديد

رحت أتأمل الجالسين عن قرب ، وبعد وقت نسيت نفسي  
وبدأت أحكى - لأكر الصمت - عن ذكرياتي في فصل ثانية علمي  
خامس ، غير أن سعاد نبهتني في صوت هادئ الى أنني رويت  
هذه الذكريات من قبل ، فلم أكمل .. وبعد وقت تشاءت طويلا  
لدرجة أن الدموع ملأت عيني .

بعد ذلك كان موعد لقائنا هو الصدفة .. وعندما لمحتها  
سائرة هتفت باسمها ، فنظرت لى وابتسمت .. وحدث اذ ذاك  
ان كان زميل لها يقف بسيارته قرب الرصيف ، فضغط على  
« الكلاكس » ثلاث مرات . تنبهت هي اليه ومن فورها توجهت  
صوبه وكان وجهها جادا جدا .

واليوم عندما راتني في طريقها اقبلت نحوى ، وكنت  
مستاء جدا ، وحائقا : كيف تجاهلت صوتي البشرى واستجابات  
لمني سيارته ؟ !

رغبت أن أرد لها بعض الالهانة ، وبحثت في ذهني عن كلام  
قاس أوجهه اليها .. الا أنني - وفي هذوم مصطنع ، وبعد تحية  
فاترة - تركتها ماضيا بخطوات متكبرة ، شامخا بأنفي راميا  
بنظراتي الى الأفق البعيد .. لكن سرعان ما تهدل كل ذلك .

كان من الممكن أن نخلق أشياء جميلة .. معا .

فبراير ١٩٧١

## المعدول والمقلوب

١ - مهاب :

( لكل دائرة مركز واحد - حقيقة هندسية ) :

ولأن البكاء ليس من طبعى لذلك لم أبك ، حتى يوم أن مات أبى - وكنت صغيرا - بكته كل الأسرة عداى . ظللت متماسكا ثمانية أيام ، وفى اليوم التاسع - ودون أية مقدمات - انهرت باكيا . ولو حدث لى البكاء الآن لارتحت ، لكنى كتوم لا أشكو ولا أبكى . اتوقع أن يكون عمري قصيرا .

كان يشغلنى دائما ، الحب .. ليس من باب الهذر ولكن قلقا على مستقبل عمري . كنت أمضى حياتى منتظرا أن أصادف البنت التى أوجه نحوها أرق أحاسيسى ، والا فما فائدة هذه الأحاسيس ؟ ! .. وكنت اكلم نفسى أحيانا وأقول : اننى لو وجدتها فسوف أحفظ من أجْلِها كل ما بقى من وقتى ، وسوف أكف عن التدخين حتى أوفر لها زوجا مناسباً ، وفى محنى وأوقات الشدة كنت أسأل المجهول : متى يكون هذا التلاقي ؟!

وكننت اتخليها فى ذهنى بصورة مشوشة ، ثم اخترت لها من كل فتاة أحلى ما يعجبنى ، مرة الشعر ومرة الصدر والوسط ومرة عودها وشفتيها ، وقبل كل ذلك صوتها وخفة ظلها وحنوها .. ومع مرور الأيام تكونت ملامحها الرئيسية فى صورة فتاة هادئة الجمال ، وأعدت نفسى بالأا اتركها تفلت منى ان أنا قابلتها .

أحببت ان تكون قمحية اللون : ربما لأننى شبيت فى بيت على نيل الصعيد وكان يسحرنى لون الطمى مطعما بأشعة الغروب ، واخترت لشعرها ضفيرة طويلة وحيدة : وعلى ما أذكر فقد كان شعر أسمى قصيرا أشعث ، وتصورت العينين سمكى الاتساع : كنت أعبر النيل لأشاهد الأميرة الفرعونية فوق جدار المعبد القديم ، يشدنى إليها جسد رقيق بثديين مشدودين ، ووقفه حب من خلف مليكها وعينان واسعتان أخاذتان ، كلما عبرت النيل وجدتها بدفء نظراتها .

وفى أحلام اليقظة كنت أستحضرها ، بجمالها الجذاب أصيل الزينة - أميرتى أنا - فأبدأ معها رحلة الحب ، اتخللها بشجار ملء بالشجن من أجل نهاية هنية ، ان لرضى المحبوب بعد سخطه لدة فى القاب لا تعدلها لدة - يجوز أن هذا التفكير من فعل أفلامنا الرديئة - لكنى رأيتها دائما مقبلة نحوى فى إقاع العابدة المتعبدة .

كنت انتظر أن أصادفها ، أن أجدها يوما ما أمامى ، فجأة ودون مقدمات ، فى الشارع ، فى السينما فى الأوبسيس ، فى مكان عملى ، كنت على ثقة من أنى سأتعرف عليها من أول وهلة ، وعندئذ سيتم التفاهم فى سهولة ولقائية .

كنت مهيتا للحب .

والمعجب ان شيئا من هذا لا يوجد في نبيلة !!

شهور عديدة وأنا أعبرها دون ان التفت اليها . أحبيها  
أو إبدالها بعض التعليقات أو المجاملات العابرة ، ولا شيء يزيد على  
ذلك . . كنت أنفر من شدة بياضها ، تزيد بطلاء تسرف فيه ،  
على الوجه ، وحول عنقها القصير تسرف فيه أحيانا ، شعرها  
ناعم ذهبي اللون ، جميل حقا لكنها كانت تخفيه تحت باروكة ذات  
لون مخيف ولم يكن صوتها يعجبني ، ولم يكن منظرها يوحى  
بالدعة ، بل بكرة للمألوف يصل الى حد التصنع ، وأنا أنفر من  
الافتعال .

لم تلفت نظري ولم تحاول ، حتى وجدتها تعترض طريقى ،  
وكنت مسرعا . تركت صديقتها سعاد ووقفت في سكتى بابتسامة  
عريضة ونظرة جسور . ابتسمت لها مجاملا ، شاعرا بالنفور  
من طلاء وجهها ، سألتها :

— لماذا تضعين هذا القناع ؟ !

فجاءت في اليوم التالي ببشرة طبيعية . لاحظت هالتيين  
سوداوين تحت عينيها ، ساءتني منظرهما في البداية لكنها مع  
ذلك راقنتني ، ثم بدأت تأملها وأعيد النظر .

عينها ضيقتان لكن النظرات الجميلة تتراقص فهما بوفرة .  
لها جبهة عريضة ، فأقترحت أن تترك شعرها يتهدل طبيعيا ،  
وقلت :

— بقى أن تتخلصى من هذه الباروكة !

وجعلها شعرها المنساب في اليوم التالي تبدو أصغر عمرا ،  
أحاط وجهها بهالة في لون الغروب ، لكن وجهها كان مشرقا ، وفي  
خديها انبعثت أزهار الجمال ، قلت ان ذلك رائع ، فأسعدتني  
بأحلى ابتسامة رأيتها ، ثم تركتني وذهبت الى صديقتها سعاد .

خطر لى أنها أحلى بنت في المركز القومي للبحوث ، لكنني  
تذكرت ان المطلق شيء غير علمي وأن أفعال التفضيل لا يستخدم  
الا في البلاد المتخلفة ، فراجعت نفسي وقلت : ربما كانت من  
أحلاهن .

ظلت ابتسامتها في عيني الى أن ركبت الأتوبيس ، حيث  
وجدت نفسي اتابع فتى يغازل بنظراته فتاة قريبة ، تأملتهما ،  
ولاحظت أن الفتى أتيق وسيم بل جميل وأن الفتاة قاسية الملامح  
لولا ثدياها ! .. لذلك راودني خاطر غريب : انه لو أطال شعره  
لصار أجمل منها ! وأنها لو قصرت شعرها وارتدت ملابس الرجال  
لقلت انها شاب ولاشك .. ودفعني هذا الخاطر المدهش الى  
تأمل وجوه الناس : كان الرجل المواجه لى خشن المظهر ، لكنه  
لما استدار ناظرا الى الشارع ظهر بروقيله رقيقا رقة  
النساء !! .. وكانت المرأة المجاورة له عجوزا كل وجهها تجاعيد ،  
ورأيت فوق وجنتيها شعيرات بيضا وتحت انفها شاربيا رهيفا  
أهملت ازالته ، ابتسمت لنفسى وقلت : ها هي تعود الى أصلها  
حسبما ذكرت كتب السماء ، جاء الرجل من التراب والى التراب  
يعود ليعلق دائرة الحياة الخبيثة ، أما حواء فقد جاءت - كما  
قيل - من ضلع في آدم فهي في الأصل رجل ، وهي عند  
شيخوختها تعود الى أصلها وينبت لها الشارب والدقن ، فهي  
اذن من الرجل والى الرجل تعود وبعد ذلك تموت وتصير الى  
التراب .

حدثت نفسى على هذا الاكتشاف الطريف ، ثم وجدتني  
أعود بذهنى الى نبيلة ووجهها وصوتها ، وسيطرت على تفكيرى  
حتى كدت انسى محطتى !

كانت تستشيرنى فى مشاريعها الصغيرة فيحدث أن يتبقى  
أحداها فى ذهنى حتى بعد أن أتركها ، وقد تلازمنى حتى المساء  
وقبل أن انام ، لأجد نفسى انتقل من المشكلة الى نبيلة نفسها ،  
ومن فورى استحضرها أمام عيني ، لتزورنى وتقضى معى فترات  
طويلة ، بقميص نومها فتكون رائعة ، ويكون لونه أسود - مرة  
وأبت طرفه من تحت فستانها وكان الهواء خماسينيا - ويشف  
سواده عن بياض جسدها الجميل ، وينسال شعرها فوق  
كتفها فى اصفرار ذهبى ، ويحدث فى الاضاءة الخافتة أن تترقرق  
هذه الألوان فى تمازج مدهش .

كانت تأينى - أيضا - فوق صفحة الكتاب الذى أقرؤه  
فوق ورق القطن حيث أجرى أبحاثى على الدودة ، أحيانا تحت  
المجهر فأتلمى فى أعضائها كلا على حدة : العينين ، الأنف ،  
العنق ، الفم ولم ترحنى ضمة شفيتها كأن فى مذاقها طعم المر .

كانت تدخلنى مع أنغام الموسيقى التى أسمعها ، وأيقنت  
أن صوتها ليس منفرا كما كنت أظن . قلت ان الانطباعة الأولى  
غالبا ما تخطئ .

وصرت كلما رأيته تهل نحوى بكيانها باشعاعات ابتسامتها  
بإبحاءات نظراتها أهتف لنفسى :

- سوف تصير هذه الفتاة امرأتى .



وانقلب الاهتمام الى انغماس ، وتغير الحال ، وصار كل ما تفعله يهمنى ، والشئ يتضاعف حسنه في عين مستحسنه ، تأسرنى ومقاتها الجانبية ، تلقانى مبتسمة فأسعد طوال اليوم تلقانى مهمومة فينشغل بالى ، وكنت أكره التجاعيد الكثيرة التى تظهر فجأة مع تقطيبتها .

أسعدنى تسللها الى جميع ما يشعر أو يفكر فى داخلى ، وصرت أفعّل كل ما يسعدها ، فى الحقيقة حاولت أن أفعّل ما يجعلها تحببى وتلتصق بى ، كانت حمى .

تبادلنا كلاما كثيرا رقيقا . لم تكن الرقة فى الكلمات نفسها ، وانما فى نطقها ، فى النظرة المصاحبة لها ، وفى خبطة الخدين .. كلمة أحبك نفسها لم أقلها ولم تقلها ، قالتها التصرفات اليومية واللفتات الصغيرة وردود الأفعال العفوية ..

الا أننى كنت أثور على نفسى أحيانا : لماذا هذه البنت من كل بنات الدنيا ؟ ! ليست الأجمل وليست الحلم الذى راودنى!! وان كان ما بداخلى هو الحب فأمره عجيب فعلا ، انبساط زائد يعقبه ضيق غير مبرر .. وقلت : لن اتسرع بالارتباط بها حتى يواجه هذا الحب الأبام ويقوى بها ، هى مرة يجب أن تكون واحدة .

يأتى وقت يتمنى الانسان فيه أن يستريح من حربة الوحدة .

ومن خلالها تنبهت الى أن الانسان يطمع فيما ليس معه .. وأن التى تشد انظاره ليست المرأة الأكثر جمالا ، وانما الأكثر

اختلافا وتفردا ، ولأن الشائع في القاهرة هن السمر والقمحيات من البنات ، لذلك فان رءوس الرجال كانت تستدير الى نبيلة أينما سارت ، شعرت بالزهو لأنها معي ، وشعرت بالفيرة لأني أخشى من فقدها .. ومرة قلت في بالي : سوف تملؤها هذه النظرات بالغرور ، ثم استدركت : ولكن من المؤكد أن هذا - بالفعل - حدث !!

أخفيت انقباضي ، وبعد أن ودعتها - وصدقتها سعاد - صار الانقباض دوارا ، كانت دائما محاطة بدائرة من رجال المركز حبتها عنى فلم اتنبه اليها ، وكانت صدقتها سعاد تقف خارج هذه الدائرة تحاول أن تجد ثغرة لها ، فلما دخلتها ظلت كل الأنظار مجذوبة الى وجه نبيلة .. هناك حقيقة هندسية : لا يكون لأية دائرة الا مركز واحد ..

أما أنا فقد شعرت بنبيلة فقط عندما خرجت من هذه الدائرة لتقتحم دائرة اهتمامي وتحتل نقطة المركز فيها ، لذلك فقد ضابقتني كثيرا بصدقتها سعاد ، غالبا ما كانت تحضرها معها ! .. حزن في البداية لكنني التمسيت لها العذر : هي في النهاية سليفة الأم والجدة - هكذا التمسيت لها الأعداء - وهي ما زالت تضعني تحت التجربة والاختبار ، وعندما تتأكد من حبي لها فسوف تتولى من نفسها أبعاد الثالث ، وكنت أعرف أن هناك حيلة للوصول الى ذلك ، هي أن أفتعل الاهتمام الحميم بسعاد كي تشعر بالخطر منها ، لكنني لم الجأ الى هذا الأسلوب لنفوري من الالتواء ، وفضلت أن أصارحها بعدم ارتياحي الى صديقتها ، وفعلت ذلك تلمحاً ثم تصرّحاً ثم جفاء .

كنت أجلس في مواجهة نبيلة ، وعندما تتكلم سعاد - وهذا غير كثير - أجد نفسي أردد في ابتسار وجائب جيسدي لها ،

اما نبيلة فكانت تعطيها نصف اهتمامها ، حتى ابتسامتها كانت تقسمها بيننا : نداعبني بعبارة وصديقتها بعبارة أخرى ، انشطر اللقاء الى نصف لي ونصف - وأحيانا اكثر - للصديقة .. فنفرت منها .

عجيب ان اغار على نبيلة من فتاة مثلها !

الى ان اقلت الزمام ، ووجدت نفسى اعامل سعاد هذه في غلظة واضحة . ظلت جامدة مكانها ولم تنصرف ، بابتسامه مصنوعة فوق وجه باهت شديد الشحوب - ولم أشعر نحوها بأدنى شفقة - وعندما ودعنا نبيلة لتنصرف تركت انا سعاد ولحققت بها ، فاستدارت نحوى بوجه متوتر كثير التجاعيد وهممت :

- هذا سلوك فظيع ، فظيع ..

وعلى مدى الطريق الى بيتها ، ظلت أداعبها وأحكى لها الطريف من حياتى حتى ابتسمت ، حتى تجاوبت وتركت كفها في كفى ، لكن قلبى انقبض عندما حدثتني عن والدها وقالت انها لم تحب رجلا من بعده ، ثم حكى لى عن شغفها القديم برحلات المدرسة ، وعن رحلة السنة الثالثة في الجامعة ، وكانت مخصصة لدراسة التربة في منطقة أسوان ، وكادت نبيلة أن تكون البنت الوحيدة ، فعاملها المشرف برقة ، وقدم لها كل طالب الطف ما عنده من ابتسامات وجميع ما يعرف من معلومات وخبران جيولوجية .

أسفل بيتها هزت كتفها وقالت بتواضع - لم يقنعنى - انها كانت ليمونة في بلد قرفانة ! .. ثم قطعت ابتسامتها فجأة وحملت في وجهى طويلا وتغافلت عن اقترابى الشديد منها

وتركتنى اثبل خدها فى لثمة سريعة ، وكان باردا وكانت جفونها ترتعش .

وحددنا موعدا فى اليوم التالى .

غير أنها لم تأت . كانت لثمة الخد هى آخر تقارب بيننا .

رأيتها بعد ذلك فى سيارة زميلنا فريد - وهو الذى يبحث فى استخراج المواد الغذائية من البترول - وقد عادت الى طلائها وباروكتها !!

وعندما قابلتها فى المركز حيتنى ثم سرعان ما تشاغلتنى ، ولما لم انصرف نظرت الى وابتسمت ابتسامة حلوة ، اظن ذلك ، ولما لحق بها فريد اعطته الابتسامة الحلوة ، واندمجت معه فى حديث كان من الممكن أن اسمعه بوضوح : اذ أنها أبدت حماسها للون قميصه - كان فريد انيقا فعلا - ثم بلمسة سريعة أحكمت وضع ربطة عنقه ، وجعلت لا تنظر نحوى الا برمقات عشوائية لكنها مدققة ، فخطر على بالى أنها تعمل على اغاظتى وإثارة غيبتى ، وطاردتنى الحقيقة الهندسية :

بأن اية دائرة لا يكون لها الا مركز واحد .

قلت فى النهاية : هى بنت مصرية نكره الوضوح ، كان من نصيبى أن أراها وهى تتخلص من تنكرها ، وهى تخلع آخر مبتكرات الموضة وهى تلفظ تعليمها الجامعى وحديثها عن الزهور والموسيقى ، وتلقى بكل ذلك لأرى النقيض ، البنت المصرية لها حياتان : حياتها المعروضة للعلاية وأخرى خاصة بها تموت بسرهما ، وانها تجعل من التعليم شهادة توظف تعطيها عريسا أفضل !

حتى هذا الراى لم ارتح له ، ورايت انه وليد الغضب ،  
وراجعت نفسى متمردا على التعميم ، وصرت اختلق الأعداد فى  
تخلفنا الحضارى .

لكن الأمر المؤكد لى الآن أن نبيلة تعيش حياتين ، بوجهين  
مختلفين ، ولم يكتب لى التوفيق لفهم أى من الوجهين ، واكاد  
أقول كليهما ، وإن كانت تريد أن تهجرنى فلماذا تركتنى أقبلا  
آخر مرة ؟! .. مازال حبها فى قلبى ، فما دخل عسيرا لن يخرج  
يسيرا .

عادت أميرتى - بالأمس - الى زيارتى قبل النوم ، كانت  
الخمرية واسعة العينين كما هى ، رقيقة الجسد مشدودة الثديين  
يشبه بسمة على الخدين فيهما الطيبة والوفاء - دائما - طلبت  
منى الا احزن لأن هذه الأمور تحدث فى جميع العصور .. وفى  
الصباح بينما ادخل دورة المياه بجريدة الصباح فى يدى ، قلت  
ان هذه الأميرة لا اكثر من نقش فوق حجر لا يتبدل .. وكانت  
الجريدة مكتظة بكل الأخبار الشاذة من حروب وسرقات وخيانات،  
ومقالات كلها تدليس ، واعلانات مبوبة لبضائع مهربة توحى  
بسوق سوداء .

٢ - سعاد :

### ( الشاذ يخلق الشاذ )

وحدى على الرصيف ، والاتوبيس يبتعد به وبها ، تركنى  
كالهارب دون كلمة وداع ، من الجائز أن الناس لاحظوا ، كم  
هو قاس ! شرير ! .. وكنت سأعطيه حنانا بلا حدود .

خدعنى انطباعى الاول . ظننته رقيقا طيبا ثم وجدته مثل  
الآخرين ، بشعا مثل ملابسه ، كل الباحثين التفوا من حول  
نبيلة ، حاصروها بغزلهم المكشوف والمستتر ، وهى ليست  
الجميلة الوحيدة بالمركز ، لماذا هى بالذات ؟ !

كنت اظن نظرتها العجيبة هى السبب ، تسهم طويلا الى  
كل رجل كانها تواعده ، ثم اكتشفت شرى وسوء ظنى ، فهى  
كليلة البصر وبسبب عنادها ترفض استعمال النظارة ، ويضطرها  
ذلك أن تقترب من وجه محدثها فى نظرة متفحصة تطول كى  
تستوعب ملامحه ( اظن أن الرجل يفسرها - بغروره وسخفه -  
على أنها انجذاب اليه وانبهار به !! )

لكن نبيلة فى مواجهة الرجال انثى كاملة . بسرعة مذهلة  
استحوذت على مهاب ، وبدلت حاله وجعلته كالآخرين ! الم  
يكفها الجميع ! ؟ .. كان عليها أن تتركه لى ، شريرة مثله .

لكنه هو الذى تمادى فى الالتصاق بها ، وكان رقيقا معى  
ثم صار فظا ، وكم صبرت عليه الى أن يئست منه . كنت  
ساعمره بحبى وحنانى ، اننى مليئة بالحنان ! .. المجرم !!

اردت الابتعاد عنه وعنهما ، كان عليها أن تختار ، وكنت  
ساقول لها راى بصراحة ، ولم أفعل . حاولت مرات ، ثم رأيت  
أن تجنبهما أسهل واجدى ..

أخذتنى جانبا وقالت :

حبيبتى سعاد .

( قالت حبيبتى سعاد !! )

- حبيبتي سعاد ، أنا أحبك ، لماذا تبتعدين عني ؟ !  
كسبت رأسي ، كنت مصممة على عدم مناقشة الموضوع  
معه ، قادرة هي على اقناعي ، قالت :

- اخمن ما فعلته معي ، وجهت لي تهمة في شرك ولم  
تخبريني بها ، ثم أقمت لي محاكمة في رأسك ، أنت فيها القاضية  
وموجهة الاتهام ، وكان حكمك انني مدنية فغضبت مني !!

ذكية هي ، حتى في ابجائها تعمل قليلا وتستوعب كثيرا ..  
استطاعت فهم السبب . قالت :

- أحبك . وان ندع أي ثالث يتدخل بيننا .  
وكانت رفيقة معي ، قالت :

- بيت خالك في مصر الجديدة بعيد عن المركز . اقضى فترة  
الظهير معي في الدقي ، بيتي هو بيتك ، وأمي هي أمك .

ورأيت صورة والدها في اطار أسود ، وفي غرفتها كانت له  
صورة على الحائط وصورة أخرى بجوار كتبها .

ورحبت أمها بي وعطفت علي كثيرا . قالت :

- إبعيدة عن اسرتك يا مسكينة ؟؟

فأجبتها بانني أسافر اليهم في أجازاتي التي تزيد على  
اليومين ، ثم شرد ذهني الى مهاب : تعبت من الغربة ومن الانزواء  
في غرفة وحيدة ، حلمت بشقة كاملة ، خاصة بي ، أتحرك في كل  
مكان فيها بحريتي . أطبخ ، أقلع عارية ، أغني أو أبكي كما  
أشاء .. حلمت بشقتي الخاصة بي وبه ، ورأيت معي في نفس  
المكان ، أرفع رأسي فأراه يهم بتقبيلي ، أحيانا ينهرني ، ويأتي

في بطنى بطفلة جميلة تخفف عنه مله حينما يقدم بنا الزواج .  
الفبى !!

ساعة الفداء اطعمنى أمها حتى اتخمت واشتقت الى  
التمدد ، وعرضت نبيلة أن ارتدى أحد قمصانها ، لكنى تمددت  
بفستانى ( كم هى لطيفة ) .. قبلتنى فى ود ثم استلقت الى  
جوارى وانهدت :

— لن ندع ثالثا يفرق بيننا .

ثم اخذت أناملها تداعب شعرى ( دغدغنى ذلك ) حتى  
شعرت بالنعاس وكدت أنام ( ومن فوره جاءنى مهاب ، وكان  
يبتسم ونام بجوارى واخذ يمرر اصبعه حول شفتى وتركته  
يفعل ذلك وأنا منتشية ، ثم اعتدل لأرى الحنين والحب فى عينيه  
ووجهه يهبط نحوى ليقبلنى ويسعدنى ، ثم نهزته فى دلال كى  
يلتفت لأناقته وقلت له ان ذقنه يشكشكنى ، فعادت شفتاه  
تهبطان فوق شفتى ) .

وعندما فتحت عينى وجدت نبيلة ببسمتها المشعة ودا  
تقول :

— كالطفل الصغير نمت فى حضنى . كنت أسمع تنففسك  
منتظما وقريرا .

ثم هبط وجهها نحوى فى حنو وحب وقبلتنى فشمت  
رائحتها ..

وتعودت على قضاء ما بعد الظهر عندها ، انتظارا لموعده  
عودتنا الى المركز .. ومرة اشتكت لى من الدكتور المشرف على  
بحثها ، يعاملها بجفاء ويتهمها دائما بالدلع ، قالت أن تخصصه



فى الجيولوجيا طبعه بالتحجر ، وقالت انها تظن أيضا إن الأطباء رقيقو القلب بسبب تعاملهم مع الانسان . لم أوافقها على هذه النظرية ، فأخذت تكرر تبرمها من الأستاذ ومن كل الرجال أيضا ، وصرحت بأنها تتمنى لو صارت رجلا لأن الرجل مازال هو الميمن على المرأة ومازال هو الأقوى فى المجتمع ، قالت :

— مهما تحدثنا عن المساواة فالكلمة العليا له ، فما بالك ونحن فى بلد متخلف !

ونهضت وأحضرت لى مجلة مطوية الأطراف مفتوحة عند صفحة معينة وقدمتها لى ، فرأيت صورتين متجاورتين : الأولى لفتاة متأنقة مسرفة فى تبرجها ، والثانية لنفس الفتاة بعد أن أجرت جراحة بسيطة حولتها الى رجل فقصت شعرها ونبت الشارب والدقن وكانت — أقصد وكان — متأنقا أيضا .. فقلت فى سرى ان الفوضى عمت العالم - الرجل ينقلب امرأة ، والمرأة تصير رجلا ، والأخ يقتل أخاه ، إنها دلالات الساعة ، والشاذ يخلق الشاذ .

همست نبيلة :

— حقيقة أود أن أصير رجلا ، أسيطر .

ومرة أخرى مكثت صامتة ثم فجأة ( ولا أدرى لماذا ؟ ! ) مزحت قائلة : ان الأرض مؤنث والماء مذكر لأن الماء هو الذى يروى الأرض ويجعلها تخرج الزرع ، وعلى ذلك فالعاقرو والعقيم تعتبران جنسا ثالثا لأنهما لا تنجبان . لم أوافقها على هذه الآراء أيضا ( ولا أدرى ما الذى جعلنا نفكر هكذا !! ) .. الا انها جاءت الى جوارى وجعلها ضيق السرير تلتصق بى ، وأخذت تداعبنى برقتها المحببة . كان الوقت صيفا وشممت عرقها

ورأيت مسام جلدها الأبيض ، وتأملت شعرها الأصفر البناعم ،  
وقمت بفردة فصار طويلا غطى كتفها وتهدل فوق صدرها  
الناهد ، جميلة بالفعل هذه البنت ، انثى .. ولهم حق - الرجال  
وهذا المهلب - في ان يشقوها .. اهائنى وتجاهل اقبالى عليه  
وقفز اليها ، وانا لا استحق ذلك .

قالت نبيلة :

— سأقاطعه من أجلك لو رغبت

( لو كنت مكانها لما فكرت في هذا الكلام ، ولاخترته هو  
من غير تردد ) .. لكنه أخذ يحايلنى ، من أجلها أخذ يحايلنى .  
فعدنا نتقابل نحن الثلاثة ، وقالت لى :

— سأتركه فورا اذا طلبت منى ذلك .

لو كنت مكانها لتمسكت به ، لكنه تمسك بها ذليلا ، كيف  
لم يدرك ؟ ! كيف لم يميز التى تحبه من التى تتسلى به ؟ ! مع  
أن صيته فى المركز انه عبقرى عظيم فى ابجائه ! فهل يكون  
الانسان ذكيا فى العلم مغفلا فى أمور الحب ؟ !

صرت عاجزة من فهم هؤلاء الرجال مع انى كثيرا ما حلمت  
بهم ، من قبل أن ينبت ثدياى وأنا مشغولة بهم ، طالما تخيلت  
نفسى مع فتى جميل أنيق لا أذكر شكله جيدا ، يقابلنى أوقاتا  
فى الخلاء بعيدا عن أعين الناس ، ويأخذنى فى قارب يهيم على  
هواه تحت شمس دافئة وطيور تغرد من حولنا وحمامة بيضاء  
تحيط على الشارع ، وهو يحدثنى همسا من حبه لى وكفه  
تضغط كفى فى اشتياق ثم يميل لتهبط رغبته نحوى مع شففيه  
ليقبلنى فى لهفة .

وكم كنت خجولة عندما رأيت ابن خالى لأول مرة فى  
البيجامة ( وكنت فى بداية قدومى الى القاهرة للدراسة الجامعية،  
وأفرد خالى غرفة لى فى شقته ) .. وكم زاد خطبى وحيائى  
عندما شاهدته يخرج من غرفة نومه مستيقظا فى الصباح  
وبيجامته مشعثة وشعره مرتبكا فوق جبينه ، كان رجلا - ليس  
أبى أو أخى - ينهض من سرير ! .. وكم دق قلبى سريعا عندما  
رأبته يخرج من الحمام !! .. لكنى مع ذلك لم أحلم به رغم أنه  
أجمل من مهاب الخشن الفظ !

وفى الجامعة كنت اتضابق من عيون التلاميذ ( وأيضاً كنت  
أسعد بها ) .. الا أن القننى الجميل غير محدد الملامح ظل يراودنى  
أثناء النوم ، وأحيانا أثناء ركوبى الأنوبيس رغم شدة الزحام  
وضغط أجساد الركاب على جسدى .

لكنى أحبت سمر بمجرد أن فتح لى باب شقتهم ، سألته  
عن أخته سميرة فأضاءت عيناه وهو يأخذنى إليها ، ثم ظل  
يخترق الأعدار ليدخل إلينا ويبتسم لى - بعينيه الجميلتين -  
ثم جلس معنا وأخذ يمازحنى ، واسترحت إليه ، وصرت أنا  
أخترق الأعدار لزيارة أخته ، ثم قابلنى مرة عند خروجى من  
المركز - قال أنها الصدفة - ولم أمانع فى الذهاب معه الى  
السينما ، وبعد خروجنا تسكعنا فى الطرقات سويا ، وظللت  
سعيدة باقى اليوم ، لكنى فى المساء تنبعت الى نفسى ، كنت  
سأحبه ، والله كنت سأحبه وهو ليس من دينى ، وأنا غير مستعدة  
للدخول فى المشاكل مع أسرته وأسرته ومع الناس وفضولهم  
اللزج وتزمتهم المريض ، تكفىنى متاعب البحث الذى أعده ..  
وظللت أياها كثيرة أقاوم عينيه وبسمته ، أطرده صوته من أذنى  
وتلميحائه الغزلية من وجدانى ، كم قلقت ! .. قبل النوم كنت

أنوح باكية : لماذا يا رب تفعل ذلك ؟ ! لغات متباعدة وأديان  
عديدة والجميع يتحفزون !! وكان يمكنك خلق النأخى !! ..  
صار شلوذ الشئ هو القاعدة !

ابن خالى أيضا حمام من حول غرفتى . يتحين هلدوء  
الشقة ويتقرب منى ، مرة جاءنى فى سكىنة اللیل وكنت اذاكر  
والجميع نيام وحاول تقبیلى ، رأیت عینیه تحملقان رغبة من  
وجه شاحب متوتر ، وعندما مد یدیه یلمسنى شعرت برجفة  
أصابه ، ولما نطق بكلمة أحبك كان الصوت جافا وشاذا  
ولم یكن صوته أبدا ، ونفرت منه . لمست شفتاه عنقى لكنى  
هددته بالصراخ ، فسكت ثم عاد الصوت الخائف یقول احبك ،  
ثم انسحب ( وفى الصبح لم یقم عینیه فى عینى ) .. ولو كان  
دخل غرفتى فى هدوء وجلس بجوارى وهمس واثقا بكلمة أحبك  
هذه ، لو فعل ما فعل بحس مرهف لربما لنت له ، لو هیأنى  
نفسیا وأدخلنى فى جو الغزل لربما تركته یقبلنى ، لكنه لم  
یصل حتى الى رقة الطیور أو الققطط ( تتبعت یوما قطا مكث  
یطارد قطة لأكثر من عشر دقائق ، وكنت بشرفة دارنا فى البلدة ،  
والقط یقترب ویهز ویقفز من حولها ویسبقها یتخلف عنها حتى  
رضیت واستكانت له . رأیت أيضا الدیک الرومى فوق سطح  
دارنا یتفش ربشه ویدور حول أنثاه فى دورات غزلیة . والحمام  
والعصافیر والماعز وكل الكائنات تفعل المثل ، الذکر یهیء  
أنثاه بالأصوات ، بالحركات ، بالرائحة ، فلماذا لم یفعل ابن  
خالى ؟ ! ) .. ووجدتنى فى المعمل اترك ملاحظة تجربتی وأنوح  
فى أعماقى بأن هذا الكون قد تم توزیعہ بطريقة سیئة وسخیفة ،  
لماذا لم یكن سمر شقیق سمیرة هو ابن خالى ؟ ! اذن لانتهى  
الامر وأحببته وتزوجته ولصار هو رب شقتى التی یمكننى أن

أخضع فيها نيايى دون حياء : والتى يمكنى أن أرتبها وأنسق  
إنائها حسبما أريد وعلى هواى ، لكن الحال يأتى دائماً  
مقلوباً !!

أحترت : لماذا يضعنى الله فى الوضع المعكوس ؟ ! ولماذا  
يتركنى للمرة الثانية أحب رجلاً غير مناسب ؟ ! هذه المرة  
يحب أخرى لا تستاهله !! رجل شرير قاس رفض توددى وتركنى  
أتسكع فى الطرقات وحيدة .

لن أعود الآن الى بيت خالى البعيد ، حالتي سيئة ، فأين  
أذهب ؟ ! .. لن أدخل مرة أخرى شقة نبيلة ، والى أن أموت  
لن أدخلها ، فلتتزوج ولتأكله أن شاءت ، ويمكنى قتل الوقت  
الممل بالسير فى محاذاة النيل ( وكم حلمت بفتاى فى مركب فوق  
مياهه ) .. ذلك النهر هو الذى جعلنى حاملة ، يمضى فى بطاء  
دون مفاجآت كحبة خائفة خاضعة ، لو كانت به الشلالات  
والجنادل والتماشيح لاختلفت أحلامى ، لتبدلت من بطيئة وردبة  
واقعية الى أخرى نشطة متحركة ، وربما كنت حلمت بأن الجندل  
قد شطر قاربى نصفين وبأننى قد صرت وشيكة الفرق لولا فتاى  
الشجاع يسبح خلفى فى قوة بأسلة وينتشلنى من برائن الشلال  
الجارف ، فى آخر لحظة ينقذنى ثم يحيطنى بجسده ويهبط خنائه  
مع شفتيه ليدفئنى ..

يا لخيبتى ! أعود ثانية للأحلام وأنا سائرة فى عز الحر .  
وحيدة ، بنت حاملة تتخرج من كلية عملية !! الحال المقلوب  
يطاردنى !!

ويوم أخذنا قارباً - هى وهو وأنا - لم تأت العاصفير  
لتفرد من فوقنا ولم تحط الحمامة البيضاء على الشراع ( ولن

يكون في هذه المدينة الدخانية حمام ابيض في اى يوم من الايام القادمة ) . وبعد اقل من عشر دقائق كادت الشمس النارية أن تقتلنا ( حتى الحدايق تختفى وتتحول الى مواقف للسيارات المزعجة ) .. وكان كل خوفه عليها هي ولم يابه بى ، وحاول بشتى الطرق أن يحجب الشمس عنها ( ومرة كدت أختنق من عادمها ) .. هذه الملعونة ، لا يعرف أن جسدها ناعم بالصنعة ؛ جسدى املس بالخلقة ، وقد لمحت الشعر القصير نابتا في ساعديها وساقيا ، رايت ذلك بنفسى : أنهمكت هي امامى ( عصر اليوم الحار ) ولاكثر من نصف ساعة في ازالة هذا الشعر الأصفر حتى صار بدننا خاليا منه .. رايت بنفسى هذه العملية المرهقة .

ولما لمحتنى في المرآة أحملق دهشة ، قالت في بسمة شاحبة :

- يقول المثل : بارك الله في الرجل المشعر وفي المرأة الملساء ، جسديك ناعم فأنت مباركة .

تفحصت نفسها في المرآة وضحكت تخفى توترها :  
- أما أنا فملعونة .

كان صوتها متهدجا فعطفت عليها وقلت بأن هذا مثل فيه تحيز ، اخترعته امرأة ملساء نكاية في الأخريات !! .. لكنى في سرى حمدت الله لأن جسدى كله املس ، لست في حاجة لفعل ما تفعله ، أما هي فملعونة ، وأنا اكرهها واكرهه ، ولتفرح به وقد قفز لاحقا بها ، ولن ادخل شقتها ثانية ، مهما اقتربت قدماى من بيتنا ، لن اذهب اليها والى أن أموت .. الملعونة ، نبيلة ..

٣ - نبيلة :

### ( الضحك الزائد يسيل الدموع كالبكاء )

كثير من صخور التربة تتجاور ولا تتفاعل مع بعضها ،  
والقليل منها يتحد لينتج مركبا جديدا فيه خواص من الاثنين .

عندما وقف يودعنى تركته يلثم خدى ، لعله يظن انه  
غافلنى ؛ لكنى تركته يقترب منى ، وكنت سأدعه يقبل شفتى ،  
كانت فكرة ان أهجره قد رسخت فى ذهنى ، وكنت أريد ان  
أختبر أحاسيسى نحوه بصفة نهائية ، فعلت ذلك فى صدق ،  
الا ان لثمته لم تتعد تلامس سطحين فى نفس درجة الحرارة ،  
لم أشعر الا بموقع اللمسة ولم يتعد أثرها أكثر من ذلك ، وظلت  
نبضات قلبى فى سرعتها المعتادة وظلت دورتى الدموية فى سيرها  
الطبيعى ، لم تنحسر الدماء من أطرافى أو تندفع الى رأسى ،  
ولم يأتنى بالدوار اللذيد ، فقلت لنفسى جسدى لا ينجذب الى  
جسده ، من المؤكد اننى لا أحبه .

فتحت باب الشقة بفتاحى - سمعت صوت أمى آتيا من  
المطبخ تئن من روماتيزم ساقها - وقررت فى نفسى أن أقاطع  
هذا الرجل وانهى علاقتى به . شعرت بدمعى ينسال فوق  
خدى ، حزنا على شيء غامض فى داخلى يتخلخل ويتقلص ويموت ،  
حبى لرجولة هذا الرجل وكان قد بدأ يشدنى الى عالم  
كنت أنفر منه !

ولكن كيف حدث أن جذبنى طوال الفترة الماضية ؟ !

بنظرة من سعاد تنبعت اليه ، وكان يدخل الى حديقة  
المركز . كنا نقف قرب المدخل ، فى وسط مجموعة من الزملاء

ترتفع ضحكاتهم بآراء مرحة ، وكان حسين يقول ان الحب وهم يخافه خيال مريض ، اوله هزل وآخره غم ! .. ضحكنا وتفاصح سامى : انما الحب اعوجاج هو علة نفسه ، لا يصلح معه نصيح او افتاء .. فعلق عليه عوض : اطلبه لعدوك ، عقرة الحب مثل عقرة الكلب المسعور ! .. الوحيد الذى تكلم فى جدية واسى كان ابراهيم ، قال ان الحب حالة عاطفية لا تعيش فى غير المناخ الموضوعى المناسب ! .. ثم لاحظ فريد أن جميع الواقفين غير متزوجين !! ، نظر فى عيني باصرار خبيث وقال :

— ومن واجب البعض أن يتزوج .

لذت بنظراتى الى سعاد لأجدها فى نظرة متوترة تتابع بها مهاب الذى عبر الحديقة ثم اختفى فى باب البنى . قلت لنفسى لحظتها : يكاد وجهه أن يذكرنى بشىء ما او بانسان ما ..

لذلك اعترضت طريقه بعد الظهر ، ارتبك وتلعثم كطفل صغير وبدأ فى لزمة البنت حديثة المراهقة ، فاستلطفته ، لكنى لم ارحمه وانتقادات طول ذقنه وقلة أناقته وبقع عجيبة تلمح اكدام قميصه : اغاب الظن أنها من فعل المواد الكيماوية ، ولما اخبرته بأن احد المخترعين قد ابتكر جهازا لتصفيف شعر الرأس رخيص الثمن اسمه « المشط » احمر وجهه ومرار أصابعه بين شعره الأسود .. وكانت سعاد معى ، وكانت ترتبك بارتباك !! وكلمة تحدثت تقلقلت نظراتها لتستقر على شفتيه !

وفى اليوم التالى بدا كأنه نسى كل ملاحظاتى ، جاء نعتسان وأظنه لم يفصل وجهه فتبعته حتى معمله — دون سعاد — ابتسم فى وجهى ورايته — ولا ادرى لماذا ؟! — ساعرا .



حدثني كثيرا عن دودة القطن وتجاربه للقضاء عليها ،  
وأراني في فخر وزهو دوده العقيم والذي قام بتعقيمه ، شارحا  
أن تعقيم دود القطن هو السبيل الأمثل للفتك به اذ سينقرض  
دون أجيال جديدة . حملت الى هذا الدود فوجدته أقوى  
وأضخم من المعتاد !!

ضحك وسأل :

— هل تعرفين سر قوة البغال ؟؟

هزئت كتفي . قال :

— ذلك انه جنس نال ، عني ، لا هو بالذكر ولا هو  
بالأنثى .

حملت في عينيهِ :

— أهي قاعدة ؟؟

— ربما ..

— أتسرى اذن على الرجال الأقوياء ؟؟

فأبعد نظرائه عني ، ومرة أخرى قلت انه يكاد يذكرني  
بشيء ما ، لكن ما هو ؟؟

وفي الأتوبيس قال انه لجأ الى حيلة التعقيم هذه لأن  
الدودة — بمرور الوقت — قويت مناعتها ضد المبيدات .  
تفلسف قائلا :

— هكذا حال الانسان مع سموم مدنيته ، يقلقه الضجيج  
في البداية لكنه سرعان ما يألفه ، وسرعان ما يتأقلم مع الدخان  
والزحام ، ويصبح الشاذ مألوفاً .

كان يكلمنى بصوت مرتفع ففوجئت براكين يدخلان معنا  
فى الحديث ، لبدنميج هو معهما ويكاد ينسى وجودى !! .. لكنه  
بعد ذلك تعلم كيف بتائق ، وبانت عليه وسامة الرجال !

اهتم بى ونسى الآخرين ، لكنى لم اكن اريده ان يفعل ذلك  
مع سعاد ، كان يتجاهلها بطريقة مؤلمة ، وان حدثها ففى  
اقتضاب واحبانا فى جفاف .. نبهته الى ذلك اربع مرات : المرة  
الأولى فعلتها فى حرص وبطريقة غير مباشرة ، والمرة الثانية  
فى كلمات محددة وفى هدوء كبير ، ثم لفت نظره قائلة :

ـ فلتعلم ان الاهانة لسعاد اهانة لى .

كنت حاسمة ، وعندئذ حاول ممارسة الضغط على  
مهددا بالقطيعة ، حذرته :

ـ أرجوك : لا تضعنى فى موقف المفاضلة بينها وبينك .

الى ان قفز الى الاتوبيس لاحقا بى !! .. مبتعدا عن طفلى  
الحبيبة التى وقفت على المحطة واجمة ، ومن المؤكد انها  
بكت ، ولولا اسراع الاتوبيس لقفزت انا اليها . كان فظا :

ـ فظيع .

كررتها له ثلاث مرات ، فسكت لمسافة محطة كاملة ثم بدا  
يحاول تلطيف الجو ، روى كل ما يعرفه من مفارقات مضحكة ،  
قال نكتة ضحك لها حتى دمعت عيناه ، والاسراف فى الشيء  
ينقلب الى الضد ، لذلك لم أبتسم .. وهربت من صوته الى  
والدى ، فتدخلت البيوت امام ناظرى ، ورايت ابى ، الحبيب  
الذى .. رحل وتركنى .. أواجه هؤلاء الناس .. الرجال ..  
وكان قد داعب .. شعرى الأصفر .. وقال :

— أنت يا نبيلة أجمل ما جئت به الى الحياة

وعندما مرض ظل كلما جلست الى جواره ينظر الى وجهي  
طويلا ، وكان اسمي هو آخر ما نطق به قبل ان يرحل ،  
ويتركني .. للناس .. الرجال .. وحدي .. بأمي التي لا تغادر  
المطبخ الا الى السرير لتتأوه من روماتيزم الساق .. أما أبي  
فكان يبتسم دائما في وجهي ، حتى لو كان يتألم ، ويهمس :

— أنت اللمسة الرقيقة في حياتي ، الهمسة الناعمة .

وكان يعامل أُمي برقة ولا يمل من سماع شكواها ،  
وكان يحب أن يدفعني الى البوح بشكواي كي استريح ، قلت له :

— أبحاننا التي نجربها يقتلوننا فوق الأوراق ، فتحولنا  
الى الكسل وشرب القهوة وقراءة الجرائد المملة !

قلت له :

— كرهت الفوضى والقناعة بالجهل وسوف أهاجر  
يا أبي .

صمت طويلا ثم قال :

— ما يرضيك يرضيني ، لا أخشى عليك من أي مكان .  
أنت بعشرة رجال .

فשמعت بالقوة وقلت في عناد :

— بالفعل أنا بعشرة رجال .

نبهني مهلب الى محطتي فنزلت من الأتوبيس وسرت الى  
البيت وسار جوارى مكملا حديثا يبدو أنه بدأه في الأتوبيس .

مد كفه ليمسك كفى فسحبتها ، ثم عدت أتركها له  
لأجرب .

كنت أريد أن أصير طبيبة ، أدخل كلية الطب بدلا من العلوم ، لكن مجموعى رمانى الى قسم الجيولوجيا والى التربة والصخور والبازلت وطبقات الجير والرمال ، والخوف من آفات الصحراء وضربة الشمس والدفانة ذات اللدغة القاتلة ، ومعرفة العرق وطعم العطش . كنت اتمنى أن أصير طبيبة للولادة . أخرج الأطفال من البطون ، البنات والبنين والتوائم ، لكن رغبتى أجهضت ، ولا أدري لماذا رغبت فيها ، أما الآن فأنا لا أريد .

أسفل سلم البيت استدرت له مودعة ، وفجأة تذكرت : أن وجهه ظل يذكرنى بصخور الجرانيت التى كنت أجري عليها أبحاثى ، اللون ، قسوة الملامح ، اتساع الجبهة ، وهذا الصدغ ! .. تفحصت لونه الجرانيتى وكان يقرب من وجهى ، يريد أن يفيلنى ، وأردت أن أجرب تأثير قبلته ، لكنه كان خائفا ، فرميت بنظري بعيدا عنه فغافلنى وقبل خدى ! ثم حاول أن يلثم شفتى ، فلم أشعر الا بأثر الضغطة ، وكانت حرارته فى مثل حرارتي فلم ينتقل شيء منه الى ولم ينتقل شيء منى اليه ، وأيقنت أننى فيما قبل كنت واهمة معه .. وعلى الفور رأيت دوده العقيم يتلوى غليظا قويا فى عيني !!

كالأمعاء عندما تلتفظ الأكل الضار ، كالبدن عندما يطرد الجسم الغريب ، كالجسد عندما يتخلص من الدم الفاسد ، شعرت بهذا الرجل يخرج من وجدانى وبصفة نهائية .

فتحت باب الشقة بمفتاحى ، وكانت أسمى فى المطبخ ،

فدخلت مباشرة الى غرفتي مهمومة ، حزينة على سعاد ، كانت المسكينة كلما نكلما تغلقلت نظراتها لتخط فوق شفثيه ! ..

استلفيت على سريري ورحت أنظر الى صورة أبى - كم هو نبيل ، وديع النظرة ، بشارب حليق فوق شفثين جميلتين: كان يعرف امنيتى فى أن اصير طبيبة ولادة .. وقال لى :

- ستكونين أجمل تلميذة بكلية العلوم ، أرجو أن تكونى اكثرهم تفوقا أيضا .

وعقب يومى الأول رآنى أعود قرفانة :

- ابها كلية للأولاد ، ليس هناك من بنات غيرى وغير تلميذة اسمها تفيدة .

- فهل هى جميلة مثلك ؟؟

- بالتدقيق تكتشف جمالها .

- أما الاكتشاف معك فيجىء فى الوهلة الأولى .

ثم همس ونحن فى الشرفة وأمى تتأوه فى غرفتها :

- أرجو أن تثقى بى يا نبيلة ، وأن تحكى لى عن كل ما يطرأ عليك دراسيا .. وعاطفيا .

وبعد برهة عاد يهمس :

- لأن معظم النلاميذ سفازلونك ، وهم فى الحقيقة معذورون .

وهذا ما كان ، وكان تقربهم مسليا ممتعا ، ثم صار مملا مضجرا . وتقربت من تفيدة ، وصارت تترتاح لى ، وعند

التخصص التحقنا بنفسم القسم ، وصار تقاربنا التصاقا .  
كانت طيبة مطيعة وكنت أذاكر معها ، تأتيني هنا أحيانا وأذهب  
إليها أحيانا ، وقرب الامتحانات كنت أبيت عندها في غرفتها  
البسيطة ، وكنا ننام معا فوق سريرها ملتصقتين ، مرتاحة  
قربها .. وأحببت كل ما في حجرها .

وفي وقت البرد كان حضنها يدفئ حضني ، حتى الفت  
أنفاسها وأحسست بمعظم أحلامها ، يقضي الإنسان نصف وقته  
حالما - وكان يلد لها أحيانا أن تدفن أنفها في ابطن فكنكت اعطره  
لها - وكنا في دقائق ما قبل النوم وما بعد اطفاء النور نتحدث  
عن بعض الأولاد في الجامعة ، وكانت هي تحب الحديث عن  
الولد عماد المراهق الذي كان يطلق نصف لحيته من باب لفت  
النظر اليه !!

ثم تخرجنا معا ، وعملت تفيذة بالتدريس وتزوجت ، ولم  
أرتح لذلك فقد كان زوجها غير مناسب لها ، وصدق حدسي ،  
اذ وجدتها تتجنبني وتبتعد عن لقائي - أنا حبيبتهما  
نبيلة !! - وعندما زرتها آخر مرة تلقنتني بارتياح وخرج ! من  
بعد أن قابلني زوجها في جفاء غير مبرر ، كان يقول أنه لا يطمئن  
إلى الصداقة الشديدة بين فتاتين ؛ فكرهته وتركتهما ولم  
نتقابل الا مصادفة .. وقاومت حزني منها حتى كرهتها أيضا  
بمثل ما كرهت رجلها .

وصرت أقوى عزيزتي دائما بقول أبي : انني بمثل  
عشرة رجال .

لكن أين هي الآن - حبيبتي سعاد - كم أحن إليها ،  
لو تأتيني الآن ، لو يرن جرس الباب وتفتحه أمي لتجئ إلي

غرفتى فتننتنى على الفور احساسى ويزغرد كل جسدى وئصير  
الغرفة جميلة والهواء عطرا ، واضمها الى حضنى احيلها ،  
أدقء اناملها بكفى ، أريحها من فستانها الضيق ، ويطمئن جسدها  
الصغير للصقى ، ويجىء أنفها فى صدرى تنهار فيه صامتة كولد  
صغير وتهدأ رجفتها ، الحبيبة البائسة .

أغلقت باب الغرفة واستدردت صاعدة الى السرير ، الحزن  
فى وجهها المنكسر ، والدمع يلمع فى عينيها . أنفى يهبط مداعبا  
أنفها ، تبتسم ، فتفرورق عيناي ، ويبلل الدمع أهدابها وترق  
نظراتها .. المسكينة .. المستكينة .. أحس بحيويتها ، فتاة  
نضرة ، ممتلئة حنانا .. أداعبها بكلمات عطوفة ، فتتجه  
بانظارها .. الى شفتى .. ثم تفرد بضحكة واهنة .. ولتكمش  
فى جسدى .. وأشعر بكفيها فوق ظهرى .

## نبض الجناح

كنت قد اظلمت فوقى ، وأرجعت مسندى حتى آخره .  
ثم اغمضت عيني .

رفض النوم أن يأتيني . عدلت مقعدى . كل المصاييح  
مطفأة ، عدا المصباح المجاور وعدا مصباح قريب جلب أنظاري ،  
كشف نوره عن شابة جميلة من تحته ، أعجبنى جدا « بروفيل »  
وجهها . نظرت الى ظلام الخارج قرأت صورتها منعكسة في  
زجاج النافذة المستديرة ، كانت مستغرقة في القراءة . عدت  
اليها : شقراء ، رقيقة الملامح ، رفيعة العنق ، عالية الجبهة .  
تذكرت اختى بشعرها الأسمر القصير وشفتيها المملكتين وابى  
وأبى يلوحون لى بأيديهم فى انظار .. لكن الراكب الى جوارى  
نظر الى من فوق نظارته وهمس :

- أرى أنك لا تستطيع النوم ؟ !



- نعم ..
- مع اننا تجاوزنا الثالثة بعد منتصف الليل !
- نعم ..
- ومع أن معظم الركاب قد راحوا في النوم !!
- يختلف الناس .
- تلقت حوله محرجا في همس :
- انا ايضا لا يأتيني النوم في الطائرات .
- اغلق الملف الذى كان يقرأه ، وحتره في الشبكة المثبتة بظهر  
المقعد المقابل ، وهمس :
- فهل يضايقك أن نتحدث معا ، همسا حتى لا نوقظ  
النيام ؟؟
- ترددت وقتا ثم همست :
- أبدا ..
- وبكت أمى وهى تودعنى وقالت : حافظى على صحتك  
وشبابك .. وفهمت أنا أنها تريد أن تحذرنى من الاسراف في  
مصاحبة البنات .
- خيع الرجل نظائره وقدم لى نفسه ، فعرفت انه يعمل في  
التسلييب الاحمر . سألتى :
- أنت مصرى ؟؟
- اومات .. لكنى رايت بيتنا القديم في أقصى جنوب البلدة ،  
وشاهدت الكبش الصغير يقفز فوق احجار المعبد المتهدم ،

وشغلت الشخايل في عنقه ، وكانت الفجيرة الصغيرة تطارده ،  
ولم يتوقف الا عند الكلا .. كنت صبيا .. وبعد ذلك رحلنا  
الى القاهرة .

سال الرجل :

— عندكم الهلال الأحمر ؟؟

اومات ..

— كذلك في تركيا وفي اربع جمهوريات سوفيتية ، اما في  
ايران فيحل الاسد الأحمر محل الصليب الأحمر .

— اختلفت الرايات والهدف واحد .

— طبعاً . ومن قبلنا كان الجرحى يتركون في أماكنهم حتى  
يموتون الما وجوعاً ، ولم يكن هناك من يرعى الجندى ان هو  
وقع في أسر عدوه ، كانت الأمور سيئة ، وكانت الدنيا فوضى ،  
ونادراً ما كانت الجيوش تتفق على هدنة لسحب الجرحى من  
أرض المعركة ودفن الموتى ، وفي أغلب الأحوال لم يكن يحدث  
ذلك ، فكانت الجثث تتعفن وكانت الأوبئة تنتشر مثل الطاعون  
أو الكوليرا .

— شيء بشع .

— كان ذلك في الماضي ، وكان الانسان في بداية تمدنه ،  
اما الآن فنحن نستخدم أحدث ما وصل اليه الطب كي نقوم  
بدور اليد الحنون للبشرية ، وذلك في الحروب وفي كوارث  
الطبيعة .

— هكذا يجب ان يسخر العلم .

— طبعا . وان كانت هناك حالات لا نستطيع حيالها تصرفا ويقف الطب عاجزا ، كان تصيب الطلقة أو الشظية موضع القلب في صدر الجندي ، كأن تكون حروقه أقوى من طاقة الاحتمال البشري ، كان يعثر عليه وقد نرفت كل دمائه أو فصلت رأسه تماما .

سالتني اختي : لماذا تهاجر ؟ ! قلت لها : تعرفين ان كل الأبواب أغلقت .

وهمس الرجل :

— وأسرنا الجنود حفا هو من يتلقى صاروخا فوق نافوخه يقضى عليه في الحال ، أو تدوس قدمه على لغم حديث ينثره قطعا في الهواء ، وفي الحالتين لن نعثر على أى شيء . أنت تسمع عن مدى فاعلية الأسلحة الحديثة ؟؟

— أسمع .

— ومن أجل هؤلاء الجنود الذين يتناثرون تقيم الدول ائتمندة نصب الجندي المجهول ، عندكم منها ؟؟

— عندنا ..

— أنا نفسي شاهدت منها العديد في الدول التي زرتها ، آخرها كان في صوفيا ، في وسط حديقة تسمى « حديقة الأطباء » .. كأنه مسلة فرعونية ضخمة مبتورة الارتفاع ، جدار سميك أصم ، كسا الرخام الناصع جوانبه الأربعة ، وغطت الحروف السوداء بياض رخامه ، وقد راعوا عند بنائه أن يكون رصينا بلا زركشة ، وأن يسع سطحه عددا كبيرا جدا من الأسماء المحفورة عليه .. نصب تذكاري لبعض ضحايا الحرب العالمية

الأخيرة ، من الأطباء الروس ، ماتوا وهم يعالجون المحاربين ضد جيوش هتلر .

— لمسة وفاء .

وقد رأيت سائحة روسية عجوزا تدور حول النصب ، كانت ترتدى بالطو من النايلون الرمادى ولم يكن الجو باردا ، وكانت تنكئ على مظلة مغلقة ولم يكن الجو ينبئ بالمطر ، كان يبدو عليها أنها تبحث عن اسم معين بين هذه الأسماء . ظلت تدور وتتفحص بعينها ، وتجاوئ وجهها تتبدل . انتهت من جانب فاستدارت الى الجانب الآخر ، وظلت أنا مكاني أراقب هذا المشهد ، حتى وجدتها تجمد مكاتها فجأة — ربما تكون قد شهقت — متسمة الأنظار عند اسم معين ، وربما تكون قد بكت ولكنى لم أر الدموع .

— من الجائز انه كان ولدها ؟؟

— أو أخاها ..

— أو زوجها ..

— أو حبيبها ، لابد انه كان شابا فى ذلك الحين ، ومن الجائز انه تركها على وعد بالزواج عند لقاء العودة ، ولكنه لم يف بوعدده ..

نظرت الى « بروفل » الوجه الجميل تحت النور — لكن البرق فى الخارج شد انظارى ، لمع بسرعة واختفى ولم أسمع رجدا ، شرخ مضى فى سواد كامل على مدى الرؤية ، ومن فوقنا السحب المرتفعة تحجب القمر ، وعندما تتركه ليظهر تقوم أشعته بكثيف السحب المنخفضة . اسفلنا ، فهل تمطر الآن فى الأرض ؟؟

ارتحت للصمت .. وفي المطار نهرت اختي أمي : « لماذا  
تبكين يا أمي ؟ دعيه يهاجر ، انه وسيم وربما تزوج هناك  
ابنة احد الاثرياء » .. لكنها قرب موعد الطائرة انتحت جانبا  
وبكت هي أيضا .

اخذت اتابع لمبات الجناح وهي تنبض في توتر رتيب ،  
حدراء ثم خضراء ، ثم حمراء .. وقاستني فتحيحة بنظراتها ،  
ولما رفعت ثوبها أعجبنى فخذاها .. لكنها توافقت وقالت انها  
تقبض اجرها مقدما .. ثم عاد الرجل يهمس :

— تفوم الحروب مع ان كل الشعوب تمقتها ، حتى في  
أمريكا شاهدت الشباب يتظاهرون ضدها ، وكانت لحامم  
طويلة ، لا أدري لماذا لا يحاقونها ؟ .. سمعت أنهم لا يستحمون  
أيضا !! .. وكانوا يحملون لافتة كتب عليها : « ارفعوا أيديكم  
عن الشعوب الصغيرة » .

أردت أن أسأله : هل رفعوها ؟؟ لكنني استسهات السكوت ،  
ثم قلت في سري بأن هناك فرقا كبيرا بين من يعتدى وبين من  
يدافع عن نفسه ، وقررت أن أخبر الرجل بذلك ، إلا أنني لم  
أفعل . وكان الصمت ثواني ثم عاد الرجل يهمس :

— ليس من حقى أن أهمس لك بما همست . أرجوك انس  
أننى همست لك به .

— أذكر انكم هيئة انسانية محايدة .

— قد انقلدنا الكثير من شتى الجنسيات والمثل . أذكر  
حالات معينة حدثت معى على وجه التحديد .. منها جندي

أمريكي وجدته في كوريا وقد نزلت دماؤه بغزارة ، اضطررنا الى بتر ساقيه من عند الفخذين ، لكننا نجحنا في إيقاف النزيف وفى انقاذه وأعدناه الى بلده ، وهو الآن يعيش في صحة جيدة .

شعرت بتلج في اطرافى . وضعت البطانية الصوف فوق ساقى .

— هناك أيضا شابة فيتنامية ، أغلب الظن انها بوذية ، يبدو أن القارات الأمريكية أفقدتها عقلها ، فهرمت تلقى بنفسها الى النهر ، وكادت أن تفرق لولا أن تصادف مروونا — من حسن حظها — فانتشلناها وادخلناها مصحة الأمراض العصبية .

كادت الدماء أن تفر من عروقى .. سمعت صفارة المخلج .. وقررت أن أنهر الرجل حتى يكف ، وقررت أن أفعل ذلك بصوت جهورى ، لكن ضغط الارتفاع زاد من صداع رأسى وضيق تنفسى .. ولما رأينا البوليس يتقدم نحونا بالخصى والخوذات جرينا ، واحتمينا بسور المدرسة ونحن نلهث ، لكنهم اقتحموها فعبروا الملعب ركضاً ، ولما قفزنا من فوق السور الشافى سقطنا منهكين فوق العشب البرى قمزقتنا اشواكه .

همس الرجل :

— وهناك أيضا شاب اردنى فى منطقكم أصيب بالنابالم ، وجدناه فى حالة ميئوس منها وقد فقد بصره وتشوه وجهه قليلا .. فبذلنا معه المستحيل حتى أصبح قادرا أن يتحسس طريقه فى شوارع عمان .

مطب هوائى سخي ، هبطت الطائرة ثم صعدت ، فجأة فى المرتين ، فطارت رأسى منفصلة عن جسمى ثم عادت تنفرز

بشدة ، وصعد الثلج الى خدى ، وشعرت بالدوار .. وسألتني  
أختي في عناد : « لماذا » ؟ .. قلت لها : سئمت كل شيء .  
فرصتي اعطيت لغيري ، وفرصة غيري القيت لى .. اريد ان  
أعيش قبل ان أشيخ .

نظرت الى مقعد الفتاة الجميلة فوجدت نورها مطفاً ، فلم  
يعجبني ذلك ، وتمنيت أن يسكت الرجل وودت لو نصل سريعا .  
ونظرت الى ساعتى فعاد الرجل يهمس :

– الساعة تقول : اننا فى عز الفجر ، ولكن الطائرة  
تخترق بعض السحب الداكنة لذلك فنحن لا نرى نوره ، وكان  
من الممكن أن نراه قبل سكان الأرض ، وكان من الممكن أن نرى  
المحيط الآن عند التقائه بأرض القارة وهو من أجمل المناظر –  
اننى أسافر كثيرا واعرف كثيرا – ولو كان الجو صحوا وزاد  
ارتفاعنا عن ذلك كثيرا لشاهدنا مساحات أوسع من الأرض ،  
رواد الفضاء يشاهدون من سفنهم كل الكرة الأرضية .

سكت الرجل فأعطيته نصف ظهرى مستديرا الى الخارج ،  
ناظرا الى لمبات الجناح النابضة ، وكان الجناح يلج الى سحابة  
شديدة القتامة .. ورايت الكباش الأبيض يقفز .. ودخلت حقول  
القصب .. لكنى حزنت عندما انتهيت من فتحة بسرعة كبيرة ..  
ولما نظرتنى الكباش فى بطنى بقرنيه الصغيرين ضحكوا .. وتلأت  
كثيرا عندما ادمت الأشواك ساقى بالجروح .. وقلت : هذه  
استقالتي فقبلها الرجل على الفور وكأنه كان ينتظرها وكانت  
عيناه جاحظتين .. لوحات أختى وبكت امى .. ثم جرى الكباش

الأبيض بعيدا .. بعيدا .. بعيدا .. فلم أر شيئا لكنى سمعت  
همس الرجل :

– وقدما كانوا يرحمون من يقول : ان الأرض كروية !!  
ضحك ثم تعجب هامسا :  
– تصور !! وبالحجارة !!

مارس ١٩٧١



## رأسها فوق صدرى

- ٩ -

تحففتنى متشبثة بى فى عنف ، تنظر الى وجهى طويلا ،  
كفاما فوق ظهري ، ذراعاها تحيطانى ، تشدنى الى صدرها فى  
عصبية . وجهها يبتسم فى هدوء . نفسك . تصمت ، تبسم ،  
حطوة ابتسامتها . تتركنى ؛ تنزوى جانبا ، تنحيس ضحكاتها  
وتترقرق دموعها . انبكي ؟ .. ابتسامتها لم تختف ..

- ذلك من فعل المفاجأة . صدقتى . من فرط سعادتى .  
صوتها ، جميل رنينه على أذنى . وراء هذه التصرفات  
خوف مكبوتا طوال غيبتى .

صرخ زميلى اشرف ، وكنا فى ملجأ الأفراد :

- صرسي يؤمنى .

## - ٢ -

- ملينة بالعرق هذه الملابس الصفراء .  
- صحتك ليست على ما برام !!  
البنطلون مغطى بذرات التراب الأصفر .  
- لون وجهك تغير كثيرا ، ليس طبيعيا !!  
لون بطني اكثر بياضا من ذراعى ووجهى .  
- كل شىء فيك تغير !!  
- امر طبيعى ..  
- عدا عينيك ..  
اتأملها . تبسم . تقترب منى مدققة . تتراجع :  
- حتى هما تغيرتا . نظراتك الآن اكثر حدة ، اكثر قلقا !!  
صرخت :  
- حاسب يا اشرف ..  
قال :  
- ... ..  
قال :  
- ... ..  
لم يقل .  
- قلت :

## — حاسب .

الحياة سخيقة بدون انى . امد لها يدى . تندفع بينهما .  
رائحة عنقها . لحم المرأة . خدها ناعم على شفتى . شعرها  
يداعب أنفى ، رائحته . أعود الى عنقها . رائحة البشرة . اغمض  
عينى مشتاقا :

— اجازتى ٣٦ ساعة ..

— فقط ؟ !

— طواريء .

— لو اعرف أنك قادم لتزيت لك .

— ٣٧ —

صوت المطبخ . جميل أن تعد زوجتى الطعام لى . صوب  
الملقعة يصطدم بالوعاء ، اصطكاك الغطاء به هابطا فوقه : لكن  
وجبة حافلة احتفاء بعودتى العابرة .

البيت يحيطنى ، فلأملأ صدرى بهوائه . الجدران كائنة  
قائمة عمودية . الستائر حية ترتعش مع النسمة . باب الشقة  
وشرح فى زجاج الشراة . المقاعد متواجدة ، ملمسها ناعم على  
أصبعى ، لونها جميل ، وهذا خط أسود رفيع يلاصق كل  
خط عريض !! لأول مرة الحظه ، اذكر اللون بصفة عامة . لون  
عينى اشرف كان بنيا ، ام كان عسليا ؟ .. غريبة !! رغم انى  
احبه !! اما لون عينى زوجتى فهو عسلى ، جائز جدا ، بل من  
المؤكد .

اسمع المياه تتدفق من صنوبر المطبخ .

## - ٤ -

لين ، ناعم ، جسدى مرتاح ، مرتاح فوق هذا الفراش ،  
ظهري ، والآن بطنى .. غاصت انفى فى الوسادة ، رائحة  
زوجتى ، اقدر على تمييزها من بين ملايين الروائح . أسمع  
المطبخ .

كنت أتمسح وأنا طفل فوق السرير حتى طرفه ، كنت  
أحب ان أميل برأسى ، كنت أرفع غطاء الملاءة المنساب جانبا  
وانظر تحت السرير .. كما أفعل الآن .. كما أفعل .. الآن ..  
مرة وجدت برتقالة تحت الثنية فى الصالة ، كان أخى قد خباها  
الى حين ، وبعد ساعة بحث عنها .

سألته :

- عم تبحث ؟؟

أحمر وجهه وقال :

- عن فردة الحذاء .

ولما رأى ابتسم فى مكر ، عرف انها استنقرت فى بطنى ..  
فهمم نحوى بفتة والقانى أرضا .. الا أئننى ضربته ..

والآن ها هو أسفل السرير بلا يرتقال !! .. به بعض  
التراب وشبشب قديم .. وصرصار ، كيف أفلت من مطاردات  
زوجتى النشطة ؟ ! هل أقتله بالشبشب القديم ؟ ! ليست عندى  
الرغبة .. ولكن أين القط ؟ ! الملعون يظل نائما حتى موعد  
الأكل فينشط ويعلن عن وجوده ويتمسح !!

اصوات المطبخ مستمرة ، صوت وماء « يشطف » تحت  
الصنبور .. صوت كوب يمتلئ بالماء . لا اشم رائحة الطعام  
بعد .. الآن وضع الكوب مقلوبا فوق الرخامة .. وزوجتى  
مصرة على الحكى .. وهى تحكى بلهجتها الصعيدية المحببة ..  
منذ ان دخلت المطبخ وهى تقص كل ما حدث - وربما ما لم  
يحدث - خلال فترة غيابى .. « طشيش القدحة » : الله !  
ها هى الرائحة ، وجميل منها أن تتجنب وبذكاء ، سيرة الحرب .

- آى . آى . ضرسى يؤلمنى ..

ولما تناولت علبة السجائر لأخرج واحدة تساقطت منها  
جبات الرمال .

- ٥ -

دورة مياه شقتى ، خاصة بشقتى .. والمرآة .. وماكينه  
الحلاقة ، وسله الملابس المتسخة . الجلسة فوق مقعد المرحاض  
مريحة - ذلك أصبح مؤكدا الآن - والجريدة فى يدى ، كما فى  
الأيام الأولى .. عيناى لا تقرا ، ترى الحروف ولا تقرا ..  
بالفعل انا سعيد بهذه الجلسة .. سعيد جدا .. ( وهما هي  
هارون الرشيد قادم عبر الحوائط متلألئا بين جواهره البراقة ،  
لا لشيء الا ليرمقنى فى حسد وغيرة ! . قلت له : لا تحاول ،  
هذه سعادة لن تعرف مثلها ) .

صوت زوجتى يقترب ، نشرتها الاخبارية تلو ، انتقل  
المؤشر من موجة المطبخ القصيرة الى موجة الصالة المتوسطة  
بذبذبة قدرها .. قدرها .. كم ؟؟

- كم ؟؟ قلت كم طول الموجة ؟؟ هس .. هس .. ها هو العدر  
يتحدث .. يتخابر .. تمكنت من التقاط موجته بعد أن غيرها  
منذ دقائق .. هس .. دعنى أستمع .

لزمتم الصمت . كان أشرف يعرف لفة الأعداء كواحد  
منهم ، وكان ضرره يؤله .

ماء الدش ممتع .. ( نظرة هارون الرشيد تتسع جسدا ) ..  
الخيوط الهابطة منشفة ، غاية الانماش ، فوق وجهى ، فوق  
كتفى ، فوق ظهرى ، وصدرى .. وطعمها لذيد ، ولو زاد  
تساقطها لكانت المتعة أكثر - هناك المياه سوداء بالطين ،  
وأوقاتا صفراء بالرمال - ولن أخرج من هنا .. لن ..  
أخرج .. من .. هنا .. خيوط الماء .. رذاذ الماء ..

لكن ما دامت رائحة الأكل تتسرب فى افراء من تحت الباب  
فهذا معناه أن الطعام قد نضج ، وقد حان الآن موعد  
اغلاق الدش .

- ٦ -

كما كانت أيام فترة الخطوبة : هذه النظرة الجانبية السريعة  
المملتئة بالأثوثة وبعض الخجل ! جسدها دافئ ودود .. جدت  
فترة الغياب سحرها فى عيني ، ضاعفت أيام الخطر من جمالها  
مليون مرة ، أرى أحلى امرأة فى تاريخ كل الحياة ، العين ،  
الرموش ، الفم ، الشعر ، الدفن والعنق ، والبسمة .. فلتكن لى .

دقة خفيفة من كفيها :

- لكننى لم اتناول حبة منع الحمل .  
ساحرة الجمال حتى تكلمت !!

تضغط أسنانها على شفتها السفلى .. نادمة ؟ ! .. تنكس  
نظراتها بعيدا عن عيني . تحسين بتسرعك ؟ ! والآن تبالغين في  
خجلك .. وشكلك هذا مضحك ، جميل .

ابتسم . تبتسم ، وتدخل نحوى في عطف وتلتصق بجسدى .  
آن لجسدى المشدود أن يستريح بين ذراعيها ، ولأنفى أن يستكين  
في رائحة شعرها .

## - ٧ -

أرذل اختراع في العالم هو الضجيج - مرة انفجرت في  
قهقهات عالية ، لكننى لم أسمع صوت ضحكى بسبب الانفجارات -  
الهدوء عظيم ، السكون رائع ، والصمت سعادة ، الا من أنفاسها  
منتظمة الشدو ، والا من أنفاسى المنتشية بالراحة . يداى  
تمتدان نحوها تشدها في يسر .. تميل الخطوة فوق صدرى ،  
تفتح فمها هامسة بالكلام ، تتولى أصابعى أسكاتها مشيرة في  
حزم : فليكن صمتا .. وكان صمتا .

هذه الراحة ، ثقل رأسها فوق صدرى ، مداعبات  
أصابعها لشعره الغزير واكتشافها عدة شعيرات بيض به ، رمقاتها  
الهاشة نحوى من لحظة لأخرى ، كل ذلك لم يكن رائعا كما  
هو الآن ، وأجمل منه في ليلتنا الأولى .

تمد يدها لتطفئ النور . لا أريد الظلام ، لا أريده ، أحب  
النور :

- دعيه ..

تقبلنى فى خدى مطبعة ، تربت برفق وحنو على ، ثم  
تستكين : هل كانت كلمتى مدعورة ؟ ! هل كانت جافة ؟ ! ..  
وهذا الصوت ؟؟ !! تنتفض :

- الجرس .

- اهدئى .

- زائر بالباب .

- سياس وينصرف .

ندفن وجهها فى انطى ، هذا افضل . وهذه الساعة  
فلتركن بعيدا ، كم الساعة الآن ؟؟ يا خبر !! .. اركنها بعيدا ..  
هذا احسن .. بعيدا جدا بحيث لا اسمع تكتكاتها . وهذا  
الترانزستور الصامت : يوحى الى بالأصوات وبشرة الأخبار ..  
وبالحرب .. فليستقر تحت السرير .. مع الصرصار ..  
الشارد .

- ٨ -

ضوء المصباح .. يعجبني النور .. هناك الظلام طوأن  
الليل .

- حاسب . حاسب .

شبكتنا عيني مشتاقة الى النور : لكن نار اللهو سقطت على  
راسي أشرف فوق نافوخته . وكان سيخلع ضرسه فى اليوم التالي  
كان .. سيخلع .. ضرسه .. فى اليوم التالي . النور فعل  
مضاد للظلام .. كل طفل يحب النظر الى النور ، ينام فوق



المهد يحملق في المصباح .. انا انظر الى المصباح ، انا احمق الى  
الضوء ، انا ارى امى داخل المصباح .. انا طفل صغير .. فى  
زمن الحرب القديمة .. طفل صغير .. أبكى صارخا بصوت  
مرتفع مزعج ، يدفع امى الى السخينة : -

- ها هي صفارة الانذار تنطلق .. غارة !!

ازداد حلقه الى المصباح .. انا اغنى منسجما تحت الدش  
بصوتى الأجهش المرتفع جدا ، المزعج .. المراهق .. المزعج  
المرهق .. انا اسمع نقرات امى على باب الحمام .. انا اسمعها  
تساعل فى دهشة شديدة عن الكيفية التى انتقلت بها صفارة  
مصنع المدينة الى حمامنا لتنتقل فى غير موعدها - وكانت قد  
نسيت الحرب القديمة - فقلت لها : انى انا الذى اغنى وان ذلك  
صوت غنائى الرخيم \*

ضوء المصباح يتلون ! يخفت ! .. ( اشرف ينظر مبتسما ) :

- صديقى العزيز : كيف دخلت النور ؟ ! .. هل خلعت  
ضرسك ؟؟

- لم اخلعه . استرحت من آلامه . ما رايك فى الحياة ؟؟

جدران الغرفة تتحول الى لون فوسفورى غريب !! ..  
السقف يبرق !! عقربا الساعة يقترب أحدهما من الآخر فى اصرار  
قاتل .. تكتكات الساعة .. عقربا الساعة يتضخمان !! ارى كائنا  
محبيا مشعا سخيف المنظر ، ينظر الى زوجتى !! .. اصابعه  
طويلة رفيعة كثيرة العدد !! يمسك راسى ككرة صغيرة ، لا يرفع  
نظراته عن زوجتى .. لا .. يرفع نظراته .. عن زوجتى ..

ضرب اشرف فوق نافوخه - حاسب يا اشرف - ضرب ..  
 اشرف صديقى .. فوق نافوخه !! .. يضع عنقى بين حدى  
 العقرين المقربين .. انا اقاومه ، يجب .. احاول أن افقأ  
 عينيه .. العقران يضغطان على عنقى .. بشدة .. بشدة  
 أكثر .. التكتكات .. عيناى تجعظان : « حاسب » .. يقترب  
 من زوجتى .. التكتكات .. « لتزيت لك » .. أمى ..  
 أخى .. الصفارة .. البرتقالة تحت السرير .. الحمام هارون  
 الرشيد الحرب القديمة .. أمى .. التكتكات .. حبة منع  
 الحمل .. أمى سوف أنهض .. سأنهض .. لابد ..

- ٩ -

.... نهضت . ضوء النهار يتسلل . المصباح مضاء .  
 نظرات زوجتى مضطربة متسائلة فى انزعاج . اقبلها فى حنان  
 فوق وجنتها . ابتسم لها مطمئنا وانا اخلع بيجامتى . اثبتت  
 الساعة حول معصمى بعد التأكد من ملئها . أمد يدى الى ملابسى  
 الكاكي المفسولة .

نوفمبر ١٩٦٩

## انا نؤجل

جاءت نحوى فيما يشبه الابتسامة ..

قالت :

— انت امل أخير بالنسبة لى ..

كان شعرها ينساب ناعما طبيعيا من حول وجهها ،  
اعجبني ذلك :

— شعرك هكذا جميل .. لماذا كنت تخفيه بالباروكة ؟!

لم تبسم وقالت فى جدية :

— هل أستطيع أن اثق بك ؟؟

خفق قلبى دهشة . قلت هذا عبء . نظرت الى وجهها  
الجميل ، لم تكن تنظر الى ، وكانت تنظر الى مكان غير محدد  
فوق صدرى .. وعندما رايت عينيها لاحظت أن نظراتها بطيئة

حزينة ، وكانت ضمة شفيتها فيها المرارة والاحساس بالفين  
وكانت عصبيتها فيها قليل من الاحتجاج .

عادت تسألنى وهو تدنو بفمها من اذنى :

— هل استطيع أن أثق بك ؟؟

كان الضجيج من حولنا . أجبت :

— ليس بصفة مطلقة ..

لم تسمعنى . عدت أهتف :

— ليس بصفة مطلقة ..

زاد الخمول فى نظراتها ، كانت تنظر نحوى كما لو كانت  
تنظر الى شيء منبسط على بعد أميال .

عند الناصية قالت لى : انها أصبحت لا تطيق الجلوس مع  
والدها ، وانها صارت لا تحتمل أحاديثه معها وأن الكلام بينهما  
صار مقتعلا : سؤال قصير وجواب أقصر .

قالت :

— أجيبه دائما بكلمات قليلة مثل : ربما أو جائز أو يمكن  
أو لا ادرى ، كثيرا ما اقول له : لا يهمنى .. وأحيانا تنخفض  
اجاباتى الى الصمت وتحول الى هزة من راسى بلا أو نسم  
أو رفعة حاجبين فى تصنع الدهشة . هل جربت ذلك ؟؟

— مات أبى منذ الصبا ، وأنقر من الكبار .

— لا تظن اننى اكره والدى . اننى أحبه ، ولكننا لا نجد  
ما نقوله لبعضنا .. وفى الليل والدنيا سكوت اسمع صوت

تنفسه من حجرتي ، والتذكر أنه شيخ معتل الصحة فتنتابني  
الوساوس السوداء من أنه قد يموت في كل لحظة ، وهذا بشع .

توقعت الدموع في عينيها ، وقلت لنفسي : تمتلئ صحف  
هذه الأيام بأسماء الموتى من صفار السن .. لكنني لم أخبرها  
عن هذه الملاحظة لبدايتها .

في صالة الشاي الهندي ، كان طفل الوظيفة الهندية يبكي  
فسألتها ان كانت قد لاحظت ذلك . رفعت حاجبها في دهشة .  
قلت :

— صوت بكاء الطفل الهندي يشبه صوت بكاء الطفل  
المصري ..

قالت :

— لأن بكاء الأطفال يتشابه .

وكانت الاضاءة خافتة في الداخل ، وكنت أرى خيالات  
المارة تتماوج فوق الزجاج المصنفر .. فأخذت أحدثها عن ذلك  
اليوم القديم ، حيث لم يكن الوقت مساء ، وإنما اقرب آخر  
النهار والشمس تنتهي من الغيب ، وحيث تتشابه الألوان  
ويصبح الشيء في لون الظل ، وحيث تخطيء العين تقدير  
الأبعاد .. لذلك فإنهم عندما ظهروا بفتة في غرفتي لم أقدر على  
تحديد المسافة بيني وبينهم بالضبط ، ولم أقدر على تمييز  
تضاريس وجوههم — لكنني حسنت أنهم الجاحظون — الشرطة ..  
ودق قلبي في عنف وأحسست بثقل في كل جسدي ، فقيدوني —  
بدو أنهم قيدوني — ثم أخذوا يجمعون كل ما هو مكتوب : مسودات  
اشعاري — كنت ساكنة اشعارا — وحتى خطابات ابي ورسائل

حببتي اخذوها .. توقفتهم آخر الليل وكل الناس نيام لكنهم  
جاءوا قرب آخر النهار ، لذلك فقد ذهبت واظنهم تكلموا ببعض  
الكلام .. كانوا يقفون مفرودى الطول في وقفات متشابهة ،  
اصواتهم باردة متلاحقة كرجع الصدى ، الاول ثم الثانى ثم  
الثالث . قالوا :

— سوف نقرا هذه الكتابات بعناية فائقة ، ظاهرها عن  
الحب ولكن من يدري ..

وقالوا :

— نحن فطناء وسوف نبحث عن المعانى المغيبة ..

وقالوا .. ايضا :

— لدينا من المواد الكيميائية ما يظهر كل خفى ولدينا  
العلماء .. سوف ندخل راسك ..

لكنى عندما اضاءت المصباح الكهربى لاحظت فوقه افرازات  
البعوض وكانت الغرفة خالية .. الا أن عيونهم كانت جاحظة  
وقالوا : « سوف ندخل راسك » . وصارت هزيمة الشمس  
ساعة الغروب تذكرنى بخطابات أبى الصائفة ورسائل حببتي  
وارهاصات أشعارى .. لم أكن أتوقع أن تعجب هذه الأشعار  
كل الناس ، لكنها كانت تعجب حببتي ، وهذا يكفينى ، فلما  
علمت بفقدائها صارت تتجاهلنى ثم اختفت من حياتى بطريقة  
شبه نهائية .. وقالوا سوف ندخل راسك :

— ولم اعد الآن اذكر التفاصيل الدقيقة لوجه حببتي ،  
ربما كانت تشبهك .

سكت الطفل الهندي عن البكاء .

قالت :

– يمكنك كتابة الأشعار ثائية .

ابتسمت ولم أرد ، وأعجبني أن صدرها ممتلئ بشدين  
كبيرين ، لكنها كانت تنهد .. ربما كانت تشبهها ، إلا أن  
ما يمضى لا يعود ، ويومها كنت أحب ، أما الآن فلم أعد أثق ،  
وصرت أحاول أن أكون لصا ، أسرق لحظات الصدق .

حركة مفاجئة في عينيها :

– صادقت شبانا كثيرين وكانوا تافهين . ولكنى أحببت  
واحدا فقط وقررت أن أصارحه بحبي ، وكنت كل مرة أقابله  
فيها لا أفعل ..

بكى صوتها :

– كنت حقا ..

ارتعش فنجان الشاي بين أصابعها فأعادته دون أن  
ترشف .. يكون الندم على ما لم تفعله وليس على ما فعلناه ،  
ونؤجل على أمل قدوم لحظة أفضل لا تأتي .

غطت الدموع عينيها عاكسة من فوقها الأشياء ضئيلة  
متوجة الحواف .

قالت :

– حتى اسمى صرت أكرهه لأن والدى أطلقه على .. هل  
تحب اسمك ؟؟

في الشارع مرة أخرى . قالت :

— سمعت وأنا صغيرة عن أمور كثيرة تنتظرني في المستقبل،  
والآن تحول مستقبلي الى حاضر ، وأجد أن كل ما قيل كان  
سخفا .

وكنا نمر أمام محل الزهور فقالت انها تحب الزهور ..  
وفكرت أن اشترى لها بعضا منها في الحال ، وفكرت أن ذلك قد  
يجعل قلبها ينبض بلحظات سعيدة .. الا أننا كنا قد عبرنا  
المحل فأجلت ذلك .. وشعرت برغبة في اخذ كفتها بين كفى لكنى  
ترددت .. وفي الصباح عندما خرجت من البيت أحسست —  
لسبب مجهول — بالحنين البكاء لكنى خجلت من المارة وبلغت  
ريقى ومشيت اصفر .. واذكر مرة أننى كنت أركب المترو  
ولسبب لا أذكره كنت سعيدا ، وكان ذلك في الماضى البعيد ،  
وكنت أريد أن أنطق مقنيا بصوت عال ، وبالفعل بدأت أدنين  
فنظر نحوى جميع القريبين منى ، ولدت بالنساطر الخارجية  
وغنيت فى سرى .. ثم سرعان ما جئاني صداد سخيف .

قرب محطة الأتوبيس وفى ظل الحائط سألتنى :

— قرب أنت من سنى فهل استطع أن اثق بك ؟؟

ترددت . تهدج صوتها :

— لماذا لا تجيب ؟ ! أقول انك قريب من سنى فهل

استطيع أن اثق بك ؟؟

قلت وكان صوتى خافتا :

— علينا أن نلتقى كثيرا ..

هزت راسها سريعا . قلت فى صوت أكثر خفوتا :

— وإن نحاول .

يناير ١٩٧١



## الأيام التالية

تلقت الطبيب حوله حلدا ثم همس في أذني أن آخذها  
وأوجه بها الى موقع ناء عن الناس ، بعيدا عن المدينة ..  
قال :

— يلزمها راحت الأعصاب والهدوء .

قلت :

— أظن ذلك .

همس :

— اخفض صوتك . كما أنها في حاجة الى فترة نقاهة  
محاطة بالسكينة ..

قلت :

— أعرف ذلك .

همس مستاء :

— قلت لك ، همست لك ان تخفض صوتك .

جئنا الى هذا المكان على شاطئ البحر . البحر ممتد بعيد جدا ، لا يحده حد ، يبدو مقوس الأفق أزرق باهتا ، صخري الشاطئ ، صخوره مدببة كأنها الابر كأنها حدود بلط أو أسنان خناجر .

سكننا هذا الكوخ الخشبي ، لا ادري كيف يقلت من ربيع الشتاء !! لكننا في آخر فصل الصيف والهواء ساكن والأمواج خفيفة الوشيش ، وكنت أعلم الا شيء مضمون في مثل هذا الوقت من العام ، قد يبدأ اليوم صيفا وينتهي شتاء ، قد ينتقل عبر فصول العام في خلال ساعات قليلة .

بعد الخطوة الأولى لنا هنا نظرت هي الى البحر طويلا طويلا ، راقبتها ، أخذت عينها ترقان ثم أخيرا لانت تجاعيدها الخفية وكادت تختفي تماما عندما ابتسمت ، أعجبها البحر وهذا قال حسن لأعصابها .

قامت بتفحص الكوخ ، اختارت السرير المناسب لها ، ثم جلست على حافته رامية ببصرها الى البحر خلال زجاج النافذة . قلت :

— مرتاحة ؟؟

ربما لم نسمعي . كانت آثار الكلمات ما زالت واضحة في جبهتها . استندارت الى الجانب المقابل للبحر ، نظراتها الساكنة بدأت تنشط ، ثم بدا أنها تكتشف شيئا مذهلا .

هرولت خارجة ثم شهقت واقفة أمام الشريط الحديدي  
الممتد محاذيا الشاطئ .

قالت منفعة :

— هذا شريط سكة حديد .

كيف لم تراه ؟ ! عبرنا فوقه في طريقنا الى الكوخ وكادت  
تتعثر فيه !! .. لكنها كانت مأخوذة بفساحة البحر وحركته  
الأزلية الرجراجة .

قالت :

— يمر القطار من هنا .

الشريط قديم وصديء من الجو الرطب ومن عدم  
الاستعمال . في قديم الزمان كان يمرق القطار من هنا رابطا  
ما بين مدن الشاطئ وقراه ، لكنه لم يعد يجرى هذه الأيام ،  
الفي ولم يرفع الشريط وترك للصدأ وللأعشاب تنمو من حوله  
ولبعض السحالي البحرية تمرح من أسفله .

قالت :

— ما دام هذا شريطا حديديا فمن المؤكد ان القطار يمر  
من هنا .. هل تعرف مواعيده ؟؟

— لا توجد مواعيد لقطار لا يمر !!

ربما لم تسمعي ، استدارت الى البحر وقالت :

— ومن المؤكد أن السفن تعبر من هنا أيضا ..

ثم اتجهت الى باب الكوخ لكنها توقفت فجأة وهتفت :

- وما هي سفينة هناك .  
- أين ؟؟  
- هناك ..  
- ... .. ؟ !  
- هناك .. عند حافة الأفق .  
نظرت ودققت النظر ، لم أر شيئا . قالت :  
- ها هي .. عند نهاية الأفق .. والآن تهبط .. هبطت  
تحت مستوى الأفق ..  
- ... .. !!  
- ألم ترها ؟؟  
هززت رأسي نفيا ..  
- رأيتها أنا .. وكانت بلا شك سفينة .  
ودون أن تحنى ظهرها أو رأسها ، دخلت الكوخ من بابه  
المرتفع .  
صباح اليوم التالي فتحت عيني لأجدها واقفة قرب  
سريري تقول :  
- لقد مر قطار بالأمس ، هل سمعته ؟؟  
لم أسمع شيئا ، كنت قد نمت نوما عميقا ، قام صوت  
الموج الرتيب بعمل المنوم الفعال .  
- أردت أن أعرف مواعده وبحثت عن ساعتك ولم أجدها .

أخرجتها من تحت الوسادة حيث سبق أن وضعتها  
لكنها كانت قد انصرفت عني .

وفي الليلة التالية أيقظتني في لهفة . نهضت فزعا وسمعتها  
تقول :

— انصت .

لم أسمع شيئاً عدا البحر .. لكنها قالت :

— مر القطار توا .. وهو الآن يبتعد ..

خيل لي — لدهشتي — اني أسمع ضجيجا لقطار مسرع .  
خرجت الى الشريط ونظرت في اتجاهيه ولم أر أو أسمع شيئاً .  
قلت لنفسى : « لا شيء مر ولا شيء يمر » .

ثم نمت حتى الصباح فحلمت بالمدينة وبيوتها العالية  
وطرقاتها المليئة بالأقواس الخفيفة .

في نهارنا الأول هنا قمت باستكشاف المكان ، وفي النهار  
الثاني انتهيت من ذلك تماما ، فبدأت أشعر بضيق المكان حيث  
لا شيء يتغير والحركة ميتة ، حتى البحر بدت تموجاته رتيبة  
وكانه مل أبديته .

صباح اليوم التالي قالت في ثقة مذهلة :

— هما قطاران . هذا مؤكد . واحد عند منتصف الليل  
والآخر قبل الفجر بكل تحديد ..

رأيتها سعيدة باكتشافها فلم أعلق ، ثم خرجت إراقب  
البحر الكبير ، كانت الأمواج ما زالت تدفع ببعض الأسماك  
الصغيرة الى الصخور الخنجرية ، فرأيت بعضها يذبح ، وشاهدت  
نصل صخرة ينفرز في سمكة صغيرة ، انحسرت الأمواج وعادت

وانحسرت ثانية والسمة باقية مكانها ، كأنها مثبتة بحربة  
مقاتل قديم .

سرت بفكرى الى افواس المدينة .. بناها قزم على مقياس  
فامته القصيرة فجاءت خفيضة جدا .. كل عدة خطوات فوس  
ولاطيء ، وفي جميع الطرقات .. كان على ان انحنى كلما مررت  
اسفل احداها والا اصطدمت رأسى بسقفه المقوس .. وكلما رايت  
انسانا محبوب الظهر قلت لنفسى ههنا مواطن من مدينة  
الافواس الخفيضة .

تأملت صدا القضيبي وتلمسته ، ثم قررت ان انام وقت  
الظهيرة حتى اسهر الليل معها . حدثتها عن عزمى هذا فلم  
تتحمس ولم تعترض .. وهى - منذ اصابة جبهتها بالكدمات -  
تنام نوما خفيفا وتوقظها ادنى حركة .

نمت والسما صحو واستيقظت والسما سوداء الغيوم  
تندلر بليلة هوجاء العاصفة . اغلقت النوافل باحكام ووضعت  
المصاريع خلفها ووراء الباب . ثم جلست استمع الى الأمواج  
التي بدأت تهدر والهواء الذى اخذ يزار ، متنبها لعل القطار  
يهر كما تقول .

عندما مضى الوقت وجاءت الساعة التى حددتها موعدا  
لمروره ارهفت السمع ولم اسمع .. وبعد حوالى الساعة قالت :  
- ربما منعه العاصفة .

أخفيت ابتسامتى ، وسرعان ما نمت .. غير اننى تيقظت  
فزعا على اهتزازة السرير وارتعاشة الكوخ .. وكانت العاصفة  
مخيفة ..

قالت بوجه منتصر :

— انه القطار ..

من فوري نهضت الى النافذة وفتحتها ، فلطمتني الرياح الهوجاء بعنف ودفعتني الى الوراء ، الا انني اخذت اقوامها حتى تمكنت من اغلاق النافذة .. ومنعني هذا المجهود من النظر الى الخارج .. وكان السواد يحيط بالكوخ وكان صوت الريح طاغيا على صوت البحر .

في اليوم التالي نظرت الى الساعة وكانت العاشرة وقليلًا ، جلست امام البحر ولاحظت أن السمكة القليل غير موجودة ، سرت هنا وهناك ، فذقت ببعض الحمص الى البحر ، غمست قدمي في مائه .. وعدت الى مكاني الأول ..

في السماء سكنت السحب من حول القوس المنسرج الألوان ، وقد انشئ فوق البحر .. سبعة اقواس متلاصقة لسبعة ألوان طيغية ، قوس قزح .. وفي ذات يوم — في ماضي الأيام — قررت هي الا تنحني امام اقواس المدينة الخفيفة فامتلا رأسها بالجروح والكدمات ، ظلت تسير مرفوعة الرأس فتصطدم بسقف القوس حتى سقطت فاقدة الوعي ، فحملوها فوق محفة الاسعاف ، وبهذه الطريقة مرت أسفل عدد كبير من الاقواس . ثم قال الطبيب — همس الطبيب — بانها في حاجة الى فترة نقاهة في موقع ناء عن الناس ..

عدت انظر الى الساعة ، وكانت لا تزال العاشرة وقليلًا تمامًا ، وكانت هي جالسة في صمت . تناولت افطاري وشربت بعض الماء ثم تمددت .. وخرجت الى الشاطئ ونظرت الى الساعة ، وكانت العاشرة وقليلًا !!

١٩٨٢

( ١٢ م - الوليف )

اندهشت وعلمت أنها قد توقفت .. لكن متى؟؟ منذ متى؟؟ طبعاً منذ الساعة العاشرة وقليل تماماً .. ولكن هل منذ الساعة العاشرة الصباحية أم الساعة العاشرة مساء أمس؟ ! منذ عدة دقائق أو منذ نصف يوم؟ ! ربما منذ يوم كامل أو عدة أيام . لم أنظر الى ساعتى منذ وقت طويل ، وربما منذ أيام .. ولا أذكر الآن آخر مرة ملأتها فيها .. وهل توقفت نتيجة صدمة أم لأسباب أخرى كعيب فى الآلة نفسها ؟ !

جلست أفكر فوقعت فى مشكلة أخرى .. فقد حاولت تذكر اسم اليوم ففشلت وجلست أحسب كل الأيام بالتدريج : اليوم الأول كان خميساً وفيه حضرنا الى هنا .. والثانى كان جمعة وفيه سمعت هى صوت القطار ولم أسمعها أنا .. والثالث كان السبت وفى ليله سمعت هى صوت قطارين ولم أسمعهما لثقل نومي .. ثم جاء اليوم الرابع فماذا حدث فيه وهو لابد الأحد ؟ ! .. رأينا المركب ، رأت هى المركب ولكنى لم أره .. ولكن هل كان ذلك فى اليوم الثانى أم الرابع أم السابع ؟ لو كان الثامن لكان هو الخميس ..

كان البت فى ذلك الأمر مشكلة عويصة . نظرت ساهيا الى الساعة فكانت العاشرة وقليلًا !! فهل فكرت طويلاً؟؟ دقائق أم ساعات ؟ !

وجلست أحسبها مرة أخرى .. وسألتها فضيقت من عينيها مفكرة ولم تتكلم .. ولما جاء الليل نمت .

فجأة استيقظت على ضجيج عال جداً ، ولما تنبهت الى ما حولى أيقنت - بلا ادنى ريبه - أن هذا الضجيج هو صوت



قطار يعبر .. الآن يتعد .. اللحظة أصبح نائيا .. ولم احاول  
أن أخرج لرؤيته فقد كان الصوت من الوضوح الذى لا يقبل  
أى شك .

مددت يدى وأخرجت الساعة من تحت الوسادة ، كنت  
أود أن أعرف موعد مرور هذا القطار الليلي ، لكن الوقت كان  
مازال العاشرة وقليلًا تمامًا ، فتذكرت مشكلة الوقت والمتاعب  
التي صادفتنا أثناء النهار لنذكر اسم اليوم الذى نعيش فيه ..  
فما هو اسمه وما هو اسم الغد والأيام التالية ؟؟

في هداة الليل كان تفكيرى أكثر صفاء . قلت : ان ذلك  
لا يهم على الإطلاق .. لكننى عدت وقلت انه من الجائز جدا ان  
نحتاج الى معرفة اسم اليوم الذى نعيش فيه ، ولا أحد يضمن  
ما سوف نحتاجه في المستقبل .

لما أخبرتها بأننى سمعت صوت القطار رقت نظراتها  
نحوى وابتسمت في سعادة واقبال ، ثم جلسنا معا وفكرنا ان  
احسن حل هو أن نضع لكل يوم علامة مميزة ، فيوم أمس  
هو اليوم الذى حدثت فيه العاصفة فيصبح يوم العاصفة ،  
واليوم التالى هو اليوم الذى تنهت فيه الى توقف الساعة  
فهو انن يوم الساعة او يوم التنبه .. وهكذا .. ولا بد أن نختار  
للغد أبرز أحداثه ونسميه باسمها .. ونفعل نفس الشيء لبعده  
الغد ولبعده بعد الغد ودواما ...

لكنها فجأة قاطعتنى متسائلة :

— لماذا يمر القطار ان ليلا ؟ ! لماذا لا يمر ايهما في  
النهار ؟ !

كنت أريد أن أسألها نفس السؤال .. وكنت أبغى أن  
أعرف :

— هل من الجائز أن يتوقف أحدهما ولو مرة واحدة  
أمام كوخنا ؟؟

قامت من فوق سريرها واقتربت مني .. ثم جلست على  
حافة سريري ونظرت الى طويلا :

عتاب في عينيها . التصقت بي : قلق في لمسة كفها ،  
شعرت بخنائها عبر لمساتها .

قالت في حنو مشوب بالخوف :

— هل تحن الى تلك المدينة ؟؟

كنت أنظر في عينيها ، ولما أردت أن اتأمل جمال وجهها  
لم تقو عيناي على مفارقة عينيها .. فجذبتهما نحوي مستشعرا  
راحة كبرى . أحسست بها تجلبنني .

همست وأنفنى مدسوس في شعرها وفمى لصق أذننها :

— ليكن يوم العاصفة هو أول الأسبوع ..

شعرت برأسها توميء موافقة .. فوشوشت بفمى في فمها :

— وليكن هو أيضا أول الشهر .. ومنه نبدأ في تكوين  
تقويمنا الخاص .

سبتمبر ١٩٦٩

## هجرة الضحاك

---

### ١ - الأب

سمعت أمي تحكي عن أبي بأنه كان يملك بدنا له قوة فحل وحيوية تيس . حكّت أمي : لذلك جعل من النساء متعته الكبرى .

عاد لها ذات ليلة ليَجدها غاضبة .. قالت له :

— عليك أن تختار : إما أن تكتفى بي أنا زوجتك أو اتركك واعد إلى عشرينى ..

قال :

— هل منعت عنك مالا طلبتيه ؟؟

— لا ..

— هل قصرت في حق جسديك على ؟؟

— اعطينى اكثر مما حلمت به ، لكنك لا تترك الأخريات !!

حكى أمى للجارات أن أبى تجهم قليلا ثم قال :

— عجيب أمرك يا امرأة ، فى جسدى هذا ما يكفىك ويكفى الأخريات فلم أحبس نفسى ؟ !

ثم انه جذبها اليه نحو المصطبة ولم يتركها الا مع صياح  
ديك الفجر .. فلبس ملابسه وخرج الى الحقل . استراحت  
أمى قليلا ثم نهضت نشيطة مرحة وقضت نصف النهار تعد له  
غذاء شهيا .. وانتظرته .. ثم ذهبت اليه فى الحقل بالطعام  
فلم تجده ، ولم يعد بعد ذلك !!

وبعد حوالى الحول رزقت بنا نحن الاثنين فى بطن واحدة ،  
احتارت فى البداية .. فكرت وقالت : « خلقت بشدين ، فلبكن  
لدى لكل منهما .. هذا له الأيسر وذاك له الأيمن » . كانت  
تهدهدنا فى حجرها ، ثم تلقمنى لديها الأيسر وتلقمه هو الآخر .  
ضحكت أمى وقالت لى :

— كان الذى يشبع منكما أولا يرفص الآخر بقدميه  
الصغيرتين !!

فلما تعلمنا المشى البستنا ذات الثياب بنفس اللون ووضعت  
فوق رأسينا طاقيتين توءمين . وقف أمامى فى الحارة محاكيا  
وقفتى فرأنا بعض رجال القرية ، عجبوا وهتفوا :

— كانه واحد فى مواجهة مرآة !!

لذلك خطرت على باله ألعاب عجيبة . كان يجمع الأولاد  
ويوقفهم خارج حقول القصب ، ويسجيني داخلها لتختبئ

بين الأعواد العالية ، بعد فترة يخرج واحد منا فقط ، وكان على  
الأولاد أن يكتشفوا من الذى خرج لهم !!

## ٢ - الوشم

سارت أمى مزدانة بوشم الخطوط الثلاثة فوق ذقنها ،  
مرفوعة الثوب عند الصدر بشديين قويين ، لم تنظر خلفها أبدا  
مطمئنة الى أننا نتبعها حيثما سارت . كنت أقلدها فى كل  
ما تفعل ، اما هو فكان يتركنا عند كل انحناء ويخترق الحقول  
المجاورة مختصرا الطريق ثم يجلس ينتظرنا ، او يدور من حولها  
صاخبا لاهيا . لم تلتفت اليه أبدا ، لكنى رأيت فى وجهها بسمة  
سعيدة ، ورأيت السماء والشمس من فوق رأسها .

فى الحقل ذهب يتسلق الآثارات القريبة ويمتطى أصنام  
الفراعنة ، ثم « تشعبط » فى قطار المصنع حتى اكتشفه  
الحارس فقفز هاربا صائحا بصوت القاطرة المسروع !

توقفت أمى بفتة عن سقى القصب . زمت شفتيها ثم  
أمسكت ثديها الأيمن ، الا انها أوقفتنا أمامها وانتقت أعوادا قوية  
مليئة بالبدور ، قالت :

— هذ تقاو ..

وقالت :

— اذا برقدناها فانها تطرح الأعواد من جديد .

وقالت :

— لكن الأعواد الجديدة تنبت فى غير قوة الأعواد الأصلية ؛

هززت رأسي مبهورا ، أما هو فمضى يتقافز كالجدى بعد  
 رقدة شبع ، ثم جاء من خلفي وأمسك بذيل جلبابي وحثنى على  
 الجرى أمامه ، وحرك يده حركة دائرية كذراع القاطرة البخارية ،  
 جرينا مخترقين المعبد وحقول القصب ، وانضم إلينا في الطريق  
 كل من قابلنا من أولاد وبنات . عبرنا فوق شريط القطار  
 واخترقنا قطيعا للماعز تفرق على الجانبين ، واتجهنا إلى القرية  
 فكبر الطابور وتعالَت الأصوات صاخبة رفيعة ممدودة . كان  
 صوت القاطرة يشبه عويل البنات الأبكاء ، سمعه بغل صغير  
 فترك أمه وركض هائجا مفزوعا .

ولكن أخى لما رأى ضاربة الودع الفجرية خرج من قطار  
 الأولاد وحام حولها في شغف غريب : التزم الأحمر يملأ طرحتها ،  
 عقد الخرز الطويل يتمايل في عنقها ، وهلال الذهب المثبت في  
 أنفها يهتز بشدة كلما ارتفع صوتها منغمة نداءها : « نضرب  
 الودع ونوشوش الذكر » .

اقترب منها أكثر ، لمس في خفة ثوبها الخارجي الرقيق  
 الذى يشف عن الملس الأحمر تحته . ازداد اقترابه . تخلخل  
 الطابور ثم تفكك وانحل ووقفنا جميعا نراقب ما سيفعله  
 صامتين .. تسلل ثانية من خلفها ، أمسك بطرف جلبابها وبسرعة  
 رافعه إلى قدر ما يستطيع ، فبان كاحلاها وساقاها وجزء من  
 فخذيها ، وقبل أن تستدير المرأة له كان قد جرى وكان الملقط  
 من فوق رأسها قد سقط فوق الأرض ، فهرب كل الأولاد ،  
 وهربنا معا واحتمينا بالدار . شهقت بعض النسوة وقبحة أحد  
 الفتيان .

وقفت الفجرية على عتبة الدار شاكية . اهتز هلال الذهب  
 في أنفها بشدة مطالبة بمعاينة مرتكب هذه الفعلة .. كانت أمي

تعرفه بالحدس ، الا انها صمتت ثم لجأت الى حيلتها المعتادة  
وأشارت إلينا :

- ها هما أمامك ، اخرجيه وأنا اضربه لك !
- تفرست الفجرية فينا مختارة :
- عسير والله يا خالة ، الولدان كفلقتى القولة !!
- رق صوت أمى ونعم :
- واحد فقط رفع جلبابك ، اليس كذلك ؟؟
- نعم ..
- فيكون الآخر بريئاً !!
- اضربى الاثنين فتكونى قد عاقبت المذنب فيهما .
- او اعفو عنهما فأكون قد انصفت البريء منهما .
- زامت الفجرية بكلام لم نفهمه ، واستدارت لتمضى ..
- لكن أمى نادتها وهمست لنا بسرعة :
- راقبوها جيداً ، افتحوا عيونكما . الفجر يسرقون  
الكحل من العيون .

انزلت الفجرية مقطعتها فى وسط الدار . أخذت بعض الماء ،  
خلطته بمسحوق الوشم ، تلت عدة دعوات بلهجة لم أفهمها ؛  
ثم تناولت ثدى أمى الأيمن فى كف وملست عليه بكفها الآخر  
متممة بدعوات مدغومة الكلمات ، وبدأت تخزه راسمة فوقه  
وشما بوخزات عديدة ملأته بمسحوقها المركب فلم أميز  
الرسم .. أخيراً أعطت أمى جعراًنا أخضر لتضعه تحت الوسادة

عند النوم . انتظرت انا ان تفعل نفس الشيء بشديى الذى انا رضيعه ، لكنها مضت قائلة لأمى :

– شفاء اكيد باذن الله ، وصفة مجربة .

وفي اليوم التالى ظهر وشم يكاد يأخذ شكل الهلال .. الا ان امى ظلت تمسك هذا الثدي من حين لآخر زامة شفتيها .

لم نفهم لماذا قالت لها : « شفاء اكيد » . وشعرت بالفرة منه بسبب كل هذا الاهتمام بشديه .. وقبل ان تنصرف الفجرية وقفت تتأملنا فى استغراب : نظرت الى أولا ، ولا ادرى لماذا اشحت بنظراتي عنها ، ثم نظرت اليه فظل محمقا اليها دون ارتباك ، فأشارت نحوى :

– هذا من شلحنى يا خالة .

ضحكت امى ونظرت اليه ، صمد قليلا لنظراتها ثم انطلق يجرى ضاحكا ضحكة رفيعة لكنها رنانة وطويلة وسريعة التصاعد .

### ٣ – الزاد

انكشنا معا فوق الكنبه ملتصقين بالحائط مأخوذين بما نرى .. فى البداية شدتنا القوالح المتوهجة وسط الدار ، ولما اختفى لهيها اقلت امى ببعض البخور وبحبات سوداء لها عيون حمراء ، فصاعد دخان البخور الى السقف برائحة مسكية ، واتسعت حلقة العيون الحمراء فوق النار ، فلما بدأت المرأة المسكة بالدلف الكبير تدق فوقه تحولت عيوننا اليها ثم تركزت على كفها يدق الايقاعات المنتظمة . بدأت امى تدور حول الموقد من خلف المرآتين الآخرين ..



جذبنا الرقصة . أسرعت حركات الزار لاهثة وراء الدقات .  
ترنحت النسوة ، وتخلخل دخان البخور عن أشباح مرتعشة  
راقصة ، كثيفة متموجة الأطراف . وثب فجأة وانحسر بينهن  
هاذا رأسه وجسده مقلدا ، فأبعدنه . عاد الى جوارى ولقت  
نظري الى امرأة الدف : أفلت زرار الصدر فبان معظم نديها  
أكثر بياضا من عنقها ووجهها ، تتمايل فيهتان معها . حملق  
الى بياض الصدر .

بعد وقت طويل ارتمت أمي فوق مخدعها مجعدة تماما .  
لمحت حجابا صغيرا فوق نديها الأيمن . سألت نفسي : لماذا  
تهتم أمي بالندى الذى هو رضيعه ؟ ! .. شعرت بالفيرة ، وظللت  
ناظرا الى القوالب الموقدة ، زاد الرماد من فوقها ، خبت عيون  
العفريت ، بدا لون النار يختفى تماما ، ومن حين لآخر تحدث  
فرقة ضئيلة بين الرماد يختلط صوته مع نباح الكلاب فى  
الخارج ونقيق الضفادع ووشيش الهواء يمر بين أعواد القصب  
فى الحقول . قبل أن أنام سمعت آلة القاطرة مسرعة تنوح كبكور  
البنات ، وسمعته يهمس فى أذنى :

— لامرأة الدف ثديان كالملمن !

وبعد قليل عاد يهمس :

— كرماتين كبيرتين !!

وفى طريق الصباح لما رأى البنت أزهار قادمة نحونا تدفع  
اغنامها ارتعشت كلماته :

— نضجت البنت قبل الألوان !!

ثم تركنى واندفع مخترقا طريقه بين الفئامات . عجبت

البنيت ولم تفهم غرضه . دهشت أنا واحترت ، اقترب منها  
في جسارة عجيبة وقرص نديها ! صرخت البنيت ، سبته بأفطع  
الشتائم . ضربت اغنامها بالعصا لتسرع في الابتعاد ، وعندما  
مرت أمامي قالت :

— أنت شاهد على ما فعل ..

كان يلثث ووجه مصفر ، لكنه استرد سكونه بسرعة  
غريبة . نظرت له معاتبا فأعطاني ظهره وسبقني سائرا ، وبعد  
برهة رأيت جسده يهتز ثم سمعت ضحكته ، كانت رنانة تتصاعد  
غطت كل حقل القصب فسكنت العصافير عن زقزقتها ..  
التفت الي :

— هل ستشهد ؟ !

تكلمت البنيت مع أمي في أشياء مختلفة لكنها لم تشكه  
ولم تدعني للشهادة .. كل الذي فعلته أنها أشاحت بوجهها بعيدا  
عنه في غضب .

#### ٤ — العشب

سألتها ان كان شيء يؤلمها فانكرت ، وتغطت بقطعة الصوف  
وعادت تتحسس نديها الأيمن :

— اخرج وابحث لى عن ورقة صبار .

دهشت . تقلص وجهها لما :

— بعد الأصنام وعند حافة الوادى توجد شجرة الصبار .  
اذهب وانتق لى احدى أوراقها . اخرج ولا تسال .

اختصرت الطريق فلم أعبّر الحواري المتوية . سرت بين الحقول .. وبعد قليل رايت أعواد القصب تهتز ، خرجت من بينها « خمرية » امرأة نجار السواقي المشوفة ، جاءت ناظره الى وجهي متسائلة العينين . لم أصدق ، اندهشت : في عينيها الجراة والحياء معا ، عندما ارتبكت أنا ترددت خطواتها ، وعندما ابتسمت هي واقبلت نحوي مطمئنة تتأمل ملامح وجهي . زدت ابتسامتي فواجهتني في ثقة ، لكنني لما تكلمت ودخلت نبرات صوتي الى اذنيها ، جفلت المرأة وشحب وجهها وضاعت جراة عينيها وبقي الارتباك وحده ، ثم استدارت مهرولة .

واصلت سيري في مرارة .. منذ أيام تركني أعمل وحدي في الحقل واختفى ، كان العمل مرهقا لي .. وساعة العصر أقتناء عودتي مكودا قابلني بعض الرجال فاذا بهم يتعجبون :

— امرك عجيب حقا !! كنت منذ قليل ضحاکا مهزارا ، ما بالك الآن عبوسا مكذرا ؟ !

عبرت الشريط الحديدي . اقتربت من المعبد فسمعت بعض الأصوات . اتجهت الى ما بين صنم الفرعون والجدار الغربي . لمحت ظهر امرأة ممشوقة القد ، جرت متوارية وراء الجدار — لم المح وجهها — حاولت أن اتبعها فنبت لي من حيث لا أعلم ووقف في طريقي بابتسامته العجيبة . انحرفت يمينا فانحرف يمينا ، سرت يسارا فسد الطريق أمامي ، كثرت في وجهه فبادلني التكريرة . زمت حائقا فزام كأنه البصدي ، ثم ضحك ضحكته الطويلة الرنانة سريعة التصاعد .

عند حافة الوادي تناثرت عن بعد خيام الفجر . لحقني وقال :

- لا تغضب من امرأة نجار السواقى ، هى قريبتك  
بالدم !

عبست . قال :

- منسوبة إبنتها لدى الحكومة الى اسم النجار ، لكنها  
فى الحقيقة وبالدم انت عمها توعم ايها !!

زاد العبوس .. صرخت :

- ابعد عنى .

سهلت ضحكته وأشار الى خيام الفجر :

- ولى رفيقة أيضا بين هؤلاء . تعرف ذلك .

- داصر ..

فى المرة الأولى ترك الحقل وتبعها وعاد بعد قليل .. وفى  
المرة الثانية لحقها ثم عاد ساخطا وقال :

- تجيد الفجيرة لعبة الدلال !

وفى المرة الثالثة تركنى أعمل وحدى وهرع من خلفها وحوى  
يقول ان « الثالثة ثابتة » .. غاب بعض الوقت ثم عاد منشراح  
الوجه ، وأقبل على العمل فى همة عالية مدندنا ببعض الأنعام .  
ولما عبرت عائدة الى الصحراء سارت ولم ترفع نظراتها عن  
الأرض .. ضحك وقال :

- تعرف ان الأعواد الطويلة ستارة .

شعرت بغيرة شديدة ..

- داصر .

أخرجت مطواتي بفتة . جفل ، تراجع خوفا !! . أحسست  
بارتياح عظيم .. أمسكت ورقة صبار خضراء ممثلة وبترتها .  
دهش وسألني عن السر . تجاهلته .

نزعت أمي الأشواك عن الورقة ، مزقتها قطعا صغيرة  
بالسكين وألقيتها داخل الهون ، دقت فوقها حتى حولتها الى  
معجون أخضر .. ثم أخرجت من فتحة الصدر ثديها الأيمن  
وأخذ تدلكه بالعصارة اللزجة لثلفه بعد ذلك بخرقه قديمه  
وتعيده الى مكانه ! .

قلت :

— خبريني عما يؤلمك ؟ !

قالت :

— كبرت في السن .

رقدت على المصطبة . تأوهت :

— منذ اليوم سامكت بالبيت وعليكما بالحقل ، رعيتيه  
وحدى منذ ذهب والدكما ، رفضت مساعدة الرجال ، خفت  
أن يميل قلبي الى أحدهم .

لمحت عيناهما :

— خفت أن يميل قلبي الى رجل غريب ، ليس من أجل  
أبيكما الشارد ، ولكن من أجلك ومن أجل أخيك .

ثم طلبت مني ألا أخبره بما تفعله بشديه . قالت :

— ربما يغضب .

ومكثت بالدار لا تخرج فترة طويلة ، جالسة او نائمة ، الى ان نهضت ذات صباح خارجة الى شاطئ النيل . انتقت بعناية بعض الأوراق الخضراء النابتة في جسر ، دققت في اختيارها ، وعادت بها الى الدار لتضعها في اناء مع بعض الماء فوق النار ، تساعد البخار في لون مخضر فأخرجت الثدي وضغطت عليه الى أن برزت الحلمة بشدة وعرضتها له .

دخل اخي ، جمد ساكنا . لم تشعر به ، أدمى البخار لون الحلمة البنى الى الأحمر القاني فاخفتف التشققات الكثيرة من حوله . شهق أخى . رفعت رأسها وبسرعة دسث نديها داخل الجلباب .

دام الصمت دهرًا داخل الدار ، والماء فوق النار يغلى ويفور .. وعرف الحقيقة .

— لابد من طبية .

قالت :

— أبدا ..

— كان عليك أن تخبرينا منذ البداية .

خرج . ناحت :

— ناح العصفور على خراب عشه .

ودفنت وجهها في حجرها . اهتز جسدها ثم صرخت في :

— اذهب خلفه وامنعه ..

قلت في صوت حكيم :

- دواء الطيبة خير من اعشاب البرارى وارحم من  
ابر الواشمة .

## ٥ - الطيبة

امسكت الطيبة بالثدى فى كفها : بالحلمة بعض التشققات ،  
تحيطها هالة غامقة اللون كالقمر ليلة اختناقها .. فحصت ثقب  
الحلمة بالعدسة المكبرة ، قربتها فعظم الثقب . املت رأسى  
فرايته واسعا : من هنا كان اللبن ينسال الى بلعومه ليشبع  
ويرتوى ، فهل كان ثديه يدر لبنا اكثر من ثدى ؟ ! وهل كان  
لبنه من نفس النوع ؟ !

كان براد الشاى فوق راكية النار ودائرة الرجال من حولها  
يتسارعون ، افسحوا لنا مجلسا .. نقلو ابصارهم فى حيرة  
ييننا ، عوملنا نفس المعاملة ، اللند للند .. حتى بدأ هو يتكلم  
ويتصاحك وينطلق فى قهقهاته فصعدت الدماء الى وجهه الذى  
اصبح جميلا اخذا .. تيقنوا من شخصيته فتركزت عليه كل  
الانظار ولم تفارقه . على الفور شعرت بوجهى بلا دماء او حرارة ،  
نهضت منسجبا فلم يشعر بى احدهم ..

وهذه عروق ثديه زرقاء خفيفة تختفى أحيانا تحت الوشم  
الأخضر - ولون الثدي أنصع من لون وجهها - وحول ثقب  
الحلمة جيبيات صغيرة زالت عندما أبعدت الطيبة العدسة  
المكبرة ..

من شقها فى جسر النيل خرجت الحية تتلوى ناعمة ،  
مطرودة من مياه الفيضان ، سكرانة من رطوبتها . صوبت سلاحى

وبطاقة واحدة بترت رأسها .. رمقني مبهورا بنظرة اعجاب  
غريبة فمددت السلاح اليه في تحد :

- اتقدر ان تصيب في مثل هذه الدقة ومثل هذه السرعة ؟؟

- اقدر ان احمق الى أية امرأة في القرية وأهمس اليها  
بعده كلمات لتصعد الدماء الى وجهها خجلا ! فهل تقدر أنت  
على ذلك ؟ !

وجمت لحظات . شعرت بالفيظ ، التقطت جسد الحية  
وقربته من وجهه . تراجع بظهره متوعدا باصبعه :

- احذر . لكل حية وليف ، وسيبحث عنها وليفها ..  
مضى بضحكته .. شعرت بالغيرة وربما حسدته .

تركت الطيبة الشدى فلم يتهدل ، ظل متماسكا بارزا الى  
الأمام . قالت :

- تلزمني بعض التحاليل وصورة بالأشعة حتى أقول  
حكى .

صاحت صفارة المصنع . وبعد عدة أيام قالت الطيبة في  
جمود :

- الأمر الآن واضح تمام الوضوح .

ابتسم هو لأمى . داعبته بعينيها . قالت الطيبة بعد حين :

- عليل بمرض خبيث !

أصابني الذعر . همس أخى :

- لا .



قالت الطبيبة :

— بترا يبتز .

قالت أمى :

— لا .

قالت الطبيبة :

— بترا يبتز .

نظرت أمى اليه وقالت :

— محال .

قالت الطبيبة :

— وهذا هو سبيلك الوحيد الى الراحة .

لم تترك عينا أمى وجهه . قال صوتى للطبيبة :

— الا يوجد علاج بالدواء ؟؟

— العلاج الوحيد بالجراحة .

التصقت أمى بأخى وناحت :

— كيف أسمح ببتزه وولدى هذا رضيعه ؟ !

جمعت الطبيبة عذتها . قالت أمى :

— مازلت أحس أنامله الصغيرة فوقه !!

اتجهت الطبيبة الى الباب . همست أمى :

— وأشعر عضائه المحببة فوق الحلمة !

ضاع لون وجهه ، حملق الى الهواء . قالت الطيبية لأمى  
من عند الباب :

— ييس ندياك ، وولدك هذا كبر وشب ولم يعد يرضع .

## ٦ - البتر

قال صوتى لأمى :

— فرحت الدار بعودتك .

وقال صوت أخى مبجوحا :

— المهم الا تتألى بعد ذلك .

طرحتها السوداء تخفى صدرها ، خلعتها فنظر الى صدرها:  
ندى واحد ، هبط الثوب عند مكان نديه حتى صدر الكتف . .  
كانت ونجن صغيران تخرج لنا النقود من هذا المكان لنشتري  
الحلوى . .

في نظراته شيء لم أراه من قبل ، لأول مرة أراه مهزوما  
ترتعش جفونه .

في حنان وشوق ملست أمى فوق فرشة مصطببتها المنقوشة  
ثم تربعت فوقها . . مررت أصيغها فوق خطوط النقوش ، ودون  
أن تنظر إلينا امرتنا :

— والان اذهبا الى حقلكما .

في الطريق قابلنا بعض الرجال ، تفرسوا فينا محتارين ،  
كان هو ساهما مكدودا . قال أجد الرجال :

— أريحونا وتكلما أو اضحكا ، من منكما المهزار ؟ !

فقال لى :

— أمى وحدها تميز بيننا وبمجرد دخول أحدنا عليها  
وهى قابضة فى ركن الدار .

قال :

— دون ان تلتفت ناحية الباب تنادى على اسمى  
أو اسمك ..

ثم قال :

— تميزنا بالخطوات وتعرفنا كما تعرف البقرة الأم أطفالها  
من خصوصية رائحتها .

قلت :

— فلما شبينا أصبحت تعرف كلاً منا بموعد عودته : أنا  
بعد الظهر مجهداً ، وانت ليلاً ودائماً فى خطو متعثر ..

ثم قلت فى سرى : أما أهل القرية فينتظرون حتى تنطلق  
ضحكاته وقفشاته ليلتفوا من حوله ولأجد نفسى خارج الدائرة !!

فى الحقل قال :

— كنت أحب اراحة راسى فوق هذا الثدى .

تشاغلنى بخلع الأعشاب الدخيلة من حول الأعواد . قال :

— كان لينا دافئاً وكنت أسمع منه صوت تنفسها .

— اعمل ولا تفكر فى ذلك .

— حتى دقائق قلبها كنت أسمعها منه رغم أنه الأيمن .

كان صوته مهزوزاً . قلت فى بالى : طوال عمره ضحكك  
مهزار وسوف يتغلب على هذه المحنة .. وعندما قابلنا ابنة

نجار السواقي تلعب أردت أن أسرى عنه ، لفت نظره إليها .  
ومفها في رفق . حملقت فيه البنت وغمزت له !! لم يضحك .  
قلت :

– تذكر أننى بالدم عمها نوءم أبيها .

لم يضحك . جرت البنت مبتعدة ثم عادت إلينا محاكية  
مشيته المتخاذلة وحزنه المرسوم فوق سحنه ، ابتسم فانطلقت  
البنت ضاحكة ضحكة رفيعة لكنها رنانة ، فجأوها بضحكته  
المسهلة سريعة التصاعد . أصدرنا معا ضحكة وصداها .

لكنه عاد إلى الدار ونظر إلى صدر أمي فاغتم وخرج إلى  
الخلاء ، وصاحت صفارة المصنع وتأوه :

– أمي هكذا ليست كاملة !

## ٧ - القطار

حاولت أن أرد إليه ضحكته . قلت لنفسى : أن يعود مهازرا  
مرغوبا غير منه أفضل من أن يظل حزينا مهموما أعطف عليه .

أخذته إلى المركز . تفرجنا على المحلات وعلى نساء البندر  
فلم يتبدل . انتهينا عند فرقة الفجر وجلسنا نشرب الشاي  
ونشاهد الغازية ذات السنة الذهبية وهي تهز جسدها ، الكحل  
غامق وحسنة مرسومة على خدها ، ممثلة البدن لكنها قوية ،  
هزت جسدها برعشة عنيفة كمن رعبه الجن ، صدرها مملىء  
جدا ، تكشف ثيابها عن جزء كبير من ثديها ، كانا يهتزان في  
عنف ، ويترجرجان مع كل حركة . مالت بجسدها كثيرا إلى

الامام فكشفت عن معظم نديها فهل المتفرجون في عصبية ،  
ازدادت ابتسامتها ولم تفارق شفيتها . جميلة رغم كبر سنها .

سار صامتا في طريق العودة . حاولت جره الى الحديث  
ففشلت . كان يرد بهزة من راسه . تمنيت لو رايت وجهه  
جيدا . كان الظلام يحيطنا . فلما اقتربنا من مصنع السكر  
تساقت أضواء نوافذه علينا من خلال الزجاج العالي - وأصوات  
ماكينات - خطوات في ضوء متسلل من نافذة ، وخطوات أكثر  
في الظلام . وجهه جامد . قلت :

— هل تذكر لعبنا فوق قطار المصنع ؟؟

أوما صامتا . قلت :

— وقطار الصبية الذي طفنا به في كل مكان ؟؟

أوما ولم ينطق . بعد قليل قلت :

— وهل تذكر امرأة الطحان ؟؟

في ضوء النافذة لمحت نصف بسة وتنبهت الى ضجيج  
الآلات .. صاحت صفارة المصنع فخرج عمال المواسم بعد  
تفتيشهم الى الفناء . السور من امامهم ثم حقول القصب ، وقطار  
المصنع الخالي . بدعوا يخلصون « أشولة » الخيش اللبوسة  
على الحجم ذات ثلاث الفتحات ، أصبحوا عراة ، مدوا أيديهم الى  
ملابسهم الفقيرة .. ورايناها معا - امرأة الطحان - كانت منزوبة  
فوق عربة القطار الفارغة رافعة جسدها قدر ما تستطيع !!  
متوارية تظن ان أحدا لا يراها . دهشنا ، لماذا تقف المرأة فوق  
العربة ؟ ! تابعنا نظراتها .. كانت تتأمل الرجال العراة !

أوقفنى وقال :

- المرأة تنظر الى أعضاء الرجال !!

كانت مستغرقة لاهية عن كل ما حولها ، فتسلل صاعدا  
العربة في هدوء ، وفاجأها من الخلف . جفلت المرأة وأرادت  
الهرب .. وكما ينقض القط عاقرا القطة من قفائها انقضت يده  
تمسك معصمها . حملت فيه وهى تقاومه متخاذلة :

- ماذا تريد منى ؟ !

دخلت الى صدره لاهثة :

- اتركنى فى حالى .

ضحك وسحبها الى ارض العربة ، فهبطت معه دون  
كلمة ! .. وبعد شهور سار زوجها الطحان فى طرقات القرية  
ينفض ذرات الدقيق عن جلبابه وهو ينظر سعيذا بها فى بطن  
زوجته ، وقال الناس حبلت المرأة بعد أن كادت تياس ، كل شيء  
له أوان .

مرت خطوات الظلام ، وفى ضوء النافذة التالية كان يبتسم ،  
فضحكت أنا بشدة ، وضحك هو أيضا ، لكن رنين ضحكته كان  
مختلفا ! .. قال :

- نسيت يومها أنك كنت معى . صدقنى . كانت منفعلة  
عصبية وجسدها ساخن . ولم تكن نرى من الأرض الا سعف  
النخيل العالى ودخان المصنع ، كلما تقلبنا ، والسماء وأرض  
العربة .

## ٨ - الابن

الليالى التالية خرج وحده ، وعاد عند الفجر ، دائما عند  
الفجر لينام مهدودا ، ليجد أمى سهرانة ، وقلحت حيلته معها  
دائما : ثلاث فبلات فوق وشم الخطوط الثلاثة على ذقنها وبنتهي  
كل شيء ، تبسم له وتسامحه غافرة جميع ذنوبه ، اما أنا  
فلا افعل ذلك أبدا ، أقبلها فى قلبى وبمبنى وأخجل من ابداء  
شعورى بطريقة صريحة .

بعد أن جمعنا محصول القصب وشحناه الى المصنع ، عدنا  
الى الدار وكان وقت الغروب . أطعمتنا أمى ، ونمت أنا من  
اقورى أما هو فقد غسل وجهه وخرج .

فجر اليوم التالى كان وجه أمى شاحبا وعيناها محمرتين ،  
أخذت تخط على فخذها فى رتابة ، ثم همست :

— لم يعد حتى الآن !!

ذهبت الى المركز للسؤال عنه ، بحثت عن خيمة الفجر  
فعلمت أنهم فكوها ورحلوا الى مكان غير معلوم ، على الفور  
تذكرت ليلة أن ذهبنا معا للفرجة على الفازية ذات السنة الذهبية،  
لم تفارق عيناها ثدييها . لم ينظر الى وركيها العاريين او الى  
سرتها المستديرة النظيفة او حتى الى شفتيها المنفرجتين نصف  
انفراجة او حتى الى عينيها ذات الكحل الغزير ، وانما تركزت كل  
نظراته على ثدييها وهما يرتجان خلف الثوب الخفيف الواسع  
الفتحة عند الصدر .

عدت الى أمى مخدولا . زاد شحوب وجهها . ظلت صامتة  
لا تأكل .. وذات يوم شربت بعض الماء وقالت :

ـ الأب الملعون .

قالتها فى صوت ملء بالحب .

وقال رجال القرية : غوته الفازية فهرب معها ، ثم قالوا  
انه يعمل الآن طبالا بعد ان ركب فى فمه سنة ذهبية !!

جاءت ايام شديدة القىظ ، وعاد احد الرجال من القاهرة  
ليقول : انه شاهده يتسكع ضاحكا فى ميدان المحطة قرب نافورة  
تمثال رمسيس !! .. فقال آخر : بل هو يعمل الآن فى فندق  
الشلال بأسوان !!

وبكت زوجة نجار السواقى ، وحامت امراة الطحان ببطنها  
المنفوخ من حول دارنا ثم اخذت تجالس امى مصطببتها ـ كذلك  
فعلت بعض النسوة ـ حتى جاء احد الرجال وقال : انه شاهده  
يرقد عند جامع السيدة زينب وقد تحول الى درويش بدقن  
وملابس مرقعة ، وانه كان يتضحك مع المجاذيب !! ..

الا ان امى لا تصدق شيئا من كل هذا ، قابعة فى العتمة  
تنظر الى الباب المفتوح نهرا الموارب ليلا .. واحيانا كثيرة احار :  
هل تنتظر الأب ام الابن ؟ !

لكنها من حين لآخر تمد يدها الى مكان ثديها المبتور ،  
فأخرج الى ليل القرية المظلم الكثيب وأذناى تفتقدان ضحكته  
الطويلة الرنانة . لم يكتمل البدر منذ ان غاب ، فى ليلة اكتماله  
جاءت بنات الحور وخنقته ، وفى شهر ثال حجبته سحب سوداء  
داكنة لم تنقشع عنه حتى فارقه جزء من استدارته ، وفى شهر  
آخر فال الراديو عن القمر : ان احد الرجال داس فوقه بحدائه ..



بدأت أشعر أن عيون الرجال تغيرت ، تنظر الى في صمت  
واصرار كأنها تقول لي : ذهب المهازر وبقيت أنت !!

وكلما رأيت حقول القصب الخضراء ، وكلما شاهدت  
نخلتنا العالية وسعفها المنثور في السماء كوردة كبيرة .. اتذكر  
وشم الخطوط الثلاثة فوق ذقن أمي ، وقبلاته الثلاث فوقها ،  
ودموعها المنسالة فوق خديها .. فأسأل نفسي : ان يعود  
الضحاك ؟ ! .. وعندئذ أشعر بالذنب لأنني كنت أحسده  
وأغار منه .

نوفمبر ١٩٦٩





خمیس جرائد لم تقرأ



## خمس جرائد لم تقرأ

... وأخيرا سمعت ساكن الشقة رقم ( ٧ ) يقول للبواب  
ان هناك رائحة كريهة تنبعث من شقتى . قال البواب انه ايضا  
شم هذه الرائحة وتعجب لسيبها :

— ربما قطة بالداخل وماتت .

لكنه تذكر اننى لا أرى القطط فى شقتى ، وانه لم يسمع  
صوت مواء . ( شعر بأن ذلك عجيب فتعجب ) . ورأى الساكن  
أن الرائحة كريهة فأمر البواب باخطار البوليس لفتح الشقة .

كسروا الباب فى ضجيج عال ، فاهتز الزجاج ، وتردد  
الصدى فى الشقة لقللة الأثاث .

يوم أن تسلمتها أعجبني فيها الهدوء الشامل ، والحديقة  
المزروعة حول كل بيت . وكنت أريد أن أسكن فى حى السيدة  
مع أهالى بلدتى .. غير انه لم يكن هناك مكان لى .. وعندما

سألت عن لوكاندة في شارع هادىء كانت الأسعار فوق طاقتى .  
ظالت أبحث دون فائدة . ( كان ذلك مرهقا فتعبت ) .

رغم أن الشارع مرصوف ونظيف دائما فان احدا لا يسر  
فيه غير الباعة والبوابين وأنا ، وعدد من السيارات الجميلة ،  
والأولاد لا يلعبون في الشوارع ( أدركت أن ذلك عجيب فتعجبت ) .

نزلت من ترام السيدة . وجدت عيالا تشين يلعبون في  
الشارع . سألتهم عن شقة الأستاذ محمود -- بلدياتي -- فلم  
يعرفوه .. لكن أحدهم سألنى :

— تقصد محمود الصعدي ؟؟

— نعم ..

فعرفوه على الفور ، وأرشدنى عدد منهم الى شقته . فكنت  
أتنى اللحاف وأفرشه فوق الحصيرة وأنام في الصالة . كان  
الزوم مريحا لولا حرارة الجو ، ولولا أن زوجته البدينة بدأت  
تشعر بالصبحر من وجودى ، فكانت تعتمد الذهباب الى دورة  
المياه عدة مرات كل ليلة معدنة قرقعات عالية بالقبّاب ، وأحيانا  
كانت تعتمد أن تدوس على أطراف أصابعى ، فكنت أنام دائما  
ويداى مضمومتان فوق صدرى ، وسمعتها تقول لزوجها اننى  
أنام كالوتى ، لكنه لم يرد عليها . ومرة شبطتنى في راسى بقدمها  
فألمنى ذلك ، وشممت رائحة جسدها أذ مس قميص نومها  
وجهى ( لم تعجبني رائحتها فتقززت ) .

ركنوا الباب المخلوع . اتجهوا في حذر صوب غرفة نومى .  
جمدوا في أماكنهم . اشمأزوا من الرائحة . ارتدوا جميعا

منزعجين .. عدا البواب فقد وقف مكانه في سكون واجما عدة لحظات ، لانه أعور فقد نظر لى بعينه المبصرة ولعت دمة وحيدة فوق خده الأسمر ...

حملت عينه السليمة حائرة ، وقال لى :

— كل ساكن من سكان الممارة يضع في بيته عددا من التماثيل السوداء الصغيرة لزوج عراة • ولكلب رابض في عنقه طوق ! وتمثال لفلاح يعزف الناي !!

وذات مساء لمع العجب في عينه ، وهمس لى :

— نل السكان شحوفون بهذه الأصنام !! والعززة في انف نل زنجى خروزة حقيقية ! وانطوق في عنق التلب من الصلب اللامع ! والناى في فم الفلاح من الغاب الأصلى !!

( كان مندهشا جدا لأنه أحس أن ذلك مدهش جدا ) .. ثم دخل شقتى وتفحص كل ركن فيها وابتسم وقال :

— لكنك لا تفعل مثلهم ..

ولعت دمة وحيدة فوق خده الأسمر ...

صعدت فوق برج القاهرة • وقفت فوقه ساعات طويلة • عقدت مقابلة بين حجمى وحجم المدينة • تأملت العمارات العالية وشاهدت الناس مهرولين آكلين وقوفا • • ولما قالت المدينة لزوجها اننى أنام كالوتى انتقلت الى لوكاندة قى شارع كلوت بك لرخص سيرها ، ومنذ اللحظة الأولى حدث أمر غريب : إذ اتسعت أذنى وكبرت ، وجاء العمال ومدوا شريط الترام داخلها ! فسارت العربات بأجراسها بصير عجالاتها بشتائم سائقها لسائقى عربات الكارو وبخناقات الكمسارى مع الراكبين،

وظلت هذه الترامات تدخل افواجا الى داخل راسى !! تدخل ولا تعود (علقت لافتة خارج اذنى مكتوب عليها : ممنوع الدخول، ولكن ذلك لم ينفع ) . واحيانا كثيرة كانت اسلاك الكهرباء تتماس فتحدث شرارة وفرقة صاعقة داخل راسى !! فنقلت وضع السرير ونمت بحيث كانت اذنى اليمنى جهة الشارع ( ذلك لأنها ثقيلة السمع ) .

بعد جهود شاقة علمت ان أحد معارف أبى يبنى بيتا فى حى مصر الجديدة ، فذهبت اليه ووعدنى بشقة من غرفة وصالة . لم يأخذ منى خلو رجل او مقدم ايجار . قال ان ذلك لأجل خاطر والدى ( رايت ان ذلك عجيبا فتعجبت ) .

مسح البواب الدمة اللامعة من فوق خده الأسمر - قالت البدينة لزوجها ان صاحبك ينام كالوتى - تحير البواب بسبب حدوث ما يرى وقال :

- يوم جاء الى هنا كان يبدو فى صحة جيدة تماما !! ..  
يومها أعجبتنى النساء اعجابا طاغيا .. قال رفاق قريتى :  
« امرأة المدينة سهلة المنال ، والصعيدى له جاذبية شديدة بالنسبة اليها - جاذبية الصعيدى عند القاهرية كجاذبية المصرى عند الأوروبية ... » .. وعلى الفور اخذت اتطلع هنا وهناك فى كل شرفة وفى كل فيلا . وتذكرت صديقى هاشم : ظل يقترض من كل من يعرف حتى اشترى سيارة صغيرة تزوج بواسطتها فتاة جميلة ، وبعد ذلك اراد ان يبيعها لبرد ديونه ، فاضطر أهل الفتاة الى تسديدها منعا للفضيحة ، واخذوا يساعدهونه بالمال شهريا ويعربون عن احتقارهم له ، وقال لى ذات يوم انه يأخذ مالهم ويرفض احتقارهم ( شعرت ان هذا الكلام مضحك فضحكت ) .



بدءوا يفتشون في درج مكتبي وأوراقى . لا يهمنى ذلك .  
ليست عندي أسرار أو رسائل غرامية أخاف من افتضاحها .  
توجد خطابات من البلدة فيها كلام عن القطن والقمح ، والشعير ،  
وفيه سلامات كثيرة من أقاربى وبلدياتى ، وكل واحد منهم  
يرسل لى ألف ألف سلام ... ويصل ويسلم ليد حضرة ولدنا  
المحبوب ، .

رأيت طرف السعفة العلوى يتحرك فجريت الى أمى ، كانت  
أمام الفرن تخبز . صرخت اننى رأيت السعفة . أعطتنى مليهين  
جريت بهما الى عم حسين ، وكان يدور بالبلح فوق حمارته وأفا  
سعفة النخيل عاليا فوق الخرج . لا ينادى على البلح ، ويبيعه  
لنا « بالدورة » أى بالأربع بلحات .

فى الخطاب الرابع أراد الضابط ان يضحك ( ولكنه لم  
يضحك ) . أبى يقص على أخبار القرية ، ويرسل الألف ألف  
سلام من كل قريب وصديق .. ثم يقول ان شجرة المانجو  
التي زرعها أمام الدار ذبلت وماتت ..

دكن الضابط الخطاب . كره الرائحة فنظر الى السرير  
الخشبى كالح اللون ..

قلت فى بالى : لو جاءت هذه المرأة الى سريرى الخشبى  
لكان ذلك أمرا ممتعا حقا . كانت تبدو لى باهرة فى شرفتها ،  
وأكثر فتنة عند ركوبها السيارة مظهرة جزءا كبيرا من فخذيها فى  
حمرة خافتة ونعومة واضحة .. وذات ليلة انقطع التيار الكهربى  
فجاءت الى شقتى ، وأسرتنى رائحتها العطرة . ولما عاد النور  
أعجبتنى ملابسها الأنيقة ، لكن نهديها كانا مترهلين ، وسمنة غريبة

فوق ردفها وتحت المشد المطاط ، ورايت أسفل انفها وتحت  
البودرة شاربها خفيفا ( كان ذلك قبيحا فاستقبحتنه ) . ومأنت  
لتقبلنى - وكنت حزينا على ذبول وموت شجرة المانجو -  
ورايت وجها مطليا بمسحوق برونزى ركض خلفى بسرعة كبيرة  
جدا فجريت عنه فى بطة شديد جدا . أردت أن أصرخ فهد يده  
وانتزع جبال عسوتى ومزقها .. ثم جلببنى اليه وأراد أن  
يقبلنى ..

عندئذ نهرتنى جدتى . حذرتنى بأن حجرة الكرار المظلمة  
بها عفريت له قدم مسلوخة ويبخ النار من فمه فى وجوه الحيال .  
كانت تخاف أن ندخل ونسرق أقراص « الفايش » . وكانت أمتى  
تخبر فطلبت منها مليمين . وشعرت بأن ذلك مضحك فضحكت .  
وكان البواب مدهوشا جدا لأنه أحس أن ذلك مدهش جدا .

تمنيت لو عدت الى صالة محمود بلدياتى . شكوت له من  
سكنى الجديد . سكت ثم قال أن ذلك أفضل من اللوكاندة  
( كان قوله هذا غير غامض ففهمت ) .

فى الخطاب الرابع أراد الضابط أن يضحك ولكنه لم  
يضحك . وفى الخطاب الخامس رفع حاجبيه : أبى ما زال حزينا  
بسبب موت شجرة المانجو ، وقال أن جذورها لم تقبل  
التربة .. وأن الأهل والأصدقاء لا يطلبون من دنياهم شيئا سوى  
رؤيتى على أحسن حال .. والختام ألف ألف سلام .. ووضعت  
الطابع بعرفتى ، وليس بداخله أوراق مالية .

جاء الطبيب - قالت البدينة انه ينام كالموتى - وطلب  
الطبيب من البواب أن يحضر زجاجة كولونيا من أحد السكان ،

ثم أخرج منديله وأغرقه بالكولونيا ولفه حول رأسه بحيث خبا أنفه . اقترب من السرير . أخذ يعبث بملابسى ثم بصدرى وبطنى . شد جفنى عيني الى أسفل ونظر فيهما طويلا ( لكن عيني لم تنظره ) . خرج وغسل يديه جيدا جدا ، ونظر للضابط وقال :

— هذه الحالة ماتت منذ اربعة الى خمسة أيام ..

عندما كسروا باب الشقة وجدوا على الأرض خمس جرائد  
لخمس أيام متتالية لم تمس . فكر الضابط بغريزته البوليسية  
وقال :

— اذن هو مات منذ خمسة أيام !!

وقال أحد السكان :

— خمس جرائد لم يقرأها .. كم هو سعيد !

ضحكوا .. لكن الرائحة جعلت قرفهم يتغلب .

أكمل الطبيب للضابط :

— وعلى الأرجح فان الوفاة طبيعية ، ولكن يلزمنى أخذ  
عينة من امعائه للتأكد .. بكى البواب في حرقه وقال :

— الطيب يذهب !!

ورد الضابط على الطبيب بأن ذلك امر طبيعى .

كرر البواب فى ألم :

— الطيب يذهب !!

ورد أبى قائلا فى حنو :

ـ الطيب الذى يعمل صالحا يذهب الى الجنة حيث انهار  
من العسل ، اما السيىء الذى يعمل طالعا فالى جهنم وبئس  
المصير .

وحيرنى ذلك حيرة فائقة . فلم اكن اريد ان يبتئس مصرى  
واذهب الى جهنم لاننى اكره ان احترق ابدا . . وفى ذات الوقت  
لم اتحمس للجنة لاننى لا احب العسل .

( والآن اعرف جيدا اين انا . . واشعر برغبة عارمة فى رواية  
ما عرفت . . الا اننى أخشى من عاقبة ذلك . فهنا ايضا . . ) .

## الجاحظون

فى هدوء شديد قفزت الى الناحية الأخرى وبدأت اهبط  
بخطوات مصممة ، النيل امامى بemiaهه وامواجه وطميه ،  
والشارع من خلفى بكل ما فيه .

اخذت اهبط المنحدر ، والنيل ياتى الى حتى لامست حافته  
فسمعت صوت المويجات واضحا . تلفت خلفى ، رايت حجارة  
الجسر وضفدعين . نظرت الى أعلى فرايت رعوس الناس  
سائرين . . وكان يقف هناك بعينه شديدة الاتساع شديدة البروز  
يجحظ بهما ويحملق نحوى ، من ورائه مبنى التلفزيون ببرجه  
العالى . جاءت الشمس من خلفه وفى عيني فلم أعد أراه الا كشبح  
أسود يشكل هيكل انسان ، خيال ظل ، ولكننى رغم ذلك -  
وبوضوح شديد - رأيت عينية الجاحظتين نحوى .

سرت خطوتين . ابتلت قدمائى بالماء وشاهدت بعض  
الاعشاب النامية المخضرة ، وسحلية تصطاد بلسانها حشرة

ضئيلة . تقدمت فارتفعت الياء -حتى ركبتى حتى فخلد -حتى  
بداية جلدى ، وكان برج القاهرة الشاهق أمامى ، وفوقه سائح  
يتأملنى خلال المنظار الكبير .

نظرت ثانية خلفى ، كانت هناك اشباح الناس وعيونهم  
جميعا شديدة الاتساع بارزة الى الامام ، شعيرات الدموية  
واضحة الاحمرار .

وصلت الأمواج حتى كتفى ، أحاطت عنقى . ولأن المياه  
كانت مليئة بالقش والقاذورات فقد أحسست باتجاه التيار ،  
استدردت لأشاهده يسير نحوى فالتصق شيء مبلول فى ذقنى  
وغطى فمى ، هززت راسى فارتفع وخنق أنفى ثم أعمى عيني ،  
لذا لجأت الى يدي وجلبته لأجد أنه قطعة من جريدة لم تتمكن  
المياه من محو كتاباتها .

أعطيت ظهري للتيار . كانت الطريق فى أعلى مزدحمة  
بالعديد من خيالات الناس ، ظلال أجساد وعيون جاحظة كثر فيها  
البياض الملىء بالشعيرات الدموية القانية وصغرت الدوائر  
السوداء ، اندهشت ان كان باستطاعة جفونهم ان تغمض فوق  
هذه الكرات المتضخمة ..

أطبقت المياه بمنقى ، تقدمت حتى وصلت الى ذقنى ، فكرت  
ان كان عندى كلام آخر أقوله ولم أجد رغبة فى ذلك ، فتقدمت  
وغرق فمى .

وش الهواء فى أذنى ، لكنى سمعت أصواتا غريبة مختلطة :  
محركات آلية وقبلات ومنبهات صوت وتنهذات زرادبوهات

عالية .. وسمعت انين انسان مدبوح متاخلا مع تكتكات آلة  
حاسبة وتأوهات مطربة عجوز .. سكن الهواء لكنى سمعت ايضا  
مطارحات غرامية وجهاز تسجيل وانفجار ..

اغرت اذنى فعرفت صوت المياه وصوت أبى وهو يتمخط  
فى الصباح وطرقعة شبشب امى وصفارة سيد جارنا رفيعة  
منغمة ، ونيل ينادى على .. وجرس المدرسة .. « نام  
يا حبيبى نام وأنا اذبح لك جوزين حمام » .

- اننى يا سيدى اطلب باحالى الى المعاش ..

ضحك :

- نكتة ظريفة ..

- اننى يا سيدى فى غاية الجدية ..

- ها ها ها ....

- يا سيدى اننى فى غاية الجدية ..

« .. واذبح لك جوزين حمام » فبكيت وكنت رضيعا  
على حجر امى ..

ضفطت المياه متدفقة على طبلتى الأذنين فتموجت فيهما  
بذبذبات عريضة ، وأحسست برطوبة ..

- ولكننى يا سيدى تخطيت المائة عام !!

- وهذه ايضا نكتة ظريفة .

- يا سيدى صدقنى اننى فى غاية الجدية ..

ثم صعدت فوق السور الصغير وقفزت الى الناحية الأخرى  
وبدأت أهبط حتى قاربت المياه عيناى . استدرت ، نظرت الى  
الشاطئ : كانت هناك مجموعة كبيرة من العيون المتضخمة ،  
تناثرت فوق السور أو تحته أو على تدرج الجسر المنحدر ..  
رايت بواحدة منها دمعة غليظة ، انحدرت نحوى ، تدوقتها  
فاكتشفت ان طعمها كطعم الدموع وأنا اعرف جيدا طعم الدموع .

تموج سطح الماء امامى بوجه أختى يحمر وهى تسمع  
صفارة « سيد » الرفيعة الممدودة وكانت تشغل التريكو ..  
ورائتى امد يدي بالطلب الى رئيسى :

— وما هو يا سيدى طلب رسمى لاحتالى الى المعاش  
مستوفيا لجميع الدمقات القانونية ..

فاحمر وجهه غيظا .. ولما رايته اضاجع سميرة الفراش  
وشاهدت مؤخرتى عارية ضحكت من نفسى .. ولعبت الكرة  
الشراب فى الشارع وسجلت كثيرا من الأهداف التى لم تحتسب  
بحجة أن الكرة مرتفعة .. ثم طالعنى العيون المحملقة على  
الشاطئ .. ورأيتنى فى بطن أمى داخل الرحم وكانت به أشياء  
غريبة : أمعاء وخلايا ودماء وافرازات عجيبة الشأن ، وأنسجة  
وشرايين وأوردة .. وعين جاحظة وندوات سياسية وهدير نفاثات  
وحمار ينهق وعقل الكترونى .. ثم رأيت حلمة الثدي اليسرى  
وكنت احب ان أضغط بيدي على هذا الثدي ، وتدوقت طعم  
اللبن وكانت هناك هالة قائمة تحيط به ، ومرة شبعت وعضضت  
الحلمة فابعدتنى أمى بنظرة عاتبة ، وكان اللبن يتدفق دافئا من  
الثقب فيطرى حلقى وبلعومى وبطنى — لكن أمى ماتت عقب  
ولادتى — واذكر ان الملائكة جاءتنى ذات ليلة وأكلت معها  
ارزا باللبن .



فتح رئيسى ملف خدمتى غاضبا وأخرج شهادة ميلادى :

— وهذه تثبت انك لم تبلغ الثلاثين من عمرك بعد !! فكيف تريدنى ان احييك الى الماش ؟ !

تقدمت عدة خطوات مرة واحدة ففرقت عينى وشعرى وغطت المياه كل رأسى . سرت حتى أعماق القاع . كان داخل رثنى كثير من الهواء زفرته فخرج تدريجيا على هيئة فقاعات ترتفع الى أعلى .. ورأيت ففاعات الماء بالصابون فى شرفة البيت ، ولعبت مع سوسن فوق السطح وذات مرة لعبت معها لعبة العروسة والعريس واكلت منها نصف حلواها .

أخذت شيقا طويلا فتدققت المياه داخلى . أخرجت زفيرا قصيرا فخرج باقى الهواء منى ، ثم شهقت حتى أصبح كل جسدى مياه .. على الفور رقدت على ظهري فوق القاع الطينى وكان رطباً وهددتنى أمى فوق حجرها وقالت :

« نام يا حبيبى نام » — الا اننى شعرت بأن العيون الجاحظة نفذت خلال الماء والطمى وأخذت تراقبنى .. وجاءنى بعض السمك الصغير وتطلع الى ، فأمسكت أعصابى بصعوبة وتلدرعت بالصبر ..

وقلت له :

— يا سيدى أنا أدري بنفسى وأقول لك صدقا فكيف لا تصدقنى ؟

— شهادة الميلاد لا تكذب .

— لكننى اتكون من لحم وعظم ودماء وخلايا وشرايين وحديد.  
ورئتين وقلب وأذنين ويدين وأنف وعينين وفم وأملاح .. كيف  
تكتب كل ذلك وتصدق ورقة صغيرة عليها بعض الحبر ؟

مال لوني الى الزرقة وانتفخت وبرزت عيناى . ففرت  
فمى :

— صدقنى يا سيدى ، لست مجنوناً .. لم اكن فى حياتى  
بجائداً مثل اليوم ..

جحظت عيناه وهراً منى .. فكرمت هذا المكان الذى  
انا فيه ، وتركت التيار يجرفنى من مكان الى مكان .. وحدث  
ما بين اليوم الثانى والثالث أن قررت الطفو وتذكرت قانون الطفو  
لأرشميدس .

كان الوقت فجراً وبدأت الشمس تشرق على فى جمال اخاذ  
واعجبني ذلك .. لكن زرقة الجسد زادت واضحت بطنى كبطن  
المرأة الحامل .

مررت على عدد من المدن والقرى .. وحدث أمام احداها  
أن حجزتني بعض النباتات النيلية الا أن خفيرا نظاميا لا لمرقه  
خلصنى وساعدنى على السير مع التيار .

جاء الليل وجاء النهار عدة مرات .. وقلت له :

— يا سيدى انا ادرى بنفسى وعمرى الآن فوق المائة عام .

جحظ واعريت نظراته عن رغبته فى انصرافى ..

واصلت رحلتى .. وذات مرة رأيت عجوز كان يتوضأ  
وينوى الصلاة فى زاوية على النيل ، فنظر الى طويلا ثم تلا على  
عدة آيات من القرآن . دخل بعدها الزاوية ليؤدى صلاة الفجر .

مررت على دمياط ثم رأس البر . وجدت نفسى فجأة فى  
مدخل البحر المتوسط . سررت جدا .. اخيرا ها هو  
البحر الواسع الرحب بمياهه الزرقاء النظيفة الممتدة فى براح .  
الا اننى ظلت اتذبذب مع الأمواج من البحر الى الشاطئ والعكس  
عدة مرات حتى حدث ان انحسرت الأمواج فى جزر كبير فدخلت  
البحر وبدأت امواج بعيدا عن الشاطئ الى ان اختفت الأرض  
نهائيا ..

ذات فجر حامت سمكة كبيرة من حولى ، ايقنت انها تريد  
أن تلتهمنى ، لم أبال لذلك . اقتربت منى فى هدوء ، شميتى ثم  
تركتنى واستدارت وضربتنى بليلها وسارت مبتعدة .

وذات مساء ألقى مركب صيد كبير بشباكاه العريضة  
فصادنى وصاد الكثير من السمك ، ولما رفعونا الى السطح  
أخذوا السمك وركنوه جانبا أما أنا فقد وضعونى فوق حاملة  
قرب الحافة ووقفوا مصطفين فى صمت رصين حيث قرأ القبطان  
صلاة مسيحية فوق جثتى ، وبعدها أمالوا الحاملة فانزلت انا  
الى البحر نائية . هدرت الآلات ودفعتنى الأمواج من خلف المركب  
الى الاتجاه المضاد .

بت ليلة اخرى فى البحر . رأيت فى السماء جسما مضيئا  
شاهق العلو أدركت انه احدى سفن الفضاء - ثم سمعت الاعلانات  
فى التليفزيون عن مسحوق غسيل يقوم بكل العمل لوحده وعجبت:

لماذا لوحده ؟ ! - وعلمت ان البحر في المساء يكون شديد البرودة .

بدأت حوافي تتآكل ، ولم ينقذني من كل ذلك الا سمكة ضخمة فتحت فيها فدفعتني الأمواج داخل أحشائها مما اضطرها الى التهامي - وكان في أصبعي خاتم ذهبي - الا أنها استطعمتني .. ورأيت داخلها جبل رحم أمي .. ثم بدأت أمعاؤها تفرز سوائل واحماضا غريبة فتحللت تماما ، وامتصني جسد السمكة فتغذت بي وزادت كمية لحمها وكمية دهونها ، وتكونت لها انسجة وخلايا جديدة وكثيرة .

ولما صارت السمكة سمكة سمينة ، هذات سرعتها فصادها مركب صيد كبير ، وعاد بها داخل ثلاثيه الهائلة الى الشاطئ وأنا متخلل لحمها ودهنها وعظامها ومسامها .. ثم باعوها الى مصنع السردين .. وهناك فتحوا السمكة ونظفوها من الداخل ، ووجد أحد العمال خاتمي الذهبي فأخذه بعد أن غسله من الشوائب ، وكنت قد فشلت في التظل الى الذهب .

دخلت في جسد السمكة الى الآلات الفاسلة ثم المطهرة ثم آلات القطع ، وقسمونا الى قطع وشرائح صغيرة ، وجاءت الآلات بعلب السردين الفارغة ووضعوا في كل منها جزءا صغيرا منا .. انزلت العلب فوق سير جلدي طويل ، حيث سكبت آلة بعض الزيت والصلصة في كل علبة .. ثم سرنا ثانية الى أن أغلقوا العلب علينا ، ولصقت الفتيات الورق باسم الشركة وبنوع السسبك .

- يا سيدى بالأمس اخذت عينة من بشرة وجهي ووضعتها تحت الميكروسوب ولما نظرت رأيت بها آلاف التجاعيد الفائرة ..

فصديق ظنى واستنتجت أن عمرى تعدى المائة .. والعلم  
يا سيدى لا يكذب ..

فطرذنى من ممتبه - وعلى الفور ففزت من فوق السرير  
وقالت امى : « نام يا حبيبى نام » ولما أكملت « لأذبح لك جوزين  
حمام » بكيت ..

صدرونا انا والسمة بالزيت والصابون فى مئات العاب الى  
اماكن مختلفة والى عدد من المدن المتباعدة .. وذات يوم اشترانى  
رجل بعين جاحظة ، فتح العلبة وسكبنا فى طبق وعصر علينا  
ليعونا ونثر بعض الملح والفلفل ، ولما تذوقنا استطعنا وقال  
لزوجته :

— هذا نوع ممتاز جدا لليد جدا .

ذاقت الزوجة ووافقت وقالت :

— ان صناعة السردين تقدمت جدا .

## الفشاء

« مبروك » ، لم يتمكن من حضور الحفل ، ارسل برقية ،  
« زواج سعيد .. » ، هو الآن في خيمته أو في طلعة استكشافية ،  
« تخوننى وتزوج .. » ، في العراء خلف سلاحه ، « بالرفاء  
والبنين .. » ، أو لعله يتذكر شقاوتنا أيام زمان .. « من  
صديقك صفوت .. العازب الأخير في الشلة » .

أبيض - فستانها - طويل . أصابع قدميها تبدو من تحته  
مطلية الأظافر بلون الورد ، الأصبع الفليضة دائبة الضغط على  
الطويلة . داخل حذاءى يحدث نفس الشيء - قلق لليد ممتع -  
ومن الطبيعى الا نطل جالسين هكذا على حافة السرير ،  
طفنا بعدة محلات حتى وقع اختيارها عليه ، وقالت : « بسيط  
واقصادي » .. فنقر أبى بعصاه وقال : « فاكر يا ولد سرير  
أمك المزخرف بالرسوم الجميلة ؟ » .

امسكت بكفها فى كفى ..

في الصباح جاءت أمها وفرشت هذه الملاءة الزرقاء منقوشة  
حوافها بالورود ، وغطتها بملاءة أصفر منها بيضاء ، ولما سالتها  
عن السبب حملقت في مكر ، وداعبتني بضحكة عالية ، قالت  
بدها :

- ابنتي ليس عندي أعز منها . عاملها برفق . .

ثم طبطبت على الوسادة وفردت غطاءها وقالت :

- ان تملكها الخجل وسيطر ، انتظر عليها الى ليلة اخرى .

- الانتظار صعب . .

- وصعب عليها أيضا !

أطراف الأصابع باردة ، لكن كفها صغيرة وناعمة . . اما عن  
صديقي « احمد » فقد كنا نلعبه باسم « الذئب » لكثرة مغامراته  
مع النساء ، لكنه لما تزوج لم يضاجع زوجته الا في الليلة  
الخامسة ، وقال : « في كل ليلة من اربعة الليالي الاوليات كانت  
تبدو سهلة المنال ، ويخيب املى » ، ثم قال في عجب :

- النساء انواع !

همست لها :

- يدك باردة . .

- ويدك أيضا فيها رعشة خفيفة . .

عاد صمت الكلام . . الا ان « عزت » - صديقي الخام  
قليل الخبرة - نجح في الدقيقة السادسة والخمسين - هكذا  
أقسم - فرفضنا عنه صفة « الخام » . . وقال في زهو :

- الرجال انواع . .

ومنذ دقائق جاءت بنا السيارة المزدانة بالورود ، ودخلنا  
الشقة ، وحرصت على ان اغلق الباب خلفى بالمزلاج .

سمعت أنفاسها ، وعندما تحركت سمعت حفيف ثيابها .  
قمت وخلعت الجاكته والقيتها على المقعد - كانت تراقبني في  
المرآة - قالت :

- توجد شماعة في الدولاب . ضع الجاكته داخله .  
ضحكت وعدت اجلس لصقها . حلت مشبكى الطرحة  
والقيت بها على حافة السرير - ما زالت تراقبني في المرآة .  
لم تتكلم - بدأت افك أزرار ثوبها :  
- كان الحفل مبهجا .

هزت رأسها . فككت الزرار الثانى . بدأت المس ظهرها  
من أسفل العنق . أحسست بسخونة جسدها ، تأملت لونه  
القميى . رأيت طرف القميص الأحمر ومن أسفله مشبك  
السويتان الأسود الرقيق ، فككت الزرار الثالث :

- هل تعرفين عدد الزراير في ظهر ردائك ؟

ضغطت على موضع كل زرار أفكه - دغدغتها الضغوطات  
أفرغت كتفها لأعلى - رأيت في جسدها مسام دقيقة وجذور  
شعيرات لم تنبت ، وعددت فقرتين من بسلسلة ظهرها ..

أجابت :

- خمسة زراير .. ستة .. ربما خمسة ..

أحست يدي بصوتها يخرج . ألصقت أذنى فوق ظهرها  
فلمست نمومته وسمعت أبى يقول ونحن نهبط : « أحسنت



الاختيار ، لكنها نحيفة . كانت أمك تتهادى في مشيتها كالبطة ،  
موتلة وبضة )) - لسعتها برودة أذن ، ارتجفت وهبت واقفة -  
لكنه عند العشاء مال على أذني : (( هل تأكدت من أن شعرها  
طبيعي ؟ )) . . استرجعت رائحة عطرها ونظرت له دهشا ،  
فقال بلهجة خيرة : (( يجب أن تكون حريصا ، الموضة هذه  
الأيام هى تزييف شعر الرأس )) . . أقسمت له أن شعرها طبيعي ،  
كذلك أسنانها ، وعلى اننى تأكدت من أن صدرها غير مزيف . .  
فسقطت الملعقة من يده وحملق مدعورا .

تأملتيا مبتسما . سمعت صوت المياه في المواسر ، وصوت  
محرك ومواء قطه وهدير آلات في الخارج . نظرت الى النافذة  
وتأكدت أن زجاجها مغلق في احكام .

بهرتنى حمرة الخدين وهمسة الشفتين وهى تقدم لى  
البيجامة الجديدة المعطرة :

- اخترتها بنفسى ، أعرف لونك المفضل .

احتضنتها ومددت كفى تحت ثوبها فدفعتنى عنها في خفة ،  
لم أصر : ارتديت البيجامة ، وأضجعت فوق السرير ، وقلت لها :  
- بينما تفرين ملابسك سأبحث في الراديو عن موسيقى  
مناسبة .

أدبرت المؤشر الى موسيقى خفيفة ، ثم أخذت أراقبها :  
خلعت ثوبها ، فكت شعرها فانساب كالحرير ، خجلت وقالت :  
- ابعد عينيك عنى .

أغمضت عيني : فجاء أبى وجلس قبالتى ونقر بعصاه فوق  
الأرض نقرات رتيبة ، وابتمسم في حسرة : (( كان السمن البلدى

رخيصاً واللحوم متوفرة وأربعة الأربعة بقرش صاغ ، فجاءت  
أمك سمينه في غير ترهل ، وكان ثلاثة رجال يتنافسون على الفوز  
بها » .

تحت عيني . قالت :

أبعد عيني عنى ..

سحب الفطاء فوق وجهي وتركت ثغرة لا تسمح  
الآ لرؤيتها ، لاحظت هي ذلك فابتسمت ولم تتكلم .. ( وكانت  
هي التي حسمت موعد قدوم أول وليد . قالت نؤجل الخلفة  
عدة سنوات ، فوافقتها بهدوء شديد ) . هزت رأسها لتطبع  
الشعر الى ظهرها ، وقفت حائرة للحظات ، وضمت اصبعها في  
فمها ، زادت حلاوتها في عيني .. ( وقلت لها : ما احرص حبوب  
منع الحمل .. ولم قتنايني النسمادة لحظتها ولم تستول على  
الكأبة ) . سمعت صوت طائرة يقترب فاهتز زجاج النافذة ،  
وطرقت أذني اصوات غريبة لم أستطع تمييزها ، تمنيت لو كان  
المنزل قد صنع من مادة عازلة للصوت تماما .

انتهت من تغيير ملابسها ، وتشاغلني بضبط وضع المقعد ،  
وبمسح غبارة وهمة عالقة بالمرآة ، سارت متباطئة صوب  
السري ، كدت اهتف : « احلى من القمر » . فصرخ أحد رجال  
الفضاء من سفينته وهو يقترب من القمر : « يا لحماقة  
الشعراء .. أن القمر كوكب مخيف ملي بالصخور  
والبراكين !! » .

سكتت الموسيقى في الراديو - ثم هتف : « أرى أن الأرض  
صغيرة ، كرة صغيرة جدا .. لكنني أريد العودة إليها سريعاً » .

قال المديع :

— سيداتي ...

قلت له : ليس بعد ..

قال المديع :

— اليكم الآن النشرة ....

آخرسته ، وبحث عن موسيقى في مكان آخر — تهادت في  
قميصها الحريري صاعدة فوق السرير — سألتها :

— سعيدة انت ؟؟

— نعم .. وانت ؟؟

— لا بد ان يكون كذلك .

لثمت وجنتها ، مررت بأصبعي في خفة حول شفتيها ،  
هبطت الى اللقن الى الصدر ما بين النهدين — لم تتحرك ، كنت  
متلففا جدا ( قال صاحبي ان الرجال انواع ) ، الا انها ابعدت  
أصابعي ونهرتني في دلال :

— لا تكن عجولا ..

قلدت بأصبعها لازمة أبي وحاكته قائلة :

— حتى لا تزيد من سرعة دوران الأرض ..

يومها التقى أبي بالجريدة في سخط وقال :

— ها هي سرعة دوران الأرض حول نفسها قد زادت بمقدار  
جزء من مائة ألف من الثانية !! ..

ضحكت فنهرني في صرامة :

— ذلك لأن حياتكم فوق سطح الأرض حياة لاهثة !! ..

التقط أنفاسه وهددنى بأصبعه :

— ولكثرة المتفجرات التى اخترعتموها !!

قلت فى براءة شديدة :

— أنا لم اخترع شيئاً ( وقرات بعد ذلك أنها استردت  
سرعتها ثانية ) . فرفع عصاه ثم خفضها ، وسخر فى تقرير  
حاسم :

— أنتم جيل مهزوز يستمد شخصيته من الإذاعة  
والتلفزيون والصحف الموجهة والإعلانات !!

مدت يدها نحوى وهزتنى فى لطف ، كانت تبسم لى . زدت  
من التصاقى بها . سألتها ان كانت سعيدة ؟؟ فقالت اننى  
سألتها هذا السؤال منذ لحظات .

ملت فوقها واحتضنتها فى شدة ، قبلتها فى أذنيها وأسفلهما ،  
فى عنقها فى كل مكان ، فى جبهتها ، وهى مستسلمة ، تغمض  
عينها ثم ترمقنى فى لهفة واستطلاع ثم تبعدهما عنى فى حياء ،  
تتفرس فى السقف أو فى شعرى أو أذنى ، الى أى مكان ما عدا  
أن تلتقى عينها بعينى .

ارتفعت برأسى متأملاً وجهها المليح : رقت ابتسامتها ، غلب  
الاحمرار فى مقدمة أنفها . احتويت نديها الأيسر النابض بقلبها  
فى كفى اليمين ، ضغطت عليه بنعومة فى حركة نصف دائرية  
ذاهبة آتية ، رحت أسعد بقبلة ، وبدأت الحياة من حولنا تتلاشى  
وتغيب فى ضباب وردى ، وتضيق لتصبح ذلك الحيز الضيق

الذى يحوى جسدها وجسدى المتصقين ، والذين آن لهما أن  
يمتزجا فى تركيبة واحدة ، وراى صمت قدسى الا من انفاسها  
وانفاسى وموسيقى حاملة تاه مصدرها .. ثم شيئا فشيئا بدأت  
اتنبه الى صوت رجل يتحدث معى فى الحجرة بجوار السرير ،  
والباب مغلق والنافذة كذلك ، فبدأ الضباب الوردى يتلاشى ،  
واخذت امبز الكلمات التى افتحمت اذنى ، وكانت الموسيقى  
فى الراديو قد كفت - وصوت المذيع يتحدث عن غارة عنيفة  
وهن مئات الأطنان من المتفجرات : « كما يقدر عدد الضحايا  
بالعشرات ما بين قتيل وجريح » ..

رفعت كفى ، مددت يدى لأسكت هذا الأخرق ، سقط على  
الأرض ، بعشرات القتلى ، ارتبكت شفتاى فوق شفتيها - ومقتنى  
بنظرة متسائلة - ما بين قتيل وجريح ..

## مطارحة غرامية

— لماذا تظن أن طولك ينقص ؟ !

فتحت زوجتى الباب . اندفعت داخلا ، لاهثا مجهدا  
مدعورا ، وطلبت منها أن تحضر المقياس المترى بسرعة .

أخذت أقيس طولى ، ثم خلعت حذائى حتى اسجل الطول  
بكل دقة . اندهشت زوجتى .

وفى الصباح لم تخف استنكارها وسالتنى :

— ألا يوجد غيرك يقوم بهذه المهمة ؟

وطمأننتها الى انى سأعود قبل طول الظلام .

عادت دهشة زوجتى تسألنى :

— لماذا تقيس طولك بكل هذه الدقة ؟

فأجبتها :

— لأعرف هل نقص عما كان عليه في الصباح أم لا !

وقسته حتى أقرب ملليمتر ، ثم وجدت نفسى فى مشكلة عويصة : فلم أكن أعرف كم كان طولى فى الصباح ، لم أكن قد سجلته ! .. سألت زوجتى ان كانت تعرفه فأنكرت . فتحت بطاقتى الشخصية وبحثت ان كان طولى السابق مسجلا بها ، فلم أجد !

وعندئذ سألتنى ثانية :

— لماذا تظن ان طولك ينقص ؟ !

لم أجب ، وانغمست بكل طاقتى فى تفكير طويل ، حتى نبهتنى وقالت ان : « الحمام جاهز » . ثم ضحكت ضحكة أعرفها جيدا ، فالليلة ليلة نهاية الأسبوع ، وهى تتوقع أن اطارحها الغرام ، من الصباح وهى تلمح بهذا الانتظار .

نظرت الى وجهها : العينان تتغامزان بسرمة داخل المقلتين ، أعرف معنى ذلك ، الدم منحسر عن كل الوجه متركز قان فى الخدين ، الشعر مهدل من اثر الاستحمام ، لكن فيه فوضى جذابة محببة .

قالت نظرتها وهى تضغط كفها على كفى : « الليلة تطارحنى الغرام » .

رحبت بالحمام ، على ان أغسل قدارة النهار كله تحت مياه الدش اللذيذة . غير انى من أول لحظة خامرنى احساس غريب : « احترس من هذه المياه ! » .. شعرت انها مياه غير عادية ، تفرست فى اللون ، كان رائقا كالاعتاد . تذوقت الطعم ، كان العلب المألوف ، لكن الاحساس الغريب استولى على تماما .

قلت ان ذلك من فعل الشمس ، فبعد أن أنهيت مهمتى قررت التوجه لالقاء نظرة على الجانب الآخر ، فرأيت إحداهم يقف هناك فى هذا الجانب الآخر ، قبيح المنظر لامع العينين . نظر الى من ابتسامة كريمة ، لم أكن أعرف اسمه بالتحديد ، ولا أذكر انى رأيته من قبل ، ومع ذلك شعرت بألاف الخوات فى كل جسدى ، وكانت الشمس قد توسطت السماء تماما ، مرسله أشعتها فى آلاف من الأبر الملتهبة ، وأصبح جسدى غربالا من نقط « حمراء - زرقاء » .

انهالت المياه الباردة بشدة وعنف فى رذاذ قوى ثقیل فوق رأسى ، قلت لعلها تطهر جسدى من قدارة النهار ، لكنها تبدو وكأنها ليست مياه كل يوم ! وهمست لنفسى : « يجب أن أحل هذه المياه ، يجب أن أدخل عينة منها فى قنينة وأذهب بها الى معمل التحليل الكيمياءى ، فالأمر هام وخطير : هل هذه المياه تتكون من الأكسجين والهيدروجين بنسبة واحد الى اثنين كباقى المياه أم لا ؟ !

فتحت الدش عن آخره ، فرأيت شعر زوجتى المهدل من اثر الاستحمام ، وكان فى فوضى جذابة محببة ، وعندما ضغطت بكفها على كفى توابت عيناها قائلة : « الليلة تطارحنى الغرام » .

دعكت وجهى بشدة ، ودعكت صدغى وقفأى بالصابون .. فقد نظر الى من الجانب الآخر بعينين متبلدتين فيهما غرابة ، ثم فتح فمه : اما ليضحك أو ليصفر أو ليتشأب - لم استطع التأكد - ولكننى عندما شعرت برأسى غارق فى شيء ما كريمة الرائحة قلت : « انما فتح فمه ليبصق » . وعجبت من هذه البصقة التى طارت غزيرة ، فشعرت بأشعثاز منه ومن رأسى ، وتمنيت لو قتلته أو غيرت هذا الرأس ، الا أنه عاجلنى ومد



يده فطالت وضربني بها على صدغي ، فقلت : فور عودتي الى الدار لابد ان اغسل رأسي جيدا ، وفكرت ان كان بالمنزل صابون يكفي لذلك ، ثم قررت ان اشترى صابونة من البقال المجاور لمنزلي وذلك من باب الاحتياط .

أردت ان افتح الدش حتى آخره ، فاكشفت انني فعلت ذلك . وكلمما امتدت بدي لتنظيف جزء من جسدي عادت لتدعك رأسي وصدغي ، وقلت : « اكيد ان هذه المياه ليست عادية ! » .

طرقت زوجتي باب الحمام تستعجلني في الخروج ، وكان صوتها رقيقا مرتعشا .. وقبل خروجي في الصباح ، وعندما فتحت لها سداة - عجزت هي عن فتحها - نظرت الي في اعجاب ، وطلبت مني ان اعود من مهمتي بأسرع ما يمكن ، ثم قبلتني ووشوشت في اذني بعدة كلمات ، فانتشيت ، وظللت منتشبا حتى رأيتنه ينظر الى من الجانب الآخر ، وحتى حولتني ابر الشمس الى غربال من نقط « حمراء - زرقاء » .. فتسربت مني النسوة .

ذابت الصابونة ، فناديت على زوجتي وسألتها ان كان لدينا صابونة أخرى ؟ فأنكرت ذلك وقالت انه كان على ان اشترى صابونة أخرى وانا عائد الى المنزل . لكنني لم انس ذلك : فبعد ان اشتريت الصابونة وسرت في الطريق قاصدا منزلي ، وانا مازلت في غاية القرف ، لاحظت ان عربة سوداء كبيرة من عربات نقل الموتى تتبعني !! .. دهشت وسألت نفسي :

« كيف تتبعني عربة سوداء كبيرة لنقل الموتى وانا لم أمت بعد ؟ ! » .

وهممت بأن أسأل أحد المارة ان كنت حيا او ميتا ! ..  
لكن العربية سارعت وحاذتني ، وهبط منها عدد من الرجال في  
ملابس الحداد وفي وجوه شاحبة بيضاء كوجوه الموتى ، وكل  
واحد منهم ممسك في يده بمطرقة كبيرة ضخمة سوداء . أوقفوني  
والتفوا حولى في دائرة سوداء ، ثم انهالوا فوق رأسى طرقا  
و ضربا !!

و كنت متأكدا من صلابة رأسى ، وكنت أعرف انه لن  
يتهمش مهما كانت ضرباتهم قوية . فوقفت ساكنا . نظرت الى  
ميونهم : كانت تبخلق بلا أدنى انفعال ! . فكرت ان أصرخ فيهم  
لكنى لاحظت ان آذانهم مسدودة بالطين ! .. ثم أيقنت للحظة  
عابرة انهم أصنام تتحرك أبديهم بالمطارق الهابطة فوق رأسى  
في عنف وقوة ، وفي اتجاه عمودى !

قلت لنفسى : « لو استمر ذلك طويلا لنقص طولى عدة  
سنتيمترات وزاد عرضى عدة سنتيمترات ، وبذلك ينبعج شكلى  
واترهل ! » .. وصممت على أن أؤكد من ذلك فور عودتى الى  
المنزل .. فاندعشت زوجتى وسألتنى :

— لماذا تظن أن طولك ينقص ؟ !

وكان الأمر جد خطير : فلو انضغطت وقصر طولى عن طول  
زوجتى ، فان ذلك قد يؤدى الى التوتر والنفور فى علاقتنا  
الزوجية — وأنا حريص على دوام هذه العلاقة ، وأعرف انه  
عندما يرتعش صوتها وينحسر الدم من كل وجهها ليركز فى  
الخددين فهذا يعنى أنها تريدنى أن أطارحها الغرام — ولم يكن  
يعجبني أن ينبعج شكلى ، وأصبح كما لو كنت خيالا فى مرآة غير  
مستوية .

وفي المنزل فتشت عن الصابونة في جيبى فلم أجدها !

أغلقت الدش . أمسكت بالملابس لأرتديها .. وصعقت :  
هذه ليست ملابسى ، كان حجمها أكبر من جسدى ، تعصتها  
جيذا ، وكانت تشبه ملابسى الى حد المطابقة !!

نظرت في المرآة .. ذعرت ، ومرخت في زوجتى ان كانت  
قد غيرت المرأة القديمة المستوية بأخرى محدبة ، فأنكرت ذلك !

جست افكر : « اذن لماذا أرى صورتى منعكسة صغيرة  
ضئيلة في حجم عقلة الصابع ؟ ! » .

وتأكدت ان الصورة المنعكسة في المرآة صورة صادقة !! .  
نظرت الى الدش : ليست مياهه عادية اذن ، من المؤكد ذلك :  
لايمكن ان تكون مركبة من الأكسجين والهيدروجين !!

ودقت زوجتى الباب تستعجلنى .. لكننى عدت افكر فى  
هذا المحلول الغريب الذى تساقط فوق راسى فى رذاذ يشبه  
الماء وكنت تحته كقطعة سكر او كتلة ملح !! .. همست زوجتى  
تدعونى الى الخروج .. وتذكرت انها فى الصباح - بعد ان  
قبلتنى - وشوشت فى أذنى بأنها تريد ولدا ، وكانت تظن ان ذلك  
يسعدنى فانتشيت .. لكننى عندما تحولت الى غريبال تسربت  
منى هذه النشوة ، وسألت نفسى : « كيف تسرب هذا المحلول  
المذيب الى ماسورة الدش ؟ ! » .

صممت على عدم الخروج من الحمام الا بعد معرفة  
الجواب .. غير انى خرجت تحت الحاح زوجتى وطرقاتها

المتابعة . وتوقعت أن تدمر وتصرخ وتلم الجيران وهى ترى ان رجلها قد ذاب حتى أصبح عقلة صباع ..

وادهشنى حقا انها لم تدهش !! . سألتها ان كانت تعرفنى .. فضحكت الضحكة التى أعرفها جيدا ومدت يدها تداعب شعر صدرى ، فسألتها :

— الا ترين امامك غربالا فى حجم عقلة الصباع ؟ !

زادت ضحكتها ونظرت الى فى اعجاب كما فعلت فى الصباح !  
ثم مالت على اذنى ووشوشت محددة اسم الولد الذى تريده ..  
لكننى هذه المرة لم انتش .

سحبتنى من يدى فى خفة الى غرفة النوم ، وأجستنى فوق السرير ، وعندما مدت يدها لتخفض من اضاءة الجعرة تحسست رامى وصدفى وكل جسدى .. الا انها صعدت السرير وانتظرت منى أن اطرحها القرام .

## أزمة

– بالأمس شعرت بأننى يجب أن أروح عن نفسى فذهبت  
الى المقهى وجلست على الرصيف وأخذت أراقب السائرين .

– جميل .

– ولفتت نظرى سيدة عجوز تجر خلفها كلبا من نوع  
« الـ وولف » احدى سيقانه مبتورة لكنه رغم ذلك كان يبدو فتبا  
قويا وهو يسير على ثلاث أرجل فقط .  
عجيبة !

– لكننى اكتشفت انه كلما سار عدة خطوات وقف بضعة  
لحظات ليستريح وليلتقط أنفاسه ..

– كنت مخطئا اذن ؟؟

– وبعد ذلك لعبت الطاولة مع صديق لى .

– والنتيجة ؟؟

- تعادل : أربعة ادوار لأربعة ادوار .
- خير من الهزيمة .
- طبعا وأثناء اللعب توقف صديقى وأشار مبهورا الى الرصيف .. نظرت فرايت جسدا رائعا لامرأة هيفاء .
- طول عمرك ذواقة .
- الا إن صديقى قال انما عيناها هما الباهرتان ، فمددت يدي الى جيبى واخرجت منظارى الطبى وثبته على عيني ، ولما قويت الرؤية كانت المرأة قد عبرتنا فرأيتها من الخلف وشاهدت مؤخرتها بدلا من عينيها فأسفت لذلك .
- غيرك كان يسعد بذلك .
- ثم تذكرت زوجتى ، فانت تعرف اننى منذ عدة اعوام ننت قد بلغت الثانية والثلاثين من عمري ، وكان على أن أتزوج ففعلتها .
- أعانك الله يا شيخ ، وأعاننى !
- فى البداية كنت أضاجع زوجتى مرتين كل ليلة ، أما الآن فانها لا تثيرنى كأننى على الاطلاق ، عدا لحظات القىظ الشديد عندما أشم رائحة عرقها فأمتطيها ، أما فى الأحوال العادية فانا اجنبها دائما .
- دائما ؟؟
- غالبا ، وقد لاحظت ان جارى يفعل مع زوجته نفس الشيء ، فاندعشت لأن زوجته جميلة ومثيرة ولطالما اشتيتها .
- ولكن ما علينا ، خبرنى عن الجديد فى الجريدة .

— ككل يوم ، تصريحات ، قلق في الأمم المتحدة ، توتر ،  
تكوين لجان ، تقلبات جوية ، وأخبار عن الأزمة ..

— أبة أزمة فيهم ؟؟

— أزمة المواصلات .

— فكرتني .. فصباح اليوم ، وككل يوم ، لما أيقظتني  
زوجتي شعرت بصداع شديد وبأن الرؤية أمامي غير واضحة ،  
وتمخضت مخاطا غزيرا كان يسد بلعومي .. ثم ارتديت ملابسى  
وذهبت الى محطة الأتوبيس ، وكان الصداغ مازال يزعجنى ،  
ووجدت الكثيرين غيرى عيونهم نصف مغمضة تكالبوا على دركوب  
الأتوبيس ، فنسيت صداغى وكافحت معهم وضدهم ، لكننى  
فشلت ، ولأزمنى هذا الفشل لعدة أتوبيسات .. وأخيرا ..  
عندما وصلت هنا الى الديوان كنت مجهدا ولعلك لاحظت ذلك .

— طبعاً .

— فقد كان صوتى خافتا تماما عندما قلت لك صباح الخير .

— فعلا فعلا .

— وصوتك أيضا كان خافتا عندما رددت بصباح النور .

— صحيح .. صحيح .. وبالأمس رأيت مثلك سيدة عجوز  
تسحب خلفها كلبا .

— « وواف » بثلاثة أرجل ؟

— بل كلب « لولو » مقطوع الذيل ..

## مائة مليون نقطة في الرأس

ذهبت الى مبنى المجمع العالي ، وقفت في الصالة المستديرة في انتظار المصعد . نظرت الى أعلى : كانت الطوابق ترتفع فوقى على شكل دوائر ، بشر مرتفعة لأعلى ، دائرة فوق دائرة فوق دائرة ، أردت أن أعرف عددها بالضبط فلم أقدر ، ربما خمسة عشر أو عشرون طابقا . لكن الذى حيرنى أن هذه الدوائر كانت كلها ارتفعت ضاقت وصغرت حتى كادت أن تصبح عند الطابق الأعلى سميكة !!

ركبت المصعد حتى الطابق الأخير ، خرجت منه لأجد شرفة مستديرة ( ولم تكن نقطة سميكة ! ) . نظرت منها الى أسفل ، وكانت بشر السلم تحتى هذه المرة . وشعرت بالحيرة : كانت الدوائر ( بعكس المرة السابقة ) تصغر كلما انخفضت ، حتى أن الدائرة الأرضية أصبحت نقطة عريضة !! . قلت لنفسى : « هذا غش ، لا بد من التأكد ، ولن ألدغ مرتين » . أخرجت المقياس



من جيبي وقست قطر الدائرة في الطابق العلوى وكان طوله عشرة امتار . وخمنت أن قطر الدائرة عند الأرض لابد أن يكون مترا واحدا على الأكثر ( فيكون مبنى المجمع الحكومى هو أعجوبة الأعاجيب : القاعدة ضيقة والتمة مفرطحة ! .. ويكون مهندس المجمع الحكومى قد صنع ما لم يستطعه سائر مهندسى الهرم الأكبر ! ) .

شعرت بالأسى ، جلست على حافة الشرفة ، كان حولى ناس كثيرون ، نظروا الى ، وساروا كل الى حجرته ، لم يسألنى أحدهم لماذا اجلس على سور شرفة في الطابق العشرين ( او ربما كان الطابق الثامن عشر ) !

صممت على التأكد من طول قطر الدائرة السفلى . ركب المصعد وهبطت . وعند الأرض مددت يادى لأخرج المقياس من جيبي ، لكنى لم أعر عليه ، كيف ذلك ؟ ! .. وتذكرت ان راكبى المصعد احتكوا بى وأنا غارق فى التفكير ، ولابد ان أحدهم سرق مقياسى .

لم اقس البعد المطلوب . حزنت وخرجت الى الميدان يائسا . كان الصيف حارا ( لم يخدعنى مدرس الجغرافيا عندما قال ان مصر مناخها : حار جاف صيفا ، دافئ ممطر شتاء ) . أردت عبور الطريق ، ولكن لفت نظرى امر غريب آخر .

فى وسط الطريق بالضبط ( قد لا يكون بالضبط ) كان فوق الاسفلت روث بهيمة !! يا للعجب !! غير معقول !!  
اندفعت الى رجل المرور ، أخبرته بما رايت فلم يصدقنى، اخذته الى وسط الشارع وقلت له :

— ها هو روث البهيمة ، وهكذا ترى أنني لم أخدمك .  
قال في تعجب ( وكان تعجبه رسميا لأنه كان مازال في ملابس  
العمل ) :

— أين ؟؟

ها هو امامك .

— اننى لا أرى الا الأسفلت ، ولأننى شرطى فانا افهم في  
ذلك خير منك .

سالته ان كان ( مع عدم المؤاخدة ) ضعيف النظر . فقال  
في هدوء :

— نظرى سليم ، واستطيع ان اقرأ رقم السيارة التى  
تسير هناك فى نهاية الميدان واحرق لها مخالفة .

وليؤكد لى قوله كتب رقما فى دفتر المخالفات ( ولم اكن  
وقتها فى حالة تسمح لى بالتأكد ان كان الرقم صحيحا أم انه  
وضع رقما عشوائيا ) .

ثم شرح لى أن البهائم ( وقد أسماها : البطيء ) ممنوع  
مرورها من هنا .

أخذنى الى نهاية الشارع ، وكانت هناك لافتة مكتوب  
عليها : « ممنوع مرور البطيء » .

ثم سار حتى الطرف الآخر للشارع فرأيت لافتة مكتوب  
عليها أيضا : « ممنوع مرور البطيء » . وعندئذ نظر الى معابتي :

— من الطرفين ممنوع مرور البهائم ، فمن أين اذن جاء  
الروث فى وسط الطريق ؟ !

ثم سألتني ان كان من الممكن وجود بهيمة بجناح طائر ؟ ! . .  
ففكرت قليلا ، وترددت ، ولم ارد على هذا السؤال . فقال  
ساخرا :

— ام ان ذلك روث عصفورة او حداة ؟ !

وحتى هذا السؤال ترددت في الاجابة عنه ، ولم اقل نعم  
او لا ( على الانسان ان يكون حريصا في هذه الايام ) . عدت الى  
وسط الطريق فرايت روث البهيمة مازال موجودا .

تجمع الناس ، اطالوا النظر الى الأرض ، تلفتوا في كل  
اتجاه ، وفكروا طويلا ، لكنهم بعد برهة هتفوا ( وكانت نظراتهم  
جميعا مركزة على الروث ) :

— حقا انه موجود ، يستطيع الأعمى ان يراه !

وبعد برهة أخرى قالوا ( جميعهم أيضا ) وفي حنق :

— كلا غير موجود ، ولا يوجد الا اسفلت الطريق !

وبعد برهة ثالثة تركتهم وهم يمعنون في تدقيق النظر  
ولا يستطيعون الثبات على رؤية معينة .

جلست في وسط الميدان الكبير ، وقلت : « ان هناك شيئا  
غامضا ، هناك سؤال يحتاج الى جواب » . وكانت الشمس  
ساخنة ملتهبة . وتعبت : « الا من حل او جواب ؟ ! »

نصحت نفسي « انس التفكير ، لا تفكر » . . ثم وبخت  
نفسي : « لا تقف هكذا — أو ربما قلت لا تجلس هكذا — اشغل  
نفسك بشيء ، فكر في أمر آخر » . وفكرت : « فندق عمر الخيام

لصاحبه عمر الخيام ، خطباً ، فندق عمر الخيام ليس صاحبه  
عمر الخيام ؟ » . عذبنى ذلك فكففت عنه وسرت .

عند شريط السكة الحديدية استوقفت رجلاً وسألته :

— من أية جهة سيأتى القطار السريع ومتى ؟

أشار الى الجهة وقال : « بعد ثلاث دقائق » شكرته ،  
وجلس فوق أجد القضيبين ( لم يكن بمقدورى أن أجلس على  
القضيبين معاً ) نظر الى الرجل ولم يسألنى عن سر جلوسى هكذا  
أو عن سر اهتمامى بموعد وصول القطار السريع واتجاهه ،  
ومضى فى طريقه . ( وقد تنبّهت الى أن انقه كبير ) .

نظرت الى جيث سيأتى القطار : القضيبان يلعبان تحت  
أشعة الشمس لمعة سيف . ولفت نظرى أمر غريب : فهما يلتقيان  
على بعد حوالى ثلاثة كيلو مترات ( !! ) .. ضاقت المسافة  
بينهما شيئاً فشيئاً حتى التقيا هناك .

( خدعونى فى المدرسة وأنا صغير ، ففى كتاب المطالعة قرأت  
أن القطار يسير على شريطين متوازيين ، وقال مدرس الحساب  
أن الخطين المتوازيين لا يلتقيان أبداً مهما امتدا ) .. لكنهما  
هنا التقيا على مرمى الشوف !!

حزنت : فما دام الشريطان قد التقيا هناك فى نقطة واحدة ،  
فكيف سيأتى القطار من هذا الاتجاه ؟ ! . نهضت وأنا أشعر  
بخيبة أمل . سرت مهموماً .. وبعد أن ابتعدت سمعت صوت  
القطار يعبر ( لم أتعب نفسى بالنظر وقلت أن ذلك من فعل  
الوهم ) .

عدت ثانية الى الميدان ، ذهبت الى وسط الشارع . رأيت  
ان روث البهيمة مازال موجودا ويكمنية اكبر ، وخيل الى انه  
حديث !!

احسست بالعرق يغمرنى ( قال مدرس الجغرافيا ان  
الشمس تكون اقرب ما يمكن من الأرض في فصل الصيف ) .  
وخطرت لى فكرة رائعة ( ربما تكون غريبة ) . . فقامت واحضرت  
كوبا كبيرا ، اخذت اجمع عرقى فيه ، ولدهشتى امتلا الكوب  
حتى آخره وكان مازال هناك عرق فوق جسدى . قلت لأذق  
طعمه ، اخذت رشفة ، كان مالح الطعم !! وفكرت طويلا حتى  
تذكرت ان ماء البحر ايضا مالح ( وان مدرس الجغرافيا قال ان  
البحار تشغل مساحة قدر اليابسة عدة مرات لا اذكرها  
بالضبط ) . رفعت عيني الى قرص الشمس الملتهب ، أعشت  
عيني فاغمضتها !

ركعت ، ويبدو اننى فعلت ذلك بقصد الصلاة والتضرع  
الى الشمس ان تكون رحيمة بى ، وان تنادى على سحابة . ما من  
اى مكان فى السماء وتختفى خلفها ( ولو من حين لآخر حتى  
يعمل فكرى فى صفاء .

غير انى فتحت عيني ( لأننى سبق أن اغمضتها ) على شيء  
غريب حقا : زوج احذية اسود ضخم كان يسير . اخرجت  
منظارى وتفرست فيه فزاد عجبى ، واذا بهذا الشيء تخرج منه  
ساقان قصيرتان فوقهما انسان فى حجم عقلة الأصبع ، نظر الى  
فى استغراب !

وقال : لماذا أنت فى استغراب هكذا ؟ وأنا واحد اسير  
فى خطوات منتظمة ككل الناس !

سألته :

— ليست ضالة حجمك التى تدهشنى ، ولكن حذاءك ،  
أذلك هو الحذاء ذو سبع الخطوات ؟ !

— وماذا يكون ؟

— انه حذاء الخطوة منه بسبع من خطواتى ، يصل بك  
الى غايتك فى سبع الوقت العادى .

— ذلك فى الأساطير ، ولكن هذا الحذاء لا يناسبنى .

قلت غاضبا :

— قد تكون أنت الذى لا يناسب الحذاء

وضعت المنظار فى جيبى فلم أجد أرى الا الحذاء ، لذلك  
لم أسمع بقية كلامه ، وسار بخطوات منتظمة .

كان الميدان مليئا بالحركة ، والبنات فى ملابس زاهية ،  
وبعض الرجال يتحدثون بأصوات غير مسموعة ! والفموض يلف  
المشكلة ( فكلما بحثت عن أصلها تشعبت منى الأمور وتعقدت ) .  
وعندما نظرت للجالس الى جوارى — ويبدو انه كان يبتسم —  
تنبهت الى أنفه الكبير ، فقلت متذكرا :

— الست أنت الذى قابلته عند شريط السكة الحديدية ؟ !

— جائز .

— لكن انفك الآن أكبر من المرة السابقة !!

— اذن فلا بد أن أنفى يكبر ، ولا بد أن هذا يدهشك .

داريت خوفاً وذعرى . فكرت عدة ساعات وقلت بعد برهه :

— اتركنى الآن . أريد أن أصلى .

ابتسم ابتسامة كبيرة جدا ( كان عرضها يقرب من المتر لأن  
فمه كان في هذا الاتساع ) .. ثم تلفت حوله وقال :

— اين؟؟ لأى اله؟؟

— رع ، اله الشمس .

— كان ذلك منذ آلاف السنين ، الآن لم تعد الشمس الها .

كان صوته خافتا جدا ( ذلك بسبب ضالة رئتيه ) .. ثم  
كشر وقال :

— لم تعد الشمس الها .

— ولكنها تحرقنى بلهبها !!

— لم تعد الها !

— لكنها عالية ، شاهقة ، فوق من فوق القمة !

تركته وسرت ( لا اذكر بالضبط ، فربما يكون هو الذى  
تركنى وسار ) .

وسرعان ما جاء المساء وكان باردا .

قلت أعود الآن الى وسط الطريق للبحث فى سر روث  
البهيمة . لكن الظلام كان شديدا ، والأضواء كانت مطفأة  
جميعها . كان ذلك من سوء طالعى . غير انى فكرت أن أستعين  
بضوء النجوم ، فأخرجت منظارى ونظرت الى السماء باحثا عن  
نجم مضىء ، فوجدت واحدا ، فرحت به ، وكان يلمع ، وقلت  
أبحث على ضوءه ، لولا ان الرجل ذا الأنف الكبير جاءنى فجأة  
( يبدو انه كان يتتبع خطاى ) .. وسألنى :

- الى أى شىء تنظر؟؟
- الى ذلك النجم .
- اى نجم؟؟
- ذلك الذى هناك . لا يوجد فى السماء غيره .
- ولكن ذلك ليس نجما !!
- ولكننى آراه !
- ليس نجما . فى هذا المكان كان هناك نجم ، ولكنه الآن لم يعد هناك .
- وفى برهة واحدة فكرت عدة ساعات ، وبانت الحيرة على وجهى ، فضحك ضحكة قصد أن تكون عالية ، ولكنها كانت خافتة ( بسبب ضالة رئتيه ) .. بالكاد سمعتها . اطرقت السمع وكان يقول :
- لبعد المسافة ، فحتى يصل الضوء اليك يكون النجم نفسه قد قطع آلاف الأميال .
- قلت حزينا ( ولا أذكر أن كنت قد بكيت أم لا ) :
- ما دام ذلك ليس نجما ، إذن فذلك ليس ضوءا ، وعلى أن أبحث عن مصدر جديد .
- اسألنى وأنا أساعدك .
- نظرت اليه ، خيل الى انه سينفجر .
- اسألنى وأنا أساعدك .



أحسست بالخوف . تذكرت أمى . جريت إليها على الفور .  
طلبت منها المصباح حتى أعود فأبحث عن ذلك السر ، ولأنها  
تجنبني أحضرته الى ، ونفضت عنه التراب ، ثم سعلت وتشاءبت  
ونصحتنى بالنوم لأن الجو بارد .

هززت المصباح ، اكتشفت انه فارغ ليس به وقود !

– اين الزيت يا أمى ؟؟

– جف .

– منذ متى ؟؟

– من قديم .

– الا تذكرين بالضبط .

– لا اذكر يا ولدى ، دعنى انم ، لماذا لا تنام ؟؟

سألتها ان كان قد جف منذ مائة يوم او عدة سنوات ..  
او الف عام او مليون !! لكنها كانت قد نامت . تأملتها فشعرت  
بالعطف عليها ( فهى أمى ) .

أخذت المصباح ، لم يكن به زيت ، ولم يكن معى ثقباب ،  
ولم أكن أملك حجرين أشعل منهما شرارة النار والنور ، رغم  
ذلك ذهبت أبحث . كان الظلام دامسا . حركت المصباح  
يميننا ويسارا . لم أكن أرى شيئا ، حلقة شديدة .

تذكرت الرجل الأنف . ولبرهة واحدة فكرت مليون ساعة،  
غير انى أحسست بهم يقتربون منى . لم أكن أراهم ، ولكنى  
كنت متأكدا ( ولا أدري كيف ) .. شعرت بهم يتهامسون .  
تنفسهم المكتوم سمعته . أحسست به يطوق عنقى ويضغط على

العروق بها ، كان رطباً بارداً . دمرت : كيف يخرج التنفس بارداً  
من داخلهم ؟ !

أقشعر بدني . ارتجفت . تهامسوا في خفوت ، وكان  
عددكم كبيراً ، فتجمعت الهمسات وخرجت حفيفاً عالياً ( أغلب  
الظن أنه أصبح صاخبا ، وأنهم كانوا يقولون ) :  
— هذا مجنون آخر !

## حكايات الزوايا

### قصة في اربع حكايات منفصلة

#### الحكاية الأولى : الزاوية الواحدة :

يقف على باب المنزل ، لا تلتقط أذناه أية ذبذبات صوتية .

الصمت مطبق ، والسكون شامل .

يرسل بنظره الى الجانب الآخر ، في محطة الأتوبيس : عدد كبير من الناس ، دائما هذا العدد الكبير ، في أية ساعة من ساعات اليوم ، ينبتون في الصباح ، ويقتلعون مع موعد آخر أتوبيس . وذلك الشاب الطويل ، لا يركب الا العربة التي تركبها تلك الفتاة ذات المعطف الرخيص الأزرق اللون ، لكنها اليوم تبدو مكتئبة ، وظلال من القلق في عينيها .

ينظر الى الطريق امامه الملىء بالحركة . صمت . يمد يده  
يثبت السماعه فى اذنه .. يتحسس جهاز تقوية السمع الصغير  
فى جيبه العلوى . يدير مفتاح الصوت . يبدأ يسمع ضجيج  
الشارع : سيارات تزقق فراملها من حين لآخر ، وتنطلق منبهات  
صوتها كل حين ، باعة سريجة ينادون على بضائعهم بكل ما ملكوا  
من صوت عال ، اولاد يتصايحون خارجين من مدارسهم ،  
راديوهاات تصرخ ..

ترسم على وجهه علامات الخسجر ، وتطل من عينيه نظرات  
الاستنكار :

— اللعنة !

تلفت الى السيارات المتدفقة فى الطريق ، ويخطوات  
مترددة يبدأ فى عبور الطريق ، يلقي نظرة الى الرصيف الآخر ،  
ها هى ثائى ، المتصايبة ، لا تخدع مساحيقك أحدا ولو مراهقا ،  
الفسطان مبتور الذراعين ، واسع الفتحة عند الصدر والظهر ،  
البقعة الحمراء على شفتيك مفرطحة ، داعرة .. داعرة تعمل  
ظهرا !

سيارة صغيرة تكاد تصدمه . يركض خوفاً ، السماعه فى  
اذنه تهتز ، توشك ان تسقط ، يسندها بأصبعه . يصل الى  
محطة الانوبيس لاهثا ، رامقا فى غضب العربات العابرة . ينظر  
الى موطنه قدميه :

— اللعنة !

يتراجع الى الخلف عدة خطوات . يتأمل الناس من حوله . .  
 آثار التعب بادية على عيونهم جميعا ، الولد الصغير يقف ناعسا  
 يفتح عينيه بصعوبة ، الرجل المتجهم زادت شعيراته البيضاء  
 في رأسه ، وهذا الكهل الذي لا يضحك أبدا ، يا لروعة رزاقته !  
 وهؤلاء العابثون الضاحكون ، عيال صفار ، وتلك داعرة تعمل  
 ظهرها وزميلاتها يعملن ليلا :

— اللعنة !

يأتى الأتوبيس مزدحما عن آخره . تحدث حركة بين  
 الوافدين ولا ينقص عددهم ، يلفت نظره ثلاثة رجال متشابهون ،  
 يهبطون بعد معاناة مع زاحمى الباب ، يتجهون الى الدكان خلفه ،  
 وهم يشتمون ويلعنون كل شيء .

تقلص عضلات وجهه ، وتفيظه السيارات المنطلقة فى صخب  
 والناس المسرعون . . يمد يده الى مفتاح الصوت ويخفضه .

من الدكان خلفه تنبعث أصوات غاضبة محمومة ، أربعة  
 أصوات ثائرة انفجرت مرة واحدة . يقترب من باب الدكان ،  
 يرى داخله أربعة رجال ، منهم الثلاثة المتشابهون — وقد هاجوا  
 فى بعضهم البعض .

يرفع رأسه ويقرأ لافتة الدكان : اخوان الصفا .

— اخوان الصفا وبشاجرون ؟ اللعنة .

يأتى الأتوبيس المتجه الى حلوان ، يراه مزدحما . لا يتحرك .  
 الفتاة ذات المعطف الرخيص الأزرق تركب ، ومن خلفها الشاب  
 الطويل كظلالها .

يتحرك الأنبوبيس نافثا دخانه في وجهه ، يشهق في حرقه ،  
يتراجع عدة خطوات ، يجد شابا صغيرا يحوم حول ذات الفستان  
الواسع عند الصدر والظهر ، يهم بأن يلعنها ويلعن بقعتها  
الحمراء على شفتيها ، لكنه يشعر بشيء يسقط على كتفه .  
يلتفت مذعورا ، يرى كرة من المطاط تتقاذف على الأرض ،  
وبسرعة تدب الحياة والنشاط في الولد الناعس فيجرب ناحية  
الكرة ، يمسكها ، ينظر الى صاحبها في الشرفة أعلاه ويعقد معه  
اتفاقا : أن يرميها له ويعيدها اليه ، يرضى صاحب الكرة .

تزداد اصوات اخوان الصفا هيجانا . تفيظه الكرة الهابطة  
والصاعدة بين الولدين . تفيظه الابتسامة المتبادلة بين الشاب  
الصغير وذات الفستان الواسع . تصطك أسنانه :

- يا خالق الناس ، كلما تأملت حال الدنيا هتفت : اما ان  
تقوم ، واما ان يهبط ..

ينظر جهة منزله ، يخفض رأسه ويمضي عابرا الطريق ،  
ناظرا الى موطيء قدميه ، وهو يشوط في طريقه روث بهيمة  
عبرت قبله وتركت أثرها على الأرض ، ويكمل :  
- .. تقوم القيامة أو يهبط الطوفان ...

يصل الى باب منزله . يلتفت خلفا الى الشارع وحركته ،  
وبحركة غاضبة حانقة تمتد يده تجذب السماعة من أذنه ،  
فتنقطع الأصوات عن الوصول الى عقله .

الصمت المطبق ، والسكون الشامل .

يدخل منزله ، ويفلق الباب بالزلاخ .

## الحكاية الثانية - البقعة الحمراء على الشفاه :

الأحمر على الشفاه فاقع ، والثوب واسع الفتحة عند  
الصدر والظهر ، منذا يخطيء مهنتى ؟

تتشاءب ، أجهدتنى ليلة أمس ، يأتى الرزق فى آخر  
لحظة ، النهار كله خالية ، وعند اليأس يأتى الفرج ، ترى ما حال  
السوق اليوم ؟ !

تجول بناظرها فيمن حولها . الرجال مجهدون من العمل .  
ترتاح عندما تشعر بشباب صغير يحوم حولها ، السنارة تغمز .  
منظره لا بأس به ، ما حال جيبه ؟

تدير نظرها الى الرجل ذى السماعة فى أذنه ، يا ساتر ،  
يحمل الدنيا فوق رأسه ! يقترب الشاب الصغير منها ، ترمقه  
بنظرة عابرة لا تخلو من تشجيع . يقف بجوارها غير ناظر اليها .  
تتفحصه ، يبدو ان ماله ليس كثيرا ، أما الآخر ، الرجل  
ذو السماعة - فيبدو أكثر يسرا ، وله ميزة فريدة : عندما يخلع  
سماعته أستطيع ان اسبه والعن أجداده دون أن يسمعنى .

يزداد الشاب اقترابا منها ، على كل حال : خيز من انتظار  
زبائن الليل . ترى كيف سيبدأ الكلام ؟؟

يأتى الاتوبيس ويتحرك ، والشاب لم يبدأ معها حديثه ،  
لابد ان تبدأ هى ، تنفخ غيظا وتقول :  
- مواصلات مقرفة ومزعجة .

عندما يتأكد ان الكلام له يرد عليها ، ويتم التعارف ،  
ويبدأ الاتفاق :

تقول :

— أجرى جنيهان .

— مبلغ كبير !

— جنيهان ، والدفع مقدما .

— اتفقنا .

— هل المنزل بعيد ؟؟

— خمس محطات بالاتوبيس .

— لا أركب الأتوبيس .

— نستقل سيارة تاكسى .

— هل تدخن ؟؟

— لا ..

— اشترى لى علبة سجائر اذن .

يتجه الى البقالة خلفه — بقالة اخوان الصفا — ليشتري  
علبة السجائر .

تقف فى توتر ، يبدو انه موظف مفلس ، ساطألبه بالأجر  
قبل أن أخطو الى منزله ، مثله من الموظفين لا أمان لهم . تبدأ  
ترقب سيارة أجرة لتوقفها فتقترب من حافة الرصيف .

تفاجأ بوقوف سيارة ملاكى بجوارها ، سيارة متوسطة  
الحجم . ينظر لها صاحبها ، فتبتسم له ابتسامة عريضة ،



يفتح لها الباب فتتركب ، وتتحرك السيارة ، في عودة الشاب الصغير بعربة السجائر في يده .

يظل يرمى السيارة وهي تبتعد حتى تختفى تماما وهو مصعوق ، يتلفت حوله باحثا عن امرأة غيرها ، لا يجد .. ينظر لعربة السجائر ويتحسر على ثمنها ، ويتحسر على الوقت الممتع الذي ود لو قضاه مع المرأة ذات البقعة الحمراء على الشفاه .

يهز كتفيه بلا مبالاة ، ويقول لنفسه ، على كل حال النوم ساعة القيلولة يفيد الجسم ، وراتبي صغير لا يكاد يكفيني ، أعمل كالحمار وأجازي بأجر حمار .

يأتي الأتوبيس ، ويحشر نفسه بين راكبيه ...

### الحكاية الثالثة - اخوان الصفا :

يا فطة الدكان مكتوب عليها : « بقالة اخوان الصفا » .

ومن داخل الدكان انبعثت أصوات غاضبة محمومة ، أربعة أصوات ثائرة ، انفجرت مرة واحدة في بعضها البعض ، اخوان الصفا ويتشاجرون !!

هب الأخ الأصغر في الأكبر يتهمه بأنه يعامله كطفل ، وزعق الثاني في الثالث مطالباً بزيادة نصيبه في الربح ، فصاح الأخ الثالث يشكو وينوح بأن المحل قائم على جهده ، يعمل فيه طول اليوم ، ويأخذ ربعا مساويا لأي واحد منهم .

يحتد النقاش .

يفقد الأخ الثالث أعصابه ، ويكاد يتهم على أخيه الأكبر ، لولا أن الأصغر يمنعه ، ويندفع الثاني جهة الأصغر بقصد لطشه

صفعتين ، لكن الأكبر يمسك به ، ثم يقبض على سيخ باب الدكان  
الحديدى ، ويلوح به صارخا :

— كل واحد يلزم حدود أدبه ، كل واحد يقف مكانه !

تقف الأرجل الثمانية مكانها ، وتكف الحركات المتهورة عن  
الصدور . لكن الألسنة تظل منطلقة ، فيشتم الأخ الثانى كلا من  
الثالث والرابع ، ويسبب الأخ الثالث الأخ الثانى ، ويقذف الأكبر  
بأقذع الكلام الى أخويه الثانى والثالث ، ويلعن الأصغر أخوته  
الثلاثة جميعهم .

تزداد الأصوات فورانا ، وتعلو مطالبة بفك الشركة ، وكل  
حى يذهب لحاله .

لا يسكتون الا على دخول فتاة صغيرة ، تحمل فى يدها  
اليمنى « حلة » معقودة حولها فوطة بيضاء ، وتحت ابطها عدد من  
الأرغفة الملفوفة فى فوطة أخرى .

تنقل البنت بصرها بينهم وتحتار ، تنظر الى وجوههم  
المحمرة ، ثم تسأل والدهشة تملكها ان كانوا يريدون شيئا ،  
ازاء نظراتها يلقي الأخ الأكبر بسيخ الحديد من يده فى شئ من  
الخجل .

تنصرف الفتاة . يفك الفوطة من حول الحلة ، يرفع غطاءها  
فتنفرج أسارير وجهه ، ويقول :

— ملوخية !!

تبدا الأرجل الست تتحرك .

يتجه الأصفر ويفك رباط الفوطة الثانية من حول الأربعة ،  
وبلقة يتدوق طعم الملوخية ، فتتفرج تقاسيم وجهه .

في أقل من دقيقة تتكون دائرة من الاخوة الأربعة مركزها  
حطة الملوخية ، وتمتد أيديهم اليها ، ثم تنتقل الى أفواههم ، يد  
أو يدان ، أو الأربعة مرة واحدة ، تمتد الى الحطة في نفس اللحظة  
لتنهل من نفس الوعاء .

الأخ الثالث هو أول من يشيع ، يقوم حامدا الله على  
نفسه .

يتبعه الثاني ، فينظر اليه الثالث قائلا :

— لم لا تأكل الا نصف برغيف !!

— شبع ،

يأتي شاب صغير ليشتري غلبة سيجار ، يبيها له الثالث  
ويدعوه الى الغداء معهم ، يشكره الشاب وينصرف بطبته .

ينهض الأصفر هاتفا :

— طعم الملوخية ولا طعم السكر !!

يقول الأكبر له :

— بالهناء والشفاء .

ويأخذ كل واحد منهم ينظر الى الآخر في خجل .

## الحكاية الرابعة - قبل آخر محطة :

في حوان ، عندما يقترب الأتوبيس من محطته قبل الأخيرة ، كان الشاب الطويل يرمق الفتاة ذات المعطف الأزرق الرخيص قائلا لنفسه - تبدو اليوم قلقة وظلال الغضب تلوح في نظراتها .

يقترب منها . تشيح بوجهها بعيدا . يهمس في أذنها . لا ترد عليه . يقف الأتوبيس ، ويكون الشاب قد اتجه الى الباب وهم بالنزول ، ينظر إليها ، إفتتبعه وهي تضيم طرفي معطفها الأزرق الرخيص ، وتكشيرة تلح على ان تكسو وجهها .

الشارع طويل ونظيف وخال ، الا من بعض العمال او العاملات سائرين في عجلة نحو مصانعهم المنتشرة في اتجاه حوان ، او بعض التلاميذ الى مدارسهم في فترات المسائية .

يسير الشاب بجوار الفتاة . ينظر إليها والى تكشيرتها ، يقول في مطف :

- حتى تكشيرتك جميلة .

لا ترد ..

- من أجلك رفضت نوبة المساء ، لأن عمك في الفترة المسائية ، حتى القاك كل يوم .

لا ترد ..

- جميلة في بسمتك وفي غضبتك .

تمنحه نظرة لا تخلو من احتياج .. وتقول :

- من أجل هذا انزلتنى من الأتوبيس ؟؟  
— أردت أن أشرح لك موقفى .  
— تريد أن تلعب بى . أنت تماطل .  
يقف غاضبا ، فتسرع من خطاها ، لكنه يتمالك نفسه ويلحق بها :  
— يا لك من مدرسة عنيدة !! الا تنبأيننى عن السبب ؟ !  
لا ترد . .  
يسالها غاضبا :  
— الا تريدین معرفة السبب ؟؟  
تقف وتواجهه فى عناد :  
— تكلم . قل . اننى أصفى لك .  
— بسبب انتخابات المصنع التى تأتى خلال أيام ، وسادخلها وما كنت أنوى ذلك .  
— اذن تزوج من مصنعك ، وانركنى فى حالى ، ستجعلنى أتأخر عن موعد مدرستى .  
— اسمعینى جيدا ، الانتخابات تتطلب منى كل جهدى ووقتى ، ولولا أن حسين مسعود دخلها ما كنت رشحت نفسى !!  
ترمقه فى عناد ، فيشرح الموقف :  
— حسين مسعود انسان وصولى ، مخادع ، وقد اختارنى زملائى كى أناافسه فى المعركة ، بقصد هزيمته .

— ولا وقت لى انا ؟ !

— كنت اظنك ستفهميننى !!

يسيران فى بطء ، وفى توتر ، يسود الصمت . تنظر اليه .  
يمشى شامخا براسه ناظرا الى المدى البعيد ، لكنه متالم .

تسأله بصوت خفيض :

— ولماذا انت بالذات ؟ ! وهل أنت المسئول عن اصلاح  
المعوج فى الكون ؟ !

يقف مصدوما ، يتجه يسارا حيث مصنعته ، قائلا فى  
استياء :

— لكن امى قالت لى نفس الكلام !!

## ثقوب في الأوراق الخضراء

ناحت الأصوات :

— كانت لنا طيور جميلة ، في لون الضوء الوردى ، تعيش  
معنا ، تضيء الحياة أمامنا تنشد ، تلافينا ...

هتف صوت :

— طائري غرد لي : في ضيعة الكرم سأعمل ، مهر جببتي  
ابتسام سادخر واتزوجها وأنجب منها ثلاثة من البنين ونعيش في  
سعادة مائة من السنين ، لكن طائري في البحر هوى ثم غرق ومن  
يومها سكت ولم ينطق ...

هتفت الأصوات :

— كانت طيورنا الوردية ترقزق ، تتواهب من حلم الي حلم  
لكنها اختفت ولم تعد ترقزق .

ارتعش صوت أجش :

— طائرى انا ، يا لوعتى عليه ! علب الشدو ، اذ رآنى  
مثقلا رفر ف جناحيه ونفش ريشه وانشدنى عن ولدى وعن ابنتى،  
الولد يدبر تجارتى والبنت تتزوج وتنجب الأحفاد فينعم بالى ،  
واجلس مستريحا آمر وانهى ويقبلون يدى ، لكن طائرى طار  
مرعوبا ، وإصابته الرصاصة فسقط فى الهم ، واختلطت الألوان :  
زرقا البحر ، لون الغروب ، لون طائرى الوردى ، مع لون دمه ،  
وتكاثفت الظلمة فساد اللون الأسود .

### علت الأصوات :

— رباه يا رباه ، طيورنا الحبيبة طارت تلتقط الحب فوجدت  
مكانه الرصاص ، رباه .. طارت ترتوى ماء فوجدت مكانه دما  
ساخنا ، رباه .. فماتت أو اختفت ، لا ندرى لا ندرى .

### لوحت أختى بريشة صغيرة :

— عصفورى صغيرى ، وشوش فى أذنى : تدرسين وتنفوقين .  
أشهر طييبة ستصيرين ، أكبر مستوصف فى المدينة ستفتحين ،  
طائرى الحبيب انقضت عليه من الغربان مائة ، ذبحوه نهشوه ،  
وسقطت فوق رأسى هذه الريشة .. لطيرى الحبيب .

### تعلبت كل الأصوات :

— طائرها مات ، طائرنا مات .

تفرست فيهم . لم أصدق ، دخلت دائرتهم :

— طائرها مات ، طائرنا مات .

تحسست السننهم ، تلمست أذرعتهم . احترت .. كان  
صوتهم صاخبا بطريقة غير عادية ، مترججا فى الهواء بطريقة غير  
مألوفة !!



— طائرهما مات ، طائرنات .

ادركت السبب ، فقد طالت السننتهم ، وتطول !! وقصرت ايديهم ، وتقصر ! ذمرت . انصرفت .

تركتهن خفى وسرت اضرب الأرض بقدمي ، التراب اسمر يميل الى الصفرة .. وذات مرة قص على ابي السبب في ذلك ، قال ان الاجداد جاءوا بكميات كبيرة من الذهب ، طحنوه حتى اصبح مسحوقا ، ثم بذروه في كل الوطن ، ومن يومها فان ارض فلسطين تنبت خير زرع ، واصبح لونها يميل الى الاصفرار . كنت طفلا فدهشت وسألته ان كان الذهب رخيصا الى هذا الحد عند الاجداد ، لكنه لم يرد على ، بل احتضن زجاجته في حرص وانطلق يقنى ولم يعد معي .

خففت من وقع الخطو ، شيعرت بخنين جارف لزيارة قبر ابي . وقفت حزينا . نظرت صوب الشمال : قبر ابي هناك . عندهم .. ناجيته في رقدته لم سكت : هل دفنوه وصنعوا له قبرا او شاهدا ؟ !

امتلاأت عيني بالدموع ، وعلى الفور صارت رعود وبروق ، واذا سلم منصوب على الأرض ورأسه يمس السماء ، واذا بشيخ يقف فوقه ويده تعبت بلحيته الرمادية يسألني :

— هل تعرف ان العضو يقوى بالمراس ؟؟

اغمضت جفني بشدة حتى اطرده الدموع من عيني ، وتذكرت اننى رايت هذا الشيخ من قبل . في عينيه حدة وحكمة .

فكرت في سؤاله طويلا . ابتسم فرايت الطيبة في تجاهيده . اشار الى ناحيتهم وقال :

— اريدك ان تصير صيادا . الآن خذ عدتك وسلاحك واخرج الى هناك وتصيد لى صيدا .

\*\*\*

سرت صوب الشمال . اشجار ذابلة . يمامات قتلى . زهور مدهوسة ، ثم رايت حاجز الأسلاك الشائكة فانفرزت في عيني الأشواك ، ورايت غربانا سوداء تقف بينها وداخلها وفوقها ، نظرت لى ونعقت .

تشاءمت ، ولما رفعت بصرى الى المدى البعيد رايت البيوت والخضرة ، رايت الربوة العالية ، وشمنت رائحة البحر . . غامت الأشياء من حولى وعدت طفلا واقفا فوق ربوة عالية تطل على البحر مباشرة ، لكننى لم أتمكن من رؤية الماء سمعت هديره ، ورايت رعوسا كثيرة تندفع وتتراجع الى قوارب الصيد الصغيرة . غرقت بعض القوارب ، سبج من يعرف ، توالت الصرخات فصرخت أنا ايضا ، ولما انسابت دعوى ساخنة وانحدرت الى البحر فارت الأمواج وعلت نافورة ماء ، واذا بالشيخ يشد لحيته .

نعقت الغربان من فوق ومن بين الأشواك فرايت الأسلاك تانية . حملقت فيها طويلا ، ثم عدت اشم رائحة البحر . . ولما حملقت من فوق الربوة رايت الشيخ ، كانت في عينيه حدة وحكمة ، جنب لحيته واهال المياه في وجوه الهارين وزعق ان عودوا الى دياركم ، فصرخ القوم :

— لن نعود . انهم قادمون ، الغربان ، كالقوت !  
— عودوا لدياركم وكونوا صيادين ، فلسطين وطنكم !  
— لن نعود . في دير ياسين ذبحوا الرجال وبقروا بقرى  
الحوامل ، ووادوا الصيال وادوا العيال !!

ارتجفت ، كان عمرى ثمانى سنوات ، جريت صوب البحر .  
سمعت صوت أبى يفتى . تسمرت مكاني . ساعة الغروب هي  
ساعة سكره تحت كرمه العنب .

نعمت الغربان بصوت قبيح . هزرت رأسى . افقت الى  
نفسى : وكان يبيض الغربان قد فقس وراء السور الشائك فخرجت  
غربان اخرى صغيرة ونعمت الغربان الكبيرة . تأملت وقلت :

— ما كان اطيها رائحة ارض الوطن . ما كان اجمل اصوات  
الأجراس والآذان وغناء أبى .

كنت اعرف ان ساعة الغروب هي ساعة سكر أبى المفضلة ،  
فجريت صوبه ، وكان يفتى محتضنا زجاجة الخمر ، وعندما  
جاءوا اختبأ خلف شجرة الكروم ، وصوب فوهتها لأحيتهم  
وهدهم بها ، جمدوا في أماكنهم ثم تراجعوا .

كنت انظر اليهم فأدمت عيني أشواك السور . هتفت :

— أيتها الغربان القميئة ، انتظري حتى يجيئك من يحطم  
هذه الأسوار ، ان العالم لن يسكت على هذا أبدا .  
شعرت بشيء غريب يحدث في فمى . تحسرت :

لو مازلت هناك لكنت جالسا أمام باب الدار مع الأصحاب،  
تبادل النكات ، ونمسك سيرة البنات ، وأسفاه !!

تنبهت الى لسانى ، كان قد طال الى الضعف وترهل .  
ذعرت .. وكأن يدى أيضا قد قصرت الى النصف ثم اضمحلت !!  
ارتجفت : حتى أنا ؟؟

\*\*\*

ـ طائرها مات ، طائرنا مات .

جلب لحيته الرمادية وقال :

ـ العضو يقوى بالراس . أريدك ان تصير صيادا حتى  
يعود لكم الذى لكم .

وبحث عنه فى كل مكان لشرح لى معنى : « التناسب  
العكسى » . وعندما عدت الى القوم وجدتهم يجررون السنتهم  
المتورمة ، ووجدت الهواء يعبث بأكمام جلابيهم ويطوحها ،  
وقفوا محنبي الرؤوس :

ـ جئنا من نسل الأنبياء ، يا رب انت على الظالم . طردنا  
من أرض الآباء ، يا رب اسحقهم . تعبنا من خيامنا السوداء  
تعبنا ..

تشنجت الألسنة فتشابكت ، وعلى حين فجأة ملأت  
الغربان السماء . نعتت ثم انقضت . ذعرنا . عجزنا عن الهرب .  
أعاقتنا السنتنا المتشابكة نهشت الغربان ، نعتت مطمئنة .

نحن بلا أيد . فقات مئات العيون . نعقت . ثقت مئات  
الأذان . نعقت نعقت ...

تمزقت الستتنا ففرقنا . وجدت اختي مفعوءة العينين  
مكومة على الأرض . فشقت :  
— انظر زانية يفعل بأختي !!

\* \* \*

الشمس القوية الملهبة . الرمال . الحرارة . الجوع .  
الضوء القوي . انكأت على جاري مرهقا . في الصباح قلنا  
يا ليتة مساء ، وفي المساء قلنا يا ليتة صباح ... ثم صارت  
الريعود والبروق ، فارتعدنا ، وإذا دخان يتصاعد كأنه من  
أتون ، والصخور تفتت والرمل تتطاير ، وإذا بسلم أوله في  
باطن الأرض وسمنه الى السماء ، وإذا بالشيخ — مجهد هذه  
المرّة ، مرتعشة يداه ، مشوبة لحيته الرمادية بالبياض — يقول :

— يا أغبياء . لم تفكروا أبعد من مواقع أقدامكم ففسدت  
عقولكم . عودوا ، فلسطين وطنكم !

لجمت الستتنا . كنا مدعورين فتركناه ، وتابعنا هروبنا ،  
وكانت الشمس ، وكانت الأشواك ، وكان الجفاف .. فثقلت  
رءوسنا ، ووهنت أقدامنا ، وتحركت الرمال ، ولاحظت ان  
جاري كان يفكر عندما عاد صوت الشيخ يندرنا :

— موتا تموتون . اهربوا ولن يكون فيكم الا مظلوم  
مفصوب ، يخطب امرأة ورجل آخر ينال معها ، يبنى بيتا

ولا يسكن فيه ، يفرس كرما ولا يشرب خمرًا ، هزاة في جميع الشعوب يكون .

بدا جارى مفكرا ، ثم تردد ، وفجأة قال : « انى عائد » .  
وعلى الفور حدث امر غريب جدا فقد بدا لسانه يقصر ويدها  
تطولان . أردت ان أندھش وان أحادثه لكنه نفذ ما قاله وعاد ،  
وعاد لسانه وعادت يدها الى الطول الطبيعى ، وتابعنا نحن  
هروبنا ، وصوت الشيخ أشد عنفا من حرارة الشمس :

— كيف يطرد واحد الفا ، ويهزم اثنان ربوة ؟ !

فتذكرت ابى الذى كان واقفا في مركز نصف دائرة في  
الفوهات الشريرة عندما انهال عليه وابل الرصاص ، فتراقص  
من الألم ، وكان يحب الرقص — ثم تذكرت اختى وفكرت في جارى  
الذى عاد ، ووجدت نفسى أستدير عائدا — وبعد ان انصرفت  
الفوهات وساد الصمت تسللت هابطا الى شجرة الكروم : كان  
ابى في بركة من الدماء والخمر ، نظرت الى عنبها فوجدته حصرما ،  
والى أوراقتها فوجدتها مثقوبة من فعل الرصاصات الصهيونية .

— وليكن هذا آخر قولى لكم : كونوا صيادين ليعود لكم  
الذى لكم . فالحضو يقوى بالراس . اقتتلوا الغربان تعد لكم  
طيوركم الوردية ...

وعندما تسللنا عائدين قصرت السنتنا ، وانتشرنا في الجبال  
والمدن والنجوع ، طالت أيدينا واستردت قوتها حتى أصبح في  
مقدورها ان تحمل القنبلة والصاروخ .

## كل الأنهار

... وعندئذ يرى أن خياله ينعكس مرات لا حصر لها ،  
يحاول عددها فيفشل ، عددها مثل عدد نجوم السماء أو مثل عدد  
جبات الرمال . ولكن من وضع المراتين في حالة تواز ؟؟ لابد  
أنها زوجته ، فقد كانت تنظفهما في الصباح عندما سأله :

– هل تذكرت ذلك الرجل ؟؟

رفع عينيه عن الجريدة ونظر إليها في تراخ وكسل :

– أي رجل ؟؟

– الجالس عند البحر دائما ، عند اللسان ، ذلك الذي  
غرق ولده .

– غرق ولده ؟؟

– اختفى ولده ، فقد في البحر منذ سنوات .

— كلا ..

ولكن الهواء اللزج يضايقنى ، أزعجتنى بكثرة أسئلتها  
عندما كانت صغيرة ، أما الآن فقد بدأت الأعوام ترهقها .

لكن ابنه التصق به فى الصباح وسأله :

— بابا ، كم عدد السموات ؟؟

— اخرج واحسب عددها .

— جدى قال انها « شبعة » .

— تقصد سبعة ؟ !

— جدى نطقها هكذا « شبعة » قال ان عدد السموات  
« شبعة » .

— هو قال هذا الكلام ؟؟

— نعم ، ألم تكن تعلم ؟ !

— لم أكن أعلم .

ولكن هذه الدقن يجب أن تنتهى من حلاقتها ، كان أجدادنا  
قوما عقلاء ، لم تكن تخجلهم لحاهم ، أما اليوم فيالها من مهمة  
ثقيلة حلاقة هذا الدقن .

يحملق فى المرأة ، يقترب منها ويتعد .

( ويكون جسده عاريا تماما ، ولحيته طويلة ، ويصرخ  
بصرخة ابن القلب ، ثم يهجم على النمر ويقتله ويسلخ جلده  
ويستر به عورته ، ولو لم يقتله لما ستر عورته ) .



ويتأمل شعره طويلا . بدا المشيب يفزوه . وينظر الى  
عينيه السوداوين :

- آه من عينيك يا حبيبى ! ليل طويل رقيت اريد أن  
أكشف خباياه ..

- أما انت يا حبيبتي فزقة عينك تغلب الألباب .

- بعد سنوات تمل رؤيتهما .

- لن يحدث ذلك ، ولا بعد ألف عام .

- ألف عام ؟؟

- مليون .. فزقتهما بحر عميق لا نهاية له ولا قرار .

أكان ذلك بالأمس ، أم منذ لحظات أم منذ ملايين  
السنين ؟؟ بحر عميق بلا قرار بدأت شطآنه تتجدد ، آه من هذه  
السنين !! آه من هذه الانعكاسات !! كم خيالا ؟ ألف خيال ؟  
مائة ألف ؟ مليون ؟؟

- وكم عدد الأرضين ؟؟

- لا أعلم !

وسعلت البنت مقلدة جدما :

- جدى قال انها « شبعة » أيضا !

- حقبا !!

- وقال ان تحت الأرض السابعة صخرة مجوفة يحملها  
ملاك يقف فوق ظهر ثور ، والثور فوق ظهر حوت يسبح في  
ماء ، والماء يحمله الريح ، والريح يحمله هواء وظلمة ...

— يا سلام !! وماذا تحت هذا الهواء وهذه الظلمة ؟ !

— جدى قال : هنا ينتهى علمى ، ولكن ألم تكن تعرف كل ذلك ؟؟

— جدك أدرى منى بهذه الأمور .

يضيف مزيدا من الرغوات ، ويمسك بالماكينة لبدأ الحلاقة ،  
سبع سموات وسبع أرضين والأسبوع سبعة ايام : لكل يوم  
سما وارض ، هذا هو ما يقصده الجد .

ثم اوضحت الزوجة قائلة :

— ذلك الرجل الذى اختفى ولده ومازال ينتظر عودته امام  
البحر ، لقد افزعنى بنظرانه !

فتهتز يده ، والشفرة جديدة ، واف من هذا الجو !!

( وتسير مركبة الفضاء فى طريقها الرسوم صوب القمر ،  
فيرى أن الأرض كرة صغيرة ويرى البحر فى اسفلها ومع ذلك  
لا تتساقط مياهه ، ويدهشه أن النيل ياتى بمياهه من اواسط  
افريقيا لتتوه فى زرفة البحر الهادر !! )

واخذوا يقلقوننى بأسئلتهم :

— بابا كيف يلتقى النيل بالبحر ؟؟

— بابا كيف تختلط مياه النيل بمياه البحر ؟؟

وعندما أخذتهم الى هناك شعروا بخيبة الأمل ، وارادوا  
العودة سريعا للفرجة على التليفزيون . وقالت الزوجة : الأولاد  
لهم عذرهم : أنا ايضا كنت أتوقع أن يكون اصطدام مياه النيل

بالبحر اصطداما فائرا ، ولكنه كان كالتقاء عاشقين سنم  
أحدهما الآخر !!

تحدث نقطة حمراء فوق رغوات الصابون . ويا له من  
تشبيه !! فالنيل في نهاية رحلته يكون مجهدا لاهشا . ولكن  
ذلك لا يمنع القطرات الأخرى من أن تحاول نفس المحاولة لتدوب في  
البحر . وقالت أن عيني سوداء كليل رقيق وقلت أن عينيها  
زرقاوان كبحر بلا قرار .

( وتسير مركبة الفضاء في طريقها المرسوم صوب القمر ،  
غير أن خطأ ما في الحساب يجعلها تنحرف ناحية الشمس بسرعة  
رهيبية . وهناك يرى أن الشمس كتلة من اللهب فيحترق  
فيها .. ويسأله المراسل الصحفي :

- بصفتك أول من غزا كوكب الشمس : ما رأيك في الطقس  
هناك ؟؟ ولماذا قمت برحلتك هذه ؟؟ ولماذا قمت برحلتك  
هذه ؟؟

فقلت الزوجة موضحة :

- ذلك الرجل الجالس عند البحر دائما ، عند اللسان ،  
لا يرفع نظره عن الموج في انتظار ولده !!  
وسأله ابنته :

- وماذا يوجد في الأرض السابعة ؟؟

( فيأخذ صاروخه الذي في لون قوس قزح ويطير الى  
سبيريا ويسأل العلماء الروس هناك :

- لماذا تريدون حفر بئر الى مركز الأرض ؟؟

فقد مندوب الحزب بصوت جهوري :

— من أجل حياة أفضل لعمالهم قوى شعبنا العامل من  
الشفاعة والفلاحين والجنود والثقفين الثوريين ، في سبيل حزبنا  
العظيم وحكومتنا الرشيدة .

غير أن رئيس العلماء .. يهمس له جانبا :

— نحن نأمل أن تجد هناك نوعا أفضل من الفودكا !

فيسيل خط أحمر فوق رغوة الصابون . أف من الحر  
والرطوبة وأعصابي المرهقة ، وخيالي الذي مازال ينعكس بلايين  
المرات . وزوجتي التي قالت :

— ذلك الرجل الذي طال شعر رأسه وذقنه وشباب  
وغزت التجاعيد وجهه ، وهو مازال ينتظر ولده أمام البحر !!  
( ثم يطير في صابونه الذي في لون قوس قزح إلى القطب  
الشمالي حيث يجيبه المتحدث أن يسمى باسم العلماء الأمر بكيين  
هناك :

— نحفر بئرا حتى مركز الأرض كي نملأ الفراغ هناك ،  
ونمنع انتشار المبادئ الهدامة .

غير أن رئيس العلماء يهمس له جانبا :

— من المؤكد أن البترول في مركز الأرض يوجد بكميات  
غزيرة ، وربما وجدنا الذهب ، فهل تريد حجز كتلة أرض هناك  
بأسعار رخيصة ، وبالتقسيم الربح طويل الأجل ؟؟ )

ولكنها لم تعد تنظر إلى عيني ، ولم تعد تقول انهما : ليل  
طويل أريد أن اكشف خباياه !! انهل كشفت خبايا عيني ؟؟

أم انها فقدت الرغبة في الاكتشاف وانشغلت عنى بالأولاد ؟؟  
أو شغلها الأولاد بأسئلتهم ؟؟ ثم اوضحت قائلة :

( شفراتنا مصنوعة من الصلب الممتاز النقى ، تجعل الحلاقة  
ناعمة سهلة ممتعة ، واعلنت نقابة الحلاقين أنه ما دامت الجروح  
يقل عددها عن الأربعين فليس من حق الزبون أن يطالب بآية  
تعويضات مادية ) .

ثم اوضحت قائلة :

— كيف لا تذكره ؟؟ طويل فارغ ، نظرائه غريبة نفاذة ،  
صمد للحر والبرد وهو مازال ينتظر عودة ولده أمام البحر ؟؟

ويسير محاذيا النهر حتي البحر ، فيجد القنار مرسلا  
ضوءه الى ما لا نهاية ، والعيال يلعبون من حوله . وكان الرجل  
يجلس بعيدا عن الناس بشعره المسترسل ولحيته الطويلة  
البيضاء ، والمصطافون لا يلحظونه ، يحضرون وينصرفون وهو  
جالس لا يرفع بصره عن أمواج البحر .

يقول له :

— كآذك تحصى الموجات ، كم عددها ؟؟

— اين الأولاد ؟؟ واين جدهم ؟؟

— وهل تذكرهم ؟؟

— جئت بهم المرة الماضية ، غير ان أهمهم جادبتهم بعيدا  
عنى !!

— خافت من نظرائك اليهم وقالت انك كنت تشتبههم !! .  
انهم الآن حول جدهم الذى أصبحت هوايته بناء أهرامات من  
الرمال ، والذي كره حرف السين فلم يعد ينطقه .

ولم يعد غير الشارب ، وان كانت الذقن قد ذبحت تماما  
وصبغت باللون الأحمر . ان كانت الشفر قديمة ألمت البشرة ،  
وان كانت جديدة ملأت الذقن بالجروح .. ولا توجد نسمة  
هواء واحدة !

— وهل حدثك الموج عن ولدك الفريق ؟؟

— ذات ليلة سيرتفع ماء البحر في ليلة قمرية ويحدثني  
همسا ان ولدى لم يفرق .. فهو لا يفرق .

الصوت مرتعش مبجوح لكنه ينقل الى القلب ويسرى مع  
الدم الى الرأس :

— ... كانت لنا مركب لنقل المصطافين ، وكان يفرد القلع  
أو يلمه . وكنت اجلس الى الدفة ، ولم أسمع له بالاقتراب  
منها ، كنا كلما اقتربنا من رأس البر ورأى اللسان حيث يلتقى  
النيل بالبحر الكبير نظر الى يدي على الدفة وسأل : « لماذا تكون  
هنا نهاية الرحلة ؟؟ ماذا يوجد في البحر الكبير ؟ » . وقلت له  
ان البحر مخيف ، لكنه غافلني ذات يوم ، وكنت على اليابسة ،  
وفك المركب وأقلع بها ، وحول الدفة متوجها الى البحر الكبير !!  
وناديته : « عد .. عد ، المركب صغير والبحر كبير » ، لكنه  
لم يستمع لندائي . وحملته الأمواج وعلجل البحر هادرا ، ومن  
يومها لم أراه ، وأنا الآن أنتظر ليحيبني عن سؤال عجيب  
يحييني . ذهب ليعرف ، وأنا أريد أن أعرف ما عرفه !

— وكم تظن عدد قطرات الموج ؟؟

— كعدد نجوم السماء ..

— وكم عدد نجو السماء ؟؟

— وكَم عدد نَجْو السماء ؟؟

وكَم عدد الشَّعْرَات في رِءُوس النَّاس ؟؟ ( وكَم عدد انْعِكَاسَات صُورَتِي في مِرَآئِيْن مِتَوَازِيَتِيْن ؟؟ )

— مِثْل عدد قَطْرَات المِوْج . .

— عَدْنَا لِلْبَدء !

— نَعَمْ . وَلَكِن السَّؤَال الَّذِي يَحِيرُنِي : لِمَاذَا لَا يَمْتَلِئُ الْبَحْرُ ؟؟ فَمِنْذُ بَدء الْخَلِيقَةِ وَالْأَمْطَارُ تَهْبِطُ فَوْقَ الْجِبَالِ لَتَنْحَدِرَ هَادِرَةً إِلَى الْأَنْهَارِ ، وَمِنْذُ بَدء الْخَلِيقَةِ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَصُبُّ فِي الْبَحْرِ ، لَكِنَّهُ لَا يَمْتَلِئُ وَلَا يَزْدَادُ حُجْمَهُ ! فَقَطُّ تَرْتَفِعُ مِيَاهُهُ اسْتِجَابَةً لِنَدَاءِ الْقَمَرِ ، وَيَدْعُوهُ أَنْ اقْتَرِبَ مِنِّي فَيَرْتَفِعَ سَطْحُ الْمَاءِ وَيَسِيحَ عَلَى الشَّطْطَانِ ، وَمَتَى غَابَ الْقَمَرُ عَادَ كَمَا هُوَ ، مَهْمَا كَثُرَتِ الْأَنْهَارُ وَغَزَزَتِ الْمِيَاهُ الصَّابِغَةَ فِيهِ !!

يَجْفَفُ ذُقْنَهُ فَتَمْتَلِئُ الْفُوطَةُ بِالْبَقْعِ الْحُمْرَاءِ . وَمَعْنَدَمَا أَشِيخُ وَتَتَسَاقُطُ أَسْنَانِي سَاكِرَهُ حَرْفُ السَّيْنِ مِثْلَ جَدِّهِمْ . وَيَنْظُرُ إِلَى انْعِكَاسَاتِ خِيَالِهِ 'فِيضْحُكَ' : وَأَيْضًا كُلُّ هَذِهِ الذُّقُونِ مَجْرُوحَةٌ مِثْلَ ذُقْنِي !! فَكَمْ عِدْدُ الْجُرُوحِ أَذْنُ ؟؟ وَلَكِن هَذَا السَّؤَالُ فَرَّغَتْ مِنْ أَجَابَتِهِ عَلَى مَا أَظُنُّ ، أَمْ تَرَى أَنَّنِي لَمْ أَفْعَلْ !!

( سَبْعُ سَمَوَاتٍ وَسَبْعُ أَرْضِيْن وَالْأَسْبُوعُ سَبْعَةُ أَيَامٍ ، لِكُلِّ يَوْمٍ سَمَاءٌ وَأَرْضٌ . وَلَوْ لَمْ يَقْتُلِ النَّوْمُ لِمَا سَتَرَ عَوْرَتَهُ ) .

## كل الرجال .. كل النساء

---

سمعت الأصوات .. باب البثقة مفتوح - الباب في يدي  
اليمنى - وقفت عند المدخل : الصالة ، السفرة مزاحة جانبا ،  
سواد ، مناديل بيضاء في الأيدي ، عيون تنظر الى حواف المناديل  
سوداء ، النساء .. صورة المسيح مصلوبا ، مصمص ، العيون  
تنظر ، والعداء تبكي تحت الصليب .

تلقت يمينا : باب حجرة أمي مغلق بالمفتاح والأكرة مكسورة  
السواد .. الباب أبيض ، أين أمي ؟ .. وجه امرأة تضغط  
جفنيها بشدة .. رأس المسيح بين الأشواك .. النظرات تأتيني  
من كل ناحية .. الباب الأبيض ، أمي .. تقدمت اليه .. ام  
تنزل دموعي .. ولكن أين أبي ؟ ألم يخبروه ؟ ! .. مصمصات :  
- شد حيلك يا حبيبي .

الكتابة فوق الباب الأبيض بالرصااص : « نبيل بطل العالم ،  
نبيل معبود الجماهير عاشت ج.ع.م. »



— يا نبيل يا مكسور الرقبة قلت لك ألف مرة : لا تكن  
فوق الأبواب والجدران .

نقلت الكتب الى يدى اليسرى ، لمست الاكرة المكسورة  
— النظرات — أدت المفتاح — عيون ، شهقات — بدأت أزعج  
الباب . شممت رائحة كولونيا نفاذة . . شعرت بيدى تمسكتنى ،  
تجذباننى بعيدا . دفعت الجسد ، رايت طرف رداء أسود وعرقا  
نافرا فوق الكفين :

— تعال يا حبيبى ، شد حيلك .

دفعتها بيدى . جذبتنى . دفعتها ، دفعت الباب : الحجرة  
مضاء ، الدولاب — كرهت الرائحة . هدير — المرأة المشروخة :

— كسرتها يا مكسور الرقبة . امرأة بلجيكي من أيام  
دخلى !!

دخلت الحجرة : النافذة مغلقة بالشيش ، المصباح مضاء .  
الحائط ، مسمار ، برواز ، والمسيح يقوم منتصرا على الموت .  
السريز ، نائمة فوقه مغطاة بالكوفرتة الحمراء ، توقعتها ملءة  
بيضاء . . صوت أقدام بجوارى ، صوت ضلفة الباب المفلقة  
تهتز ، سمعتها . الكوفرتة منسابة فوقها ، اليدان فوق الصدر ،  
لا بد . الرأس مغطى . الأنف بارز ، سينكتم تنفسها .

اقتربت ، المسيح فوق السحابة بين الملائكة — شهقات .  
حراس القبر مندهشون ، الشهقات . مددت يدى لأسحب  
الكوفرتة ، التصقت امرأة بظبرى وسحبتنى يداها الى الخلف .  
استدردت ، رايت سوادا ، شممت رائحة النفثالين النفاذة ،  
اهتاجت الدموع فى عيني . سرت خطوتين . لابد انها مغمضة

العينين تحت الكوفرة ) انفلت وعدت وشدت الكوفرة فرايت  
الوجه ، كان مبتسما - سمعت بكاء - العينان مسبلتان ، كما  
توقعت .. تبسم - سمعت البكاء - ليست ابتسامة كاملة ،  
شروع بدابة ابتسامة ) . الوجه مختف ، الأنف مرتفع ، سينكم  
تنفسها !!

استدرت . ضممت جفوني بشدة ، ابتلت رموشى ولم تنزل  
دمعتان فوق الخدين ! .. السواد . الحائط ، رسوم يابانية  
لنساء فى الحمام .. خرجت من الباب الأبيض .. « يا مكسور  
الرقبة » .

الصالة . السفرة . السواد عند الجدران ، الأهل ،  
جارتنا ، بعض قريباتنا من القرية وصلوا قبلى ، لماذا لا أبكى ؟

- فلكل فعل رد فعل مساو له فى المقدار .

طرقات على باب الفصل :

- ومضاد له فى الاتجاه .

الباب يفتح ..

- قيام .. جلوس .

- نبيل حنا ياتى .

ناظر المدرسة بنفسه !! - قوانين نيوتن - وجهه حزين ،  
انهششت . لم ارتكب أى خطأ نقلت السطر الأخير من على  
السبورة .. « ق = ك × ج » سعل مرتين :

- احضر كتبك معك ..

يريد أن يفصلنى !! ربما بسبب هروبى من حصّة الاحياء ،  
لا احب العبث فى احشاء الضفادع .

— اذهب الى البيت ، والدك يريدك .

كلمنى فى اسى فتوقعت .. نظر فى عطف فخمنت وارتيكت ..  
ولما صعدت السلم سمعت ورايت السواد .

— اين أبى ؟؟

— ذهب مع أخيك الأكبر لعمل اللازم .

— وميشيل ؟؟

— قال ابوك دعوا الولد الأصغر فى مدرسته ، ولا دامى  
لازعاجه مبكرا .

كانت تحبه .

باب حجرى .. حجرى .. سريرى .. مكتبى الصغير ،  
القمصان ، النافذة .. النافذة المقابلة مفتوحة ، هل عادت  
« سناء » ؟؟ بالطبع لا ، ما زالت فى مدرستها .. جلست على  
حافة السرير .. أصوات النسوة — تعديد — ماذا ستفعل  
سناء عندما تعلم ؟؟ لم ترد على اشاراتى لها أبدا ، تقف تحملى  
فى ، احببها وابتسم لها لكنها لا ترد ولا تخفض عينيها عنى ،  
نظرتها ثابتة لا ترف ! .. بكاء النسوة ، صوت المعدة :

— كنت زهرة وقطفك الموت بدرى يا أختى .

خلعت البلوفر . ارتديت الجاكّة . ليست عندى كرافطة  
سوداء !! وحتى الآن لم أبك ، ضغطت جفونى بشدة .

أرتفع صوت المعدة - فجأة ! - زاد صراخ النسوة .  
اندهشت ، ميزت صوت خالى فهمت : يرحبون بكبير العائلة ،  
خال أمى ، كلنا نقول له خالى ، أبى يقول خالى ، وأمى واخوتى  
وأنا نقول خالى ، بانى مدنته الأسرة .. ضحك أبى ووالى :

« هذا الرجل سيدفن العائلة كلها ولن يموت .. »

سمعت خالى :

- ألم يعد هنا حتى الآن ؟؟

- لا ..

- أحضرت المفتاح ، مفتاح القفل الجديد ، كسر اللصوص  
القفل القديم وسرقوا أسنان الزخوم وليم الذهبية ، فاشتريت  
قفلا جديدا « بيل » انجليزى أصلى . لا أدري ماذا كانت ستفعل  
العائلة بدونى ؟ !

- ربنا يعطيك طولة العمر .

« هذا الرجل دفن ثلاثة من أولاده وأحبنى حفيداته وعمك  
وأخاه .. ومن المؤكد أنه سيدفنى كذلك .. »

ثم ضحك أبى .. ابتسمت .. خطوات خالى الحادة  
تقترب ، دائما يركب حديدة فى كعب حذاءه حتى لا يتأكل  
بسرعة .. الباب ، وقف عنده :

- انت يا ولد قاعد هنا بدون عمل ؟ ! انزل لتقف مع عمال  
الفراشة ، ولأ تدعهم يفرشون سجاجيد جربانة أو يرصون  
مقاعد قديمة .

\*\*\*

انعكاسات صفراء .. برقت آلات النفخ النحاسية تحت  
 أشعة الشمس ، اقترب الأولاد في صفين : زيم موحد ، رمادى  
 فى حوافه شريط أحمر .. « ملجأ الأيتام القبطى الخيرى » .  
 جلسوا تحت السرادق . ابتسمت لهم ، لم يتسعدوا ، عودهم  
 على عدم الضحك فى مثل هذه الظروف . تأملتهم : زرايرهم  
 نحاسية لامعة أيضا ، وضعوا الآلات فوق السجادة اسفلهم ،  
 ولد أشقر وولد أحول والسادس عروقه نافرة من نفخ آتته  
 الكبيرة ، والآخرون منظرهم عادى .. أيتام ! .

الفراشة حذراء ، الزخرف أبيض عربى الطراز ملء بالدوائر  
 المتداخلة .. « فراشة حسن عبد السلام » . الشارع ..  
 الشمس .. عمود النور .. الحائط .. « حاليا يسينتها بالاس  
 الكبرى .. » افريز الحائط فى ركنه عش الزنانير الطينى ، حطمته  
 فهاجرت الزنانير .. « مهنوع لصق الاعلانات » .. « حاليا  
 يسينما بالاس الكبرى بالنيا » .. كيف لا أبكى ؟ !

- ابنك نبيل خرج الساعة السادسة ولم يعد الا فى  
 التاسعة والنصف ، ومن المؤكد انه ذهب الى السينما .

فلما عدت سألنى :

- أين كنت ؟

- اذاكر مع صاحبى حمدي ..

- كذاب .. أين كنت ؟؟

- لست كاذبا ..

- امك تقول انك كنت فى السينما ..

- كنت أذاكر مع حمدي ..
- اسمع يا بنى الذى يحمل قربة مخروقة تخر عليه ..
- والله العظيم ما دخلت السينما .
- أمك تقول أنك كنت فى السينما ..
- .. .. ..
- اسمع يا بنى .. أنا أبوك وتهمنى مصلحتك .. ذاكر وفى  
الاجازة تفنى للسينما .
- الكرافة السوداء فى عنق أخى الأكبر ، علب سجائر كبيرة  
فوق المنضدة الصغيرة .
- سأل عن العربية وعن أبيتنا القسيس ، سأل عن « مشمش » .  
لم يرجع بعد .
- قالت أمى :
- كن أنت عاقلا فمشمش هو الأصفر واعطاه القلم .
- يبدو انه كان يبكى ، أخى الأكبر ، لكنى لم أبك ، حتى  
الآن !!
- أصبح أبى أشار الى ، فمه :
- اسمع يا نبيل ، كن متماسكا أمام مشمش عندما يأتى ،  
انت الآن رجل كبير .
- انفجرت صرخات محموعة ، جرس الكنيسة بدق من بعيد ،  
شرفة البيت وسواد النسوة .. ثلاث دقائق بطيئة ثم برهة

صمت .. المناديل بحوافها السوداء .. « مع السلامة  
غالية يا غالية » .. حركة في الشارع .. نكاء ، دقة .. صراخ ،  
دقة ثانية .. عويل ، دقة نالثة .. الأولاد في صفين .. « والله  
فراقك مر يا حبيبة » .. الرجال يقفون .. يصطفون خلف  
العربة .. خيول العربة تصل ، أربعة ستة ثمانية ، ثمانية  
أحصة .. والعربة مذهبة كثيرة الزجاج .. الجرس يدق .

باب البيت : صندوق خشبي فوق اكتاف رجال أربعة ..  
الصراخ يعلو ، امرأة تشد شعرها .. الصندوق ، الشرفات ،  
عيال ونساء ورجال نظروا .. الصندوق .. العيون نظرت ..  
سحبني خالي الى الامام : الصندوق يدخل العربة .. القسيس  
امامنا .. خالي ، ابي اخي الاكبر .. انا .. والناس .. شرفة  
سناء ما زالت في المدرسة .. ترى ماذا ستفعل عندما تعرف ؟ ..  
حزنت ، حتى الآن لم ابك !

آلات العزف في الأفواه . « بساط الزحمة » يمسكه أربعة  
رجال - العربة تحركت - كل رجل في طرف .. نفخت الأفواه  
باللحن الرتيب بالايقاع المنتظم .. سرنا .. من شارع الى  
الميدان .. الدكاكين تغلق نصف غلقة ، الجالس يقف ، يحترمون  
الصندوق المثل من العربة بين الملاكين الخشبيين ، السيارات  
تأخذ جانب الطريق .. أدت رأسي : الحشد زاد - صوت  
الجرس - بالتاكيد ما زال في المدرسة صاحبي عزت ، يا ليت  
بجوارى الان ! . العيون .. هل سأذهب غدا الى المدرسة ؟؟ .  
أبطأت العربة لحظات ثم سارت ، نظرت الى الأرض : عجالات  
العربة ، روث الخيل فوق الأرض ساخن ، بغض بخار الماء

يتصاعد منه .. اعتقد اننى سوف لا اذهب الى المدرسة غدا ،  
لكن عزت سيذهب ، وسناء ايضا .

\*\*\*

الصندوق امام الهيكل .. القداس .. وقفنا جميعا ..  
ظهر القسيس لنا :

— لأنه لا يبقى الا العمل الصالح .

باب الهيكل ، ستائر من القטיפه الزرقاء ، اللوحات  
الزيتية :

— .. ويذهب الانسان لكن ذكراه العطرة تدوم ..

« مايرى جرجس » ممسك بالسيف ، المسيح يقوم من  
الموت .. سعات رجال .. الملاك ميخائيل له جناحان يطير في  
السماء .. الصندوق .. فم القسيس .. البخور يتصاعد  
مكتافا ثم يتخلخل ..

قالت امى :

— أسرع يا نبيل ، لابد ان نذهب جميعا الى فرح ابنة عمك  
في الكنيسة ..

وكان التاج فوق رأس العريس وفوق رأس ابنة عمى ،  
وامال كل منهما رأسه فالتصقا وزغردت كل النساء ، وقال  
القسيس منبها على العروس : « اطيعى زوجك ، وكونى عونته  
في السراء والضراء » فضحك كل الرجال ، وقال : « ان ما يربطه  
الله لا يفرقه الا الموت » .



الشريط الأسود .. بكاء أخى الأكبر .. ضفطت جفونى  
بشدة ..

وفى المساء قالت أمى :

- شد حيلك يا نبيل وذاكر لتأخذ الشهادة الكبيرة من  
الجامعة وأزوجك بنت حلوة من عائلة مستورة .

( والتصق التاج فوق رأس سناء بتاجى وقال لها القسيس:  
« ما ربطه الله لا يفرقه الا الموت » .. ) فشاهدت سرير أمى وروحها  
قرب النافذة وشمنت رائحة الكولونيا النفاذة .. ولما نظرت الى  
صورة اليابانيات العاريات فى الحمام ، أشار أبى اليها وقال :

- اشتريتها من قبل ان تولد أنت وكانت أمك ما زالت  
شابة جميلة ..

يدورون بالبخور حول الصندوق - الجرس مستمر -  
الشريط الأسود .. المسيح مصلوب هنا وعندنا فى الصلاة  
كذلك .. حيث هلق أبى فى الحائط المقابل آية : « ان الله على  
كل شىء قدير » .

- اتعلق آية المسلمين ؟ !

- أعجبنى المعنى ، وأنا لست متعصبا .

- ولكنها آية المسلمين ؟

البخور .. الدقات النحاسية .

- ليس كل المسلمين اشرارا ، منهم من هم اكثر طيبة من  
المسيحيين ..

القسيس . المبخرة تتأرجح .. الصليب في يده :  
- ... وقو يا ربنا اهلها بالصبر والسلوان ..  
حركة .. خرج الصندوق .. خرجنا .. ربتت كف  
على كتفى :  
- شد حيلك .  
لم اعرف الرد .. هزئت راسي .. صوت الجرس  
يعلو أكثر حماسا .

\*\*\*

« محلات بشرى وفخرى » .. « جنة زُفوان للملبوسات  
الفاخرة » .. « شارع التجارة » . الزحام . تعبت قدماي  
الطريق طويل ينتهي عند النيل ، عند « موردة الخنش » ..  
القسيس والموسيقي والملاك المذهبان لم يطيرا بعد برغم ان  
جناحيهما مفرودان . الصندوق .. الذقات الرتيبة ..  
- الله اكبر .. الله اكبر ..

ما هذا ؟ ! نظرت حولى .. سمعت همهمات .. التفت :  
العدد الكبير من خلفنا .. ثم .. ثم .. نعش آخر ، مسلم  
ان مسلمة في الخشبة ، ميت او ميتة يسرون خلفنا والشارع  
ضيق ..

- الله اكبر .. الله اكبر ..

التفت ثانية : في اعلى الخشبة طربوش - رجل -  
يرحمه الله .. يد تهزنى .. دقات الطبلبة الكبيرة تشتد .. صوت

الجنّازة الخلفية ارتفع .. زعقت الآلات النحاسية بصوت أعلى  
قويت ترتيلات المسلمين .. اليد تهزنى .. طفل .. نظر :

— يا عم .. يا عم .. من مات ؟ من مات ؟

من مات ؟ .. هي .. هي التى .. غصة فى حلقى ، بدأت  
عيناي تغرورقان .. سمعت ضوتا بشخط :

— امش يا ولد .. امش .

الفصة .. لكن ما هذا ؟ ! .. ترتيلات المسلمين تسرع  
تلث ثم بدعوا يشقون طريقهم من فوق الرصيف ، مسرعين جريا ،  
لاهثين ركضا .. عجيبة !! سبقونا .. سبقوا الصندوق والعربة  
والخيل .. ثم هدعوا وابتعدوا وعادت زئابة أصواتهم ..

— ما الحكاية ؟

صوت خالى :

— لا يريدون أن يسبق ميتهم ترتيل النصاري ، ولا أن  
يسير أمامه صليب القسيس .

دهشت ، أحسست بالدهشة . اسرع خالى واقترب من  
سائق العربة :

— بسرعة يا ريس بسرعة ، الحق بهم واسبقهم ..

تقدم أبى :

— لا داعى يا خالى ، لا داعى .

— لا يصح أن تسير بنت أختى من خلفهم حتى ولو كانت  
زوجتك ، بسرعة يا ريس بسرعة .

النيل .. « مورد الحش » .. رفاص البلدية ، دخل  
الصندوق فوق المركب .. وقفنا في صف بدأ بأبى ثم خالى  
وانتهى بعم جابر ، وانصرفت الموسيقى والقيس وبعض الناس ،  
ركب البعض مع الصندوق - دليل الاعزاز - أكثر من مائة ..  
صعدنا الرفاص .. كان المسلمون قد سبقونا وجلسوا صامتين ،  
نظرت لهم ، التفت الى البر الى المدينة .. نظرت لهم ثانية :  
أعرف فيهم حسن ، اقترب :

— البقية في حياتك .

— عشت .

مياه النيل تندفع الى الخلف ، اللنش يسير الى الأمام - لكل  
فعل رد فعل - الشمس ، الجبل هناك والمنيا في الخلف - مساو  
له في المقادير - الأحياء غرب النيل والأموات في شرقه .. صوت  
خالى - ومضاد له في الاتجاه - خالى :

— بنيت هذا المدفن منذ ٢٤ سنة .. أيام الرخص ولم  
أدخل به على عزيز من العائلة .

المنيا تبتعد .. صوت الرفاص ، الماكينة .. بكاء أخى  
الأكبر - البكر - صوت خالى :

في كل عيد أعبى النيل الى الشرق وادخل المدفن أصلى  
على أرواح أحيائنا هناك .

تل المقطم يقترب .. يعلو ..

— في العيد الصغير منذ أربع سنوات رصت صناديق  
الرجال في جانب وصناديق السيدات في الجانب الآخر ، وكان  
منظرهم جميلا !!

## « هذا الرجل هو دافن العائلة »

— وفي العيد الصغير منذ أسابيع وجدت أن المكان مزدحم  
فنقلت رفات كل الرجال في صندوق واحد وأخرجت الباقي ،  
كذلك فعلت مع السيدات .

النيل ، الدنيا صفرت بيوتها مآذنها أجراسها .. كف  
الجرس ، ربما لا أسمعه لبعده المسافة .. مقدمة اللنش تشق  
المياه نصفين . « كل رجال العائلة في صندوق واحد على جانب » .  
قرية « سودة » ظهرت في حضن الجبل — « وكل السيدات في  
صندوق آخر على الجانب الثاني » . صوت عم جابر .  
ذكرياته عن السودان وجنادل النيل والنيل الأزرق وأحيانا عن  
السودانيات الجميلات ! . ابتسمت ، لم أبتسم .. أقارب المسلم  
يجهشون بالبكاء .. أبكى ، لم أبك ! . أخى الأكبر احمرت  
عيناه ، إلا أنا — البر يأتي إلينا — لكنى أحبها — نحن ندخل  
البر — احبت مشمش لانه آخر العنقود .. لكنى احبها ..  
خللتنى الدموع !!

دخلنا البر ، التصق بنا .. هبطوا ، هبطت .. لم يهبط  
المسلمون ، مقابرهم في الموردة التالية في « زاوية سلطان » ..  
الصندوق فوق الرجال ، الرجال يدوسون فوق التراب  
والصخور . اللنش يتابع سيره جنوبا .. التراب ..



تل المقطم .. ازقة ترتفع صاعدة بين البيوت والجحور ،  
عيال يستمرون في لعبهم ، اعتادوا قنوم الغرباء بالصناديق  
وعودتهم دونها ، تبعنا بعض الشحاذين ، دخلنا حارة سد  
عبرناها ، في آخرها ممر ضيق .. صعدنا — على بعد عدة

كيلو مترات قرية تونة الجبل - تعب خالى ، وقف امام أحد  
الأكواخ لاهثا :

- سانتظركم هنا ، تعبت .

تابعنا ، صعدنا .. دخلنا في زقاق آخر - في حضن وفي  
بطن الجبل بنوا تونة الجبل للخالدين - «مقابر اسرة نجيب  
باسيلي» .. سرتا .. «مداين عائلة كامل عياد» .. تابعنا ..  
«المجدد في الأعلى» .. صعدنا .. «مقبرة عائلة ...» :  
أخيراً ها نحن .. نهاية المشوار .

اسم خالى ، وباب حديدي ، الصليب بالطلاء الأبيض فوقه ..  
الصخور .. وضعوا الصندوق على الأرض .. التعب .. المفتاح  
في يد عم جابر ، تقدم وأمسك القفل - ينل انجليزى اصلى -  
التعب ، تنجح :

- باسم الله ..

ادار المفتاح ، عاكسه ..

- صدء القفل .

تقدم رجل من اهل القرية ، اخرج المفتاح وبالله بريته ثم  
فتح الباب الحديدي .. نظرت ، شممت رائحة غريبة ، هل  
بالداخل عظام ودود ؟ - « صندوق لكل النساء ، وصندوق  
لكل الرجال » - حملت في فتحة الباب .. ظلام ظلام .

- باسم الصليب .

ثم دخل عم جابر ، وقف ثواني حتى تتعود عيناه على  
الظلام ، دخل معه رجل آخر .. اسندار ، اقتربوا بالصندوق ،  
دفعوه اليهما فسحياه ، دخل الصندوق - الآن صندوقان

للسيدات في جانب وصندوق واحد للرجال - ظلام .. بكاء أخى يرتفع - أبى يضغط على نواجذه بشدة ، هز رأسه في عنف ، غارت تجاميده ، الظلام : اطل عم جابر منه ، ناولوه موسى ، دخل ثانية .. الظلام مرة أخرى .. نظرت الى جارى ، ربت على كتفى .

— ليمزق الكفن الحريري حتى لا يسرقه اللصوص .

أبى تتحرك شفتاه في تمتمة غير مسموعة .. وأنا ؟ ! .. يجب أن أقول شيئا ، هل أصلى ؟ ! . يجب أن أبكى ، لابد .. صوت جارى :

— اللصوص هنا لا يراعون حرمة الميت ، في الشتاء يسرقون الصناديق ويستدقثون بحرق خشبها !!

فتحة الظلام .. حملقت ( رأيت الدود والعظام ، ثم رأيت بمنجله يحملق نحوى ، رأسه جمجمة .. عزرائيل ) .. تراجعت خطوة ، لو عزت بجانبى الآن ( المنجل بثلاثة زعوس .. تحرك تخلصت عظامه ، اصطكت أسنانه ) .. شهقت ، 'لو عزت معى ، وجه سناء ( رأيت دودة كبيرة ممسكة في فمها بلسان إنسان ) .. كدت اسقط ، أمسكتى رجل ( ودودة تلتهم عين إجد أقربائى ! وعشرات الدود حول قلب صامت !! ) ترنحت .

— شد حيلك يابنى ، شد حيلك .

وجه أمى ، عزت .. الظلام : خرج منه الرجل ثم عم جابر ، أمسكا الباب الحديدى ( رأيت الملاكين ، المسيح فوق السحابة صعد ، ارتفع ) سدا باب الفتحة ، الصليب بالطلاء ، القفل .. اختنق أبى :

- مع السلامة ، مع السلامة ، مع السلامة .
- انهار اخي الاكبر .. ارتعشت ، دارت الأرض ، سدننى ،  
قامت الدنيا .
- كوب ماء من البيت الذى هناك بسرعة .
- بردت أطرافى .
- شد حيلك يا ابنى ، شدوا حيلكم ، عيب انتم رجال .
- شعرت بالقصة .
- اشرب .
- شريت .. بدات اتنفس .. اقترب الشحاذون ، تحفروا  
هجموا على أبى ، تمسحوا به :
- البقية فى حياتك يا بيه .
- نهرهم عم جابر .
- ربنا يطول فى اعمالكم ، البركة فى الأنجال .
- اخدمهم جانباً ، اخرج من جيبه نقوداً صغيرة ، وزعها  
عليهم .. وسقط بعضها على التراب ..

\* \* \*

- جاء الرجال :
- البقية فى حياتك .
- سمعت جارى يقول لجاره انه ذاهب لعزاء الميت المسلم  
ثم يلحقه بعد ذلك على المقهى ليبارزه عشرة طاولة .



خرجوا .. جاء غيرهم :

— شد حيلك .

هززت راسي .. جلسوا ، تمتمت بكلام غير واضح ،  
تحدث جاري مع زميله عن رحلات الفضاء وعن الترقيات  
وشكى له من رئيسه وزوجته النكدية .

دار عليهم القهوجى بالقهوة السادة ، دبت عليهم بعلبة  
السجائر الكبيرة .

— شد حيلك .

أخرج احدهم قطعة حلوى وضعها في فمه وقال انه كف عن  
تدخين السجائر بعد ان نصحه الطبيب بذلك ، ثم حدثه جاره  
عن غلاء السمن البلدى وانه لا يثق في السمن الصناعى وانه تعود  
على شرب كوب من اللبن كل صباح .

جاء بعض التلاميذ ، جلسوا في نهاية السرايق مبالغين في  
حزنهم ، نصحنى جاري بان اجلس بجوارهم :

قال تلميذ :

— استاذ العربى طلب منى ان ابلغك تعزيتة .

هززت راسي ، أصابعه تضغط على بعضها البعض ..  
ذهبت مع بعض اصحابي لعزاء زميل لنا وكانت اول مرة ،  
وكبس علينا الضحك دون سبب بفعل شيطان غريب الشأن ..  
هل يكبس عليهم الضحك الآن ؟ ! لكن عزت لم يأت معهم ! من  
المؤكد انه عرف .

شمشمس يجلس منزويا ، يبدو غير مدرك للأمر ، كانت تحبه

أكثر من جميع الأسرة ، آخر العنة ود طبعاً .. نظرت له ، قرضت  
أظافري . لو جاء عزت ، لو بكيت !

انصرف التلاميذ .. جاء عم جابر وجلس بجوارى ربت  
فوق ركبتي :

— البركة فيكم ، كن رجلاً .

— حاضر .

انهمك مع جاره في الكلام ، ذكرياته عندما كان يعمل في  
السودان ، لا يجيد الحديث إلا في هذا الموضوع .. آه ..  
ها هو عزت ، جرى الدم إلى وجهي فجأة ، بدأ مبتسماً شديد  
العبوس كأنه أنا :

— البقية في حياتك .

احسست بفرحة ، جلسنا .

— كيف حدث ذلك ؟ . هل كانت مريضة ؟ لكنك لم  
تخبرني ؟ دائماً أنت كتوم !

استمر عم جابر في حكاياته :

— كان كل السودانيين يحبونني ، ويكوا عندما تركت  
السودان .

نظرت إلى الناس ، يتحدثون أو يفكرون أو يتشاءون ..  
ميشيل — مشمش — كبس عليه النوم .

— وكثيراً ما خرجت إلى رحلات صيد في الأدغال ، ادغال  
السودان والحبشة .

زغدنني عزت ، رمقني بنظرة مأكرة .. كنت قد حدثته  
عنه كثيراً .

— ومرة خرجنا الى الغابات مع بعض الأصدقاء السودانيين .  
كنا مسلحين طبعا ، وفجأة خرج لى حيوان صغير جدا ، لا هو  
بالأسد ولا هو بالنمر ، ولم يكن ببرا أو ذئبا أو أى حيوان اعرفه ،  
استصغرت شأنه واستخسرت فيه الرصاصة ..

كتم عزت ابتسامته .

— لكن أحد السودانيين قال لى : احمد ربنا ، كتب لك  
عمر جديد ، هذا الحيوان برغم تفاهة حجمه خطير وسمه  
قاتل ، اذا عقر انسانا فقل عليه العفاء ، ولا بد ان يموت على  
الفور ، ولا علاج له !!

هز السامعون رعوسهم . رفع عزت يده وعبث فى شعره  
ليخفى ابتسامته . فعلت مثله ، وعندما هم عزت بالإنصراف قال  
انه لن يذهب الى المدرسة فى اليوم التالى ، وانه سيقضيه معى .

\*\*\*

أخيرا فوق السرير والحجرة مظلمة .. دخل ضوء الصالة  
من الباب وانعكس على السقف .. أبى وخالى وأخى الأكبر  
يتحدثون ، صوت خالى :

— الروح تبقى فى الشقة ثلاثة أيام . تظل مكانها حتى يأتى  
القسيس ويصرفها فى سلام لتصعد الى السماء .

صوت العمال يهدمون السرادق فى الشارع .. اذن فهم  
ما زالت هنا ، فى مكان ما .. صوت أبى :

— كان المشيعون كثيرين ، جاملت الناس فجاملونى .

هل هى فى حجرتها المغلقة حاليا ؟ أم معهم فى الصلاة ؟ !  
ضففت جفونى بشدة .. كانت تحبى وأنا أحبها كثيرا  
دون شك .

سمعت الولد أحمد ابن جارتنا يهتف من أسفل بيته :

– ولع النور .. ولع النوور ..

صوت أخى :

– كان أول الجنازة عند شركة بيع المصنوعات وآخرها عند  
الصهرج !!

كنت مثل الولد أحمد أخاف صعود السلم المظلم ، كانت  
أمى تقف لى من فوق وتظل تحادثنى :

– اطلع ، أنا واقفة .. لا تخف اطلع ..

واركض السلم فى ثوان .

اكمل صوت أخى :

– برغم أن النعى سينشر فى الأهرام غدا ..

ربما تكون فى حجرتى الآن ، فوق السرير أو فى أحد الأركان،  
من المؤكد أنها بجوار مشمش .

سمعت صوت بائع الزبادى فى الشارع ورأيت السلة تهبط  
من الشقة العليا ثم ترتفع بعد قليل وبها الزبادى ، وصوت باب  
البقال أسفلنا يلق .. وفى منتصف الليل سوف أسمع صوت  
« السيفون » فى الشقة المجاورة .. وفى الفجر صوت نحنة  
مسكرى الداورية فتزد عليه بعض الكلاب بنباح حاد .

صوت أبي ( لأخى ) :

- هل صفت النعى جيدا ؟

- كتبته بفعل الماضى وقلت ان الجنازة شيعت أمس  
من « كنيسة الأمير تادرس » .

والعزاء تلفرافيا « حنا بشارع ابن خصيب » .

ماذا ستفعل سناء عندما ترانى غدا ؟ . حملقت فى السقف  
( فرابتهم يضعون صندوقى فى العربة المذهبة ، وبكى كل الشارع ،  
وأصرت سناء على أن تعبر خلف نعشى الى الشرق حيث وضعت  
الصدقة على روحى ) . لكنى لم أبك بعد .. « كل النساء فى  
صندوق واحد . وكل الرجال فى صندوق آخر » صوت خالى :

- هل كتبت بالنعى اسم صادق ابن بنت خالتك ؟

- نعم ..

صوت أبى :

- تعب الشارونية معنا هذا الصباح ، هل ذكرتهم بالنعى؟

- نعم ..

شعرت بالجوع . لم أتعش جيدا ، لم يلح أحد على بالأكل ..  
وجه أمى ، السقف ، ابتسامتها .. وجهها :

- عاوز أتعشى .

- ماذا تريد ؟

— أى شيء .

— جينه ؟

— لا ..

— غسل ؟

— لا ..

— ماذا تريد اذن ؟ !

— أريد أن أتغشى .

— هل اسلق لك يعضتين ؟؟

— لا احب البيض وأنت تعرفين ذلك .

— يا مكسور الرقبة تعبت قلبي ، ماذا تريد ؟ !

سال خالى :

— على الله الا تكون نسيت أيوب بالنعم ؟

— كتبته ، هل اقرأ لكم صيغة النعم ؟

— أحسن ..

صمت .. وجه سناء .. أشباح على السقف .. لن يسألنى  
أحد : ماذا تأكل ؟؟ جينة أم عسلا أم بيضا ؟؟ استدرت فوق  
السريр .. اطلع ، أنا واقفة ، لا تخف ، اطلع .. قرأ صوت  
أخى :

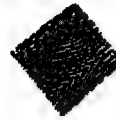
— وفاة سيدة بارة .. انتقلت أمس الى الأمجاد السماوية  
السيدة ... ..

ولكن هذا اسمها !! امي .. انتقلت .. الى الأمجاد  
السماوية .. السيدة .. السيدة امي !

انكفأت على وجهي .. المخدة .. اطلع لا تخف .. ارتعشت  
يداي .. انا والخفة لك ..







# فوستولك يصل إلى القمر



## فوستوك يصل القمر

« الى القمر بالسلامة يا فوستوك »

وقف السائق يقرأها مكتوبة على مؤخرة السيارة ،  
ربما للمرة المائة في خلال اليومين الأخيرين ، ويبتسم لنفسه  
في زهو . كان صاحب السيارة يريد أن يكتب مكانها عبارة أخرى :  
« يا خفي الألفاظ نجنا مما نخاف » . ازاء تمسك السائق  
بجملته قنع بأن تنزوى عبارته على بلب السيارة حيث هي مكتوبة  
الآن ، وترك المؤخرة بطولها وعرضها لسائقه يكتب عليها ما بدا  
له . فكتب جملته السابقة ، ورسم أعلاها صاروخا صغيرا في  
طريقه الى قمر رسم على هيئة وجه انسان يطل باسمه في سعادة  
من خلال زهور جميلة زاهية تحيط به .

ويخرج من فم شرطى المرور ثعيانان يلدغان السائق في  
اذنيه :

— اطلع يا أسطى ، لا تعطل السيارات من خلفك .

وتموت ابتسامة السائق .. ويستدير .. وبسرعة تتحسّن  
يده الاطار الخلفى ليطمئن الى سلامته ، ثم تمتد الى باب السيارة  
لتفتحه وهو ينظر الى أعلى حمولتها وينادى الشيال :

— نائم انت ام متيقظ ؟

ويعرف الاجابة عن سؤاله لأنه لم يسمع أى رد على ندائه .

يمد يده ليدير مفتاح البنزين ، وهو يستعيد بالله . مع  
ازدياد سرعة السيارة ومع ارتفاع أنين محركها ، بدا سائقها  
كطفل يركض وحيدا فى طريق مقفر معتم ، فأخذ يردد فى سره  
عبارة صاحب السيارة : « يا خفى الألفاظ نجنا مما نخاف » .  
والتي اخذ يرددّها بصوت أعلى وإيقاع أسرع .

والسيارة تزحف وهى تهر الطريق بثقلها الزائد ، مثيرة  
ضجيجا صاخبا مزعجا ، لا يضيع فى الهواء ، بل يتحول الى  
مقيم يخرج منه وحش رهيب المنظر ، وقد أمسك فى يده بمطرقة ،  
وفى اليد الأخرى بسكين حاد النصل مكشرا عن ابتسامة  
بغيفية . رآه السائق وهو يقترب منه فى اصرار وعناد ، ثم وهو  
يتسلل خلال الزجاج المكسور ليجلس بجواره . فهتف :

— يا خفى الألفاظ ، يا الهى ها هو قد عاد ليضايقنى ..

لم يكف بالسكن أمام منزلى ، بل يطاردنى فى كل سفر  
أقوم به !

ثم يلتفت الى الوحش . وبأسخس سلام يقف أمامه طبلتى  
أذنيه :

— ها هما ، خلهما ، اطرق عليهما كما تشاء .

لكن الوحش لا يكتفى بذلك ، ويلوح له بيده المسكة بالسكين . وكانسان يقدم ذبيحة قربانا لاله رهيب يخرج السائق اعصابه من رأسه ، ويضعها أمام الوحش الذى يفرح بها . ويظل يعمل فيها تقطيعا ، شاربا الدم الذى ينزف منها .

ينظر السائق الى الطريق بآلم ثم يبصق . لو احضر معه قطعتين من القطن سد بهما اذنيه لكان قد اخفى طبلتيهما عن هذا الوحش ، لكن الأطباء منعه من ذلك .

تخطر علي باله فكرة ، فيخرج سيجارة يشعلها وينفث غضبه مع دخانها في وجه الوحش ، ثم يحاول أن يلسعه بنارها ، لكن الوحش لا يابه بذلك ، ويتمادى في طرقه لطبلى الأذنين وتقطيعه لأعصاب الرأس ، بينما الشمس من وسط السماء تلهب العربة بنارها .

تنتهى السيجارة في يد السائق وتلسعه ، فيلقيهما بسرعة ، لاعنا كل شيء من حوله ، لكنه عندما يرفع بصره ويرى الحجاب المعلق أمامه تنفرج أساريره ويتمتم :

— يارب عفوك ورضاك .

ينظر الى الطريق أمامه ، ويجول بناظريه فيما حوله : مخلوقات كثيرة وعجيبة . وجد نفسه يتأملها كمن يراها لأول مرة ، بط يسبح في التربة الموازية للطريق ليطفىء نار انفسطس في مياهها ، بقر لا يتوقف عن الأكل الا لياكل ، جاموس يربط الى السواقي ، كلاب تشيعه بنباحها وترتد خائبة مخرجة السننها ، وخرواق ساهم مجنى الرأس كرب انزة يفكر في كساء

أولاده .. وناس ، آدميون كثيرون في صور مختلفة ، فيهم الذي  
يدير ساقيته وفيهم الجالس ليأكل ويأكل ، وفيهم المختلطون من  
دخان العربية فيشيعونه بشتائمهم ، ومنهم الجالس حزينا يعبث  
بأصبعه في تراب الأرض ، ومنهم الذي خلع ملابسه ونزل إلى  
الترعة سابحا .

لم يجد السائق ما يعبر به عما يجول في خاطره إلا أن هتف:

ـ دنيسا !

وينظر إلى الطريق .. ويبصق !

يلتفت إلى جواره ، الوحش مازال رابضا ، يلعب لعبته  
القاسية .. يتساءل : الإيياس !

أمامه على الطريق يسير فلاح ، اجتمى من الشمس هو  
ويقرنه التي يجزها ورائه بالأشجار المزرومة على جانبي الطريق ..  
وعندما عاد السائق لينظر أمامه وجد أن عربته تتجه في أصرار  
صوب بقرة الفلاح تريد أن تفرسها ، لكنه يسارع ويضغط  
على الفرملة بعنف .

من خلال ذهوله يسمع شتائم صاحب البقرة له ، يلتفت  
إلى الوحش جواره ليوبخه فلا يجده ، اختفى بعد أن أعاد إليه  
طبلتي أذنيه فقط . وبلعنه :

ـ هرب الجبان ، عاد إلى قمقه بعد أن سرق أعصاب  
رأسي !

ثم ينظر إلى صاحب البقرة ويعتذر له :

ـ مدم المؤاخلة « الدزيكسيون فوت » .

ينزل الشيال - الذى أبقظه وقوف السيارة المفاجيء  
وشتائم صاحب البقرة - ويطيب من خاطر الفلاح ، ويربت على  
ظهر بقرته ، الى أن ينصرفا .

تعود السيارة لمسيرها بعد اصلاح عطبها ويجلس الشيال  
بجوار السائق ، يصرخ وهو يحاول أن يعلو بصوته على صوت  
المحرك :

— سامع يا أسطى صوت المحرك .. ولا مكنة الحرت !!

تنفر العروق من رقبة السائق :

— صاحبها سلمها لى قديمة ، مالى أنا ، ما ذنبى أنا !

ويلتفت للشيال ، فيجد الوحش قد عاد وجلس بينهما ،  
ويعجب .. كيف لا يراه الشيال ؟ ويفتم .. وليخفى حزنه أخذ  
يتكلم محدثا نفسه ، والشيال يظن أن الكلام موجه اليه .

لشد ما يغيظه أن هذا الوحش وراءه أينما حلّ ، فى السيارة  
وفى المنزل . فقد جاء وسكن فى ورشة السكة الحديد المواجهة  
لمنزله ، والدائمة الضجيج سواء من أصوات المطارق أو القطارات،  
مما يجعله هو وزوجته وأولاده يتحدثون بأصوات عالية ، وكان  
المسافة بينهم مئات الأمتار ، وهم فى حجرة واحدة ، ولم يكنف  
الوحش بذلك ، بل تقمص أجساد أولاده فتعودوا على الصراخ  
فى حديثهم حتى وإن لم تكن هناك أية ضجة ، لدرجة أنه لم  
يكن يستطيع أن ينام الا بعد أن يثنى الوسادة على رأسه رغم  
حرارة الجو ، ليخفى طبلتى أذنيه عن هذا الوحش اللوح .

ويستهل السائق :

— يارب ، خلقت الانسان من طين ، حسنا ، لماذا خلقت  
معه الوحوش !

ثم يحدث شياله :

— هل هذا كثير على : منزل هادىء فقط ، فى اى مكان ..  
ولو فى القمر !

يضحك الشيال وقد اعتبر هذا الكلام مزحة . ثم يتساءل :

— قل لى يا اسطى ، لو عرضت لك فرصة للصعود الى  
القمر ، هل ترضى ؟

— وما المانع ؟ !

— القمر فيه وحوش !

باستنكار يصرخ السائق :

— من قال لك هذا الكلام الفارغ ؟ !

— رابته فى فيلم امريكى ، وحش نزل من القمر الى الارض  
وحطمها .

— مجنون الذى صنع هذا الفيلم .. ومخرف .

ثم يحدث نفسه :

— حتى ولو كان فى القمر مثل هذا الوحش ، فهو ارحم  
من الوحش الذى يطاردنى هنا فى الأرض .

يشعر بأن الكلام الى شياله يريحه ، لكنه يلمح فى الطريق  
رجلا يشير اليه بيده ، فيبطيء من سرعة السيارة ويطلب من  
النيال أن يعود الى الخلف مرة أخرى ، ليكسب من هذا العابر



ولو ثمن الدخان ، فالحياة نار ، وهو ما يرضى بشقته المزعجة  
القابعة أمام ورشة السكة الحديد حيث يسكن الوحش الا لأن  
أيجارها منخفض .

تقف السيارة بعد أن جاوزت الرجل بعدة أمتار ، فيسرع  
من خطاه وهو يبتسم للجملة التي قراها على مؤخرة السيارة ،  
ويسأل :

— ما حكاية فوستوك هذا !

تعود العروق في رقبة السائق لتنفّر ، انه الصاروخ الذي  
سيصعد الى القمر الذي يراه دائم البسمة في سمائه ، دائم  
الصمت والسكون .

يرى الدهشة مرتسمة على وجه الراكب فيخبره بأنه  
مواظب على قراءة الجريدة اليومية . . ويمضي يحدثه في السباسة  
عن أمريكا وروسيا ، ثم عن الانسان ، البنى آدم ، وصاروخه  
وطمعه ، وفقره . وعندما يتذكر مشكلته يصمت برهة ، ويرمق  
الوحش ، ثم بهز رأسه مؤكدا أمرا ما لنفسه :

— والله يا استاذ أنا يهيا لى أن القمر كله هدوء وليس به  
ضوضاء ولا ضجيج كما عندنا هنا .

يضحك الراكب ، وفي طنطا ينزل وهو يدعو للسائق بحياة  
هادئة .

تخرج السيارة من طنطا لتكمل رحلتها ، وهى تهز الطريق  
من سرعتها ، وتزعج الطيور فى أشجارها بصوتها الراعد ،  
وتثير من خلفها التراب ، وتسحب وراءها شريطا كريها من

الدخان الأسود الكثيف حجب القمر المرسوم على هيئة وجه  
انسان باسم ، ثم مضى يتسع ويتخلل رأسها أشكالا عجيبة ،  
بدت وكأنها أرقام خطت في الهواء . خمسة .. أربعة .. ثلاثة ..  
اثنين .. واحد .. الصفر . ثم كان الحادث . ، وانقلب وجه  
القمر الباسم من وسط الزهور !

وعندما يفيق السائق ، ويفتح عينيه ، وقد لفت رأسه  
بالشرائط ، يرى بجواره رجلين وامرأة في ملابس بيضاء ، ويبتسم  
للهدوء والصمت الذي يشمله . كان الوحش قد اختفى . ينظر  
الى وجهى الرجلين فيهما له أنهما يتحدثان .

كان أحد الطبيبين يقول للآخر :

— لقد حدث له ما كنت أخشاه !

وبالرغم من أن السائق كان يرى الطبيبين جيدا ، وبرى  
بوضوح تام حركة الشفاه ، إلا أنه لم يسمع أى كلمة ، ان  
ما حوله الصمت التام والهدوء الشامل .

يتساءل فى حيرة وقلق ، وهو لا يرى الوحش امامه :

— هل فوستوك وصل الى القمر ؟ !

## الوجه الآخر

كان يبغى أن يتنسم بعض الهواء في  
النافذة ، لكن الضجة الناتجة عن لعبة الحرب  
التي يمارسها الأولاد في الشارع ، دفعته  
الى أن يغلّق زجاج النافذة رغم حرارة  
الجو .

ينظر في ساعته ، عندما يكمل هذا العقرب النطاق خمس  
دورات كاملة ، ويقفز العقرب الكبير خمس قفزات ، يكون موعد  
عرض نشرة الأنباء المصورة في التليفزيون قد حان . يظل يرقب  
الساعة ، ويرثى لحال ذلك العقرب النطاق ، ما يقطعه في  
دورة كاملة لاهثة يقفزه العقرب الكبير في قفزة واحدة حاسمة ،  
بينما ذلك اللثيم الصغير لا يتحرك من مكانه الا قيد أنملة لا تلحظه  
العين العادية . ينظر بحسد الى ذلك العقرب الصغير العريض .  
يتنهد : والثلاثة في ساعتى !

تمتد يده تدير مفتاح الجهاز . ينتظر وهو يلوح بيده أمام وجهه ليحرك من الهواء الراكد ، لو بيدى الأمر لوجهت من التليفزيون مر العتاب الى هؤلاء الآباء الذين يهدون لأولادهم لعب الحرب . غير أن طرقا عنيفة تطرق أذنيه تجذبه من أفكاره ، وكان صوت صاحب لضجة غير متميزة قد بدأ يصدر عن الجهاز ، فيحرق بعينه مستعجلا ظهور الصورة حتى يعرف الحقيقة ، وتظهر .. باهتة أولا .. ثم تأخذ في الوضوح ، تهبط من أعلى الى أسفل كأن شيئا يثقلها ، ثم تعود لتصعد من أسفل الى أعلى وكأن روحها تفيض .. فينهض عابسا ويمد يده يحرك أحد الأذرار حتى سكنت الصورة مرغمة .

ويجلس في مواجهتها .

كانت سلسلة في نهايتها ، فينظر الى بطلها وهو ينتهى من القضاء على أعدائه : كم قتلت اليوم أيها الهمام من الرجال ؟ . مائة ؟ ألف ؟ الأولاد في الشارع يقلدونك ! .. وكان البطل قد استغرق في قبلة الختام مع البطلة ، فيبتسم له : أنت تقتل كل هؤلاء من أجل هذه القبلة ! ويا له من ثمن ! لكنه رغم ذلك يغوص في مقعده منسجما من منظر القبلة التي تنتهى عندها المسلسلة ، فيقول مودعا بطلها : الى اللقاء غدا ، حيث تقتل مائة رجل أو ألفا آخرين لتنال قبلة ثانية ، واتركنى لنشرة الأخبار أرها واسمها .

يشده صوت عراك آت مع المطبخ ، فينهض ليجد قطعه وقد قوست ظهرها ونفرت من شعرها ، شاهرة مخالبها في وجه كلبه الذى استولى على قطعة عظم . يضحك لكلبه ، على كل فائتمة تتقاتلان من أجل الطعام ! . ويلقى بقطعة عظم أخرى للقطعة ،

فيبتعد أحدهما عن الآخر ويعم السلام .. ويعود هو الى  
التليفزيون حيث كانت انبأؤه قد بدأت تتوالى .

يجلس امامه يسمع ويرى :

« الحرب تعود لتشتعل في دولة ... » .. وصورة طائرة  
تسقط محترقة .. فيسألها : كم من الرجال قتلت ؟ مائة ؟  
الف ؟ .. لكنك لن نالين قبلة !!

« صراع حتى الموت بين شطرى دولة ... » .. هابيل  
لماذا تقتل اخاك قابيل !

« احتمال نشوب حرب ذرية عالمية » .. « اعصار يجتاح  
استراليا » .. « تفجير قنبلة ذرية جديدة تحت الأرض » ..  
نجازاكي أين ذهبت أختك هيروشيما ؟ !

ينهض نائرا ، أين الأنباء الطيبة ؟ !

وتدير يده المؤشر الى قناة أخرى ، وكان بها فيلم كرتون ،  
قط يطارد فأرا ، بينما كلب يتربص للقط في مكان خفى . يغير  
القناة مزجرا : هل يشاهد قطى وكلبى هذا البرنامج ؟ ! ..  
ويدور المؤشر الى القناة الأخيرة ، المذيع يقدم لتمثيلية « الكترا » ..  
آه .. الحقذ الفظيع . انها لمؤامرة ، ان آلهة العذاب تطاردنى  
اليوم !

يغلق التليفزيون .

ويروح في الحجرة ذهابا ، سارفع شكوى الى اولى الأمر  
ضد واضعى هذه البرامج . ثم يعود جيئة ، سأعلنها حربا شعواء  
عليهم . يدق بقدمه على الأرض ، نعم حرب .. ثم دقة ثانية  
حرب .. ثم ثلاثة ورابعة وخامسة ، حرب حرب حرب ..

أمام المرأة يقف ، وينظر لنفسه مخرجاً لسانه ، حتى  
لسانك نطق بالحرب خمس مرات ! . يبادل خياله في المرأة  
نظرات السخرية والازدراء ، ثم يعود ليشعر بالاختناق من حرارة  
الجو . فيفتح زجاج النافذة ، لكن الضجة تهب عليه آتية من  
أسفل النافذة « طاخ . طاخ . طاز » .. « بم . بم . بم » .

يفلق النافذة ثانية ، يجلس على المقعد المواجه للمرأة ،  
فيلمح خياله يجلس أيضاً تخطر على باله فكرة غريبة يقولها  
لنفسه ، وهو يحرك يده أمام وجهه مستجدياً نسمة خفية :

هل ينعكس داخل المرأة صوته كما انعكست صورته الآن ؟ !  
هل كما يحدث للصورة خيال يحدث للصوت صدى ،  
داخل المرأة ؟ !

ان العلم لم يفت في ذلك !! . ويهم بالنهوض ليجرب الدخول  
الى الجانب الآخر للمرأة حيث خياله ، عله يعرف الجواب ..  
كلما تقدم هو الى المرأة ، تقدم خياله ليخرج منها .. لن نكون  
معا في نفس الجهة !

يصطدم بالمرأة ، ليفيق ليجد ذهنه يكرر قولة مدرسه في  
الابتدائي « ان المرأة سطح لامع » .

وينظر امامه ليجد خياله يرمقه مذهولاً ، ثم ضاحكاً في  
سخرية !

يجلس .. ويعود ليرمق خياله ، مازال يتابعه بنظرات  
الازدراء ، متهما إياه بالجنون والتخريف ، فيركن برأسه الى الخلف  
مستنداً الى مؤخرة المقعد ، ويقمض عينيه لثوان ، ثم يفتحهما

يبطء رامقا خياله في المرأة بحذر . ولكن .. يا للعجب !! انه ليس هناك !! .. هل تمكن من الخروج فيكون قد فعل ما فشلت فيه أنا ؟ !

يتلفت حوله في الحجرة .. هواء راكد .

يعود ويحملق اكثر في المرأة .. آه .. الحمد لله .. ها هو يعود . ولكن من هذا ؟ ! لست أنا ! .. وينظر الى نفسه بالبيجامة ، بينما ذلك الذي بالداخل يرتدى سروالا طويلا من القماش الأبيض الهفاهف . يتحسس ذقنه ، انه حليق ، اما الآخر فله لحية طويلة بيضاء مهيبة !! يدقق النظر الى وجهه ، نفس ملامح وجهي ، انه أنا .. نعم هذا أنا . ويتساءل : كيف استطاع الخيال ان يغير من نفسه كل ذلك بهذه السرعة ؟ ! .. ولكن قد يكون في مقدرة الخيال ان يفعل ما لا يستطيعه الانسان ، وعلى كل فهذا نصفى أنا .. لو لم اكن أنا لما كان هو .

يجلس يراقب الرجل الآخر باهتمام بالغ وشغف متزايد .

لقد انحنى ليثبت لوحة فوق حامل خشبي ، يحملها ويتجه الى باب الشقة !

ينادى عليه : انتظرني ، أين تذهب ؟

لكن ذا اللحية البيضاء المتشح بالبياض يتجه في اصرار الى الخارج ، وجهته الشارع .

وفي الشارع يتوقف الاولاد عن لعبة الحرب ، ليتجمعوا حول ذلك الرجل المضحك ، الذي يحمل لافتة بيضاء كبيرة عجيبة . ويقول ولد له شعر لزميل له ذى صوت أجش :

— هناك كلمة مكتوبة في ركن اللوحة ، هل تستطيع قراءتها ؟

يعجز زميله عن قراءتها ، ويقدر على تصويب مسدسه الى اللافثة ، مطلقا منه قطعة صغيرة من القلين هي قذيفته .. ثم ينفجرون جميعا في هتاف واحد :

— الابله .. الابله ..

يتحرك ذو الرداء الأبيض في بطء حاملا لافنته ، خطت كلمة « السلام » في ركن منها ، وعلى وجهه روحانية الأنبياء .

يتوقف الناس من حوله تاركين أعمالهم ، مؤجلين مجالتهم ، ليكونوا زفة كبيرة من العيون الدهشة ، وموكبا ضخما من الشفاه المزومة في شيء من الاستخفاف .. وبين أرجلهم اندست بعض الكلاب تشاركهم فرجتهم .

بمين صافية يمضي ناظرا امامه ، الى الأفق البعيد ، بين ضحكة ساخرة ، بين مصمصه شفاه متحسرة ، بين ضربة كفين متعجبة ، بين بسمة متفائلة .. تمضي قدماه .. تسبق القدم اليمنى اليسرى .. فتعود اليسرى لتسبق زميلتها .. والناس من حوله يملون فينصرفون لأعمالهم ، تاركينه لغيرهم يعيدون معه الكرة .

والعقرب النطاط في الساعة يدور دورات كثيرة ، والكبير يسرع في قفزاته ، والصغير اللثيم يدور ويدور .. وذو اللحية البيضاء المسترسلة يمضي بلافتته ، مارا بوجوه يبيض مرة ، ووجوه صفراء مرة أخرى . ناظرا الى عيون زرق أو سمر ، ساخرة ، ضاحكة ، باردة ، مجعدة . يقول لنفسه : لا يهم أى



قوم هؤلاء أو أى بلد هذه ، ساطوف العالم كله ، ان رسالتى  
للناس جميعا لبنى الانسان ، احفاد نوح ، حفيد آدم .

والهلال فى السماء يكتمل بدرا ، ليعود من جديد هلالا .

وتمر به سيارة فاخرة ، يطل صاحبها اليه ويقول  
للدين حوله :

— لا تلتفتوا الى هذا الرجل المجنون ، انه المسيح الدجال .

يتأثر البعض بهذه القولة ، والبعض لا يابھون ، ويتابعون  
الرجل .. وعقرب الثوانى يدور فوق زميله ، ويجبر الكبير على  
أن يقفز قفزة كلما دار هو دورة ، والكبير بالتالى يجبر الصغير  
العريض على الدوران خلفه .

تتغير الوجوه بوجوه سمر ، وتطل أم من شرفة منزلها  
اليه ، تنقل بصرها بين لافتته وبين أطفالها ، ثم تسرع ببسمة أمل  
اليه لتقدم له كوبا من عصير البرتقال ، يقبله شاكرا بينما  
تنهال على أذنيه طرقات ضحكة رجل ذى سيجار كبير أخفى  
دخانه الكثيف وجهه !

ويسقط نظره أمامه على رجل نحيف رث الملابس يركز  
عينيه على كوب العصير فيقدمه اليه ، وبسرعة يمد البائس يده  
ويخطف الكوب ويشربه فى لهفة ، دون أن ينطق بكلمة شكر  
واحدة .

وأوراق الأشجار تجف .. ثم تخضر .

وفى بلاد بيوتها عالية ، يلقونه بالبيض فى شارع ..  
ويرحبون به فى شارع آخر .. وتنهال عليه الطماطم الفاسدة

فى حى آخر . ويقول مبتسما فى جلد : كل نبى مضطهد فى قومه ،  
وانا قومى سكان هذه الأرض ، لأنها ارضى والى ترابها اعود ..  
لكن احزنه تلك البقعة التى علقت بلافتته . ويظل بينهم حتى  
يؤمنوا به وبرسالته .

والحب فى الأرض ينبت زرعاً ، ليطرح حبا .

وكثيرون فى كل مكان تركوا اعمالهم وتبعوه ، حاملين لافتات  
مشابهة .. ويظنون سائرين من خلفه ، حتى شعروا بالجوع ،  
وصرخوا فى وجهه :

— جعنا يا معلم !

يبكى بالدموع ثم يلتفت اليهم :

— قد اكون معلمكم ، ولكنى لست المسيح ، المسيح بخمسة  
ارغفة اطعم الألوف ، أما انا فحتى خمسة الأرغفة لا املكها .

ينفضون من حوله ، فيهدف فيهم :

— يا ضعيفى الايمان ، عودوا الى آلاتكم لتطحنكم ..

ويحزن عندما يأتبه الجواب :

— ولكن الآلة تستطيع صنع آلاف الأرغفة فى دقائق قليلة .

يبكى ، كثيرا ، ويظل يحاورهم ويناقشهم ، حتى يراهم  
من خلال دموعه يبكون ويركعون عند قدميه ، قائلين له :  
اخطانا ، اعمتنا الشهوات ، وافسدنا حب التملك . وركع معهم ،  
وطلب منهم أن يصلوا معه الى خالق آدم ، الى خالق نوح .

وتأتى لحظة الوداع .. ثم لحظة العودة .. فيقول الآن

أدبت رسالتى ، الآن أعود الى البيت مطمئنا راضيا مستريح  
البال .

عندما يدخل الشارع الذى به منزله ، كانت لافتته قد  
امتلات بكلمة : « السلام » خطت بجميع لغات بنى البشر .

وكان أولاد الحى يلعبون .. أحدهم يقوم بدور طبيب ومعه  
عدة فتيات يقمن بدور الممرضات ، وولد كبير يقوم بدور المدرس  
لأقرانه الصغار ، وآخرون أحضروا آلات موسيقية قاموا بعزف  
مقطوعات جميلة ..

يتعجب ذو اللحية البيضاء ، أنهم هم ! ولكن أين ذهبت  
لعبهم القديمة ؟ ينظر جهة سلة المهملات ليجدها مملوءة بلعب  
المسدسات والبنادق . ويتسمم للعبارة التقليدية التى تعلقها  
البلدية على كل سلة مهملات :

« حافظوا على نظافة مدينتكم » .

عندما يلمح الأولاد يسرعون ويحيطون به مهللين ..

ويسال الولد ذو الشعر النافر زميله ذا الصوت الأجش :

— هل تستطيع قراءة المكتوب على اللوحة ؟

يجيبه على الفور وبلا تردد :

— انها كلمة السلام بجميع لغات العالم .

وأخيرا يدخل منزله ، وقد امتلأ الشارع بالناس ، يحملون  
أفصان الزيتون ، رافعين رايات السلام ..

وعندما يدخل ذو اللحية المتشحح بالبياض الشقة ، يقع  
نظره أول ما يقع على الكرسي المواجه للمرأة ، فيجد أن الرجل

مازال يجلس هناك وقد أخذته سنة نوم ، وعلى وجهه ملامح الرضا .

يبتسم مسرورا عندما يرى أسفل قدمي الرجل ، الكلب الضخم وقد نام هادئا ويجواره القطعة ، وقد ركنت برأسها على ظهر الكلب . يتجه الى جهاز التليفزيون وبشغله فتنهادي اليه مع النسمات اللطيفة التي تملأ جو الغرفة أغنية حب هادئة ، يدير المؤشر الى القناة الأخرى فيجد المديع يقدم تمثيلية بعنوان : « لغة الزهور » .. وفي القناة الأخيرة يجد ندوة يشترك فيها كبار رجال الفقه والعلماء عنوانها : « الأرض دولة واحدة » .

يبتسم في دعة .. ثم يفلق الجهاز ، وهو يقول لنفسه : الآن اطمأنت نفسي ويمكنني العودة الى حيث كنت .

بقدم ثابتة يتجه ذو اللحية البيضاء المتشح في بياض هففاف الى المرأة .. حيث يخترق حاجزها اللامع .. داخلا الى الوجه الآخر .. ثم يلتفت الى الخلف ، الى الرجل النائم على الكرسي المواجه للمرأة ، وابتسم في طيبة سائلا نفسه :

— متى يستيقظ ؟ ! متى يستيقظ ؟ !

ويستيقظ الرجل فزعا على صوت ضجة كبيرة آتية من المطبخ . وبنصت ، انه كلبه وانها قطته . ينظر أسفل قدميه ، انهما ليسا هنا ! . ينظر الى المرأة فيجد خياله .

يجري جهة المرأة مقتربا منها ، فيقترب منه خياله .. يحرك رأسه يمينا ويسارا ، فيفعل مثله خياله .. فيهز رأسه في حيرة ، ويدمك جبهته في دهشة .. لكن صوت عراك قطته

مع كلبه يزعجه ، فيتجه الى المطبخ ليجد انهما عادا للشجار مرة ثانية ، وقد استولى الكلب على قطعة العظم من امام القطة .. يضربهما ..

ويعود مسرعا الى المرأة ، ينظر داخلها . يقترب أكثر وأكثر ، حتى يكاد وجهه يلامس سطحها ، فترسم أنفاسه سحابة بيضاء من بخار الماء على وجه المرأة ، ويجد يده ترتفع ليخط بأصبع خلال السحابة البيضاء كلمة : « السلام » .. لكن حرارة الجو في الغرفة تسرع بإزالة هذا الندى .

يقول لنفسه ، رغم هذا لن أياس ، سأكون انسانا عمليا ، سأكتب عدة مقالات وأرسلها الى جميع وسائل الاعلام في كل بلاد الدنيا .

وفعلا .. يتجه الى مكتبه ، ويخرج ورقة بيضاء كبيرة ، ويمسك بقلمه ، ويبدأ في قدح زناد فكره ، ليختار الكلمات المناسبة لمقاله .

تقع عيناه على عدده دوسيهات كان قد أحضرها من مقر عمله ليتم عملا ناقصا مطلوبا منه في اليوم التالي ، فتمتد يده الى أول دوسيه ويقول في نفسه : سأنهى من هذه الدوسيهات أولا ، ثم أشرع في كتابة مقالى .

عند منتصف الليل ينتهى من الدوسيهات ، ويجد نفسه مجهدا فيقول : لا بأس من تأجيل كتابة المقال الليلة ، ولكن غدا بكل تأكيد سأقوم بذلك .

في طريقه الى سريره تمتد يده لتطفئ النور ، فيعم الحجرة ظلام دامس .. الا من ضوء خافت لنجم في السماء ..

## الرصيد

صوت أمي يهز أذني ! « يا ولدي البرد  
قارس ، والسهر مؤذ » . انتظر الأوتوييس .  
نسمة باردة تلفح وجهي . لا أرى أحدا في  
الطريق . أتكمش في نفسي . المنزل الذي  
أقف تحته تصدر عنه ضحكات عابثة  
متداخلة . أصدقائي الآن اكتمل شملهم ،  
قابلتهم صباح اليوم في البنك ، ذهبوا مثلي  
ليسحبوا مبلغا من المال ، وغم الزحام  
الشديد في البنك فانهم تحدثوا معي .

كنت نويت قضاء هذه الليلة نائما . أخبرت أصحابي بأنني  
لن أغادر المنزل ، إلا أنني وجدت نفسي - والساعة جاوزت  
الحادية عشرة - أرتدى ملابسى واهبط الى الشارع .

اشمل سيجارة . الأوتوبيس يقترب . البقى بالسيجارة ،  
اقترب من طرف الرصيف ، الأوتوبيس يمرق من أمامي ، الهواء  
البارد يضرب وجهي بعنف ، لحظة واحدة لو وقفها لركبت ..  
رغم الزحام الشديد في البنك فانهم تحدثوا معي ، قالوا لي :

— تعال الليلة ، سنسهر معا ، نلعب ونشرب ، البرد يحب  
الشراب ، والشراب يجلب الفرفشة ، كل سنة وانت طيب ! .

اشير للأوتوبيس التالي ، يقف .. يسارع السائق بالمسير  
قبل انقضاء اللحظة ، اكاد انكفيء على وجهي ، انظر للسائق  
في هتاف .. يقول لي :

— لا تعمل يا استاذ ، كل سنة وانت طيب ، تماسك ..  
عيناه تتركان الطريق أمامه ، تتفحصني من شعر رأسي الى  
رباط حذائي .. أصدقائي الآن يشربون ، قلت لهم :

— لا تنتظروني ، لن اخرج الليلة .

قالوا لي :

— المجنون فقط لا يرضخ لرأى المجموع ، أنت كالشريك  
المخالف ، لماذا اذن تسحب هذه النقود من البنك ؟ .

يلفظني الأوتوبيس في شارع ٢٦ يوليو ، يعود السائق  
ليهتف :

— تماسك يا استاذ ، كل سنة وانت طيب .

لا أحب الزحام ..

— ولكن هذه ليست ككل ليلة .

هكذا حاولوا اقناعى :

— المغفل فقط يمضى هذه الليلة فى السرير !!

السائق قال لى :

— كل سنة وانت طيب .

لكنه اضاف :

— تماسك يا استاذ .

لن اتوجه لأصدقائى ، نويت ان اقيم منفردا ، وان اتزك  
خط السير تحدده قدمائى .. اتحسس النقود فى جيبى ، كنت  
متلهفا الى معرفة : كم تبقى لى من رصيد فى البنك ؟ . كل  
عام اسحب مبلغا ، ولم اودع غيره مطلقا ، لم يكن بإمكانى ذلك !!

— مجموعة من الفتيان يسرون خلفى ، يهللون بأعلى  
صوتهم :

— العبيط ، العبيط ..

حتى اصابعهم تشير نحوى ، ان كانوا عشرة فهناك عشر  
اصابع تشير الى ظهري . لن أعيرهم التفاتا ، ان شعروا انى  
مفتاظ فسيزيدون من صراخهم ، لن يتركونى .. تصدق  
فراستى ، يتعبون ، ينصرفون .. ألكأ أمام واجهة محل مضاء  
أتلقت اليهم من جانب عينى متظاهرا بمراقبة الواجهة ، هم  
تلاميذ ولا ريب ، خائبون ، كل منهم يطالب والده بمصروف  
الصباح ، عددهم أحد عشر تلميذا ، اذن فقد كانت احدى عشرة  
أصبعاً تخترقنى من الخلف ، لا بل اثنتا عشرة ، فهذا القصير  
له أصبع يشير به ، وله لسان يخرج به أيضا !



انظر أمامى ، الواجهة مليئة بالأحذية ، من جميع الأصناف .  
رجالى وحريمى وأولاد .. ويفط كثيرة : « أسعار فى متناول  
الجميع .. سعر موحد لآى زوج » .. وقطن أبيض على الزجاج  
يقول :

— كل سنة وأنت طيب ..

مدير البنك قال لى :

— محال أن أخبرك كم بقى من رصيدك ، الزحام شديد ،  
أستطيع أن أخبرك عن الأموال التى سحبتها فقط ، كل سنة  
وأنت طيب .

فى الزحام لا ينجو الإنسان من صدمات الآخرين به . نويت  
أن أسير محاذرا ، سأعمل حسابا لذلك القادم على يسارى  
يترنح . أن أدعه يصدم بى ، فعلا أقلت ، ولكن ليصدمنى  
القادم عن يمينى ، وليقول لى :

— كل سنة وأنت طيب ..

الصدمة تؤلنى ، وهو قد سار وابتعد عنى ، كنت أنوى  
أن أرد عليه بعدة كلمات .. فى الصباح قلت لمدير البنك :

— بحسبة بسيطة ، وبدون معونتك يا سيادة المدير ،  
أستطيع أن أحسب المبالغ التى سحبتها .. المهم كم تبقى ؟

أصدقائى الآن فى عز سهرتهم ، قلت لهم :

— أبى يشرب لينسى مضايقات أمى له ، لماذا تشربون  
أنتم ؟ ! .

— لأننا نريد أن نمرح ..

— ولكن الخمر ستسكركم ، وستنسبون انكم تمرحون ..  
والذى ينسى مضايقات أمى بالخمر ..

صرخوا فى :

— لكنها ليلة فى العام ، ليلة واحدة !

وتركونى وهم يقولون :

— شاور نفسك ، وكل سنة وانت طيب .

اجبت مدير البنك :

— المهم .. كم تبقى ؟ ! كم ؟ .

حتما هذا لا يتوى بى خيرا ، يضع على راسه طرطورا ،  
يريد أن يضعه على رأسى ، سأرفض بكل شدة ، سأجرى  
مبتعدا ان لزم الأمر .. الفم الذى تحت الطرطور يتحرك :

— الشارع ملء بالناس ، والنواصى ملفمة برجال  
الشرطة ، وان جريت سنجرى خلفك صارخين : امسك حرامى ،  
إمسك حرامى .

يهددنى !

لحظة الخطر تحدث المفاضلة : ان اكون طرطورا خير من ان  
اكون حراميا .

أحدهم يهمس فى أذنى :

— ستحتاج الى جهد ووقت وعلبة سجائر ، كي تثبت  
لرجال الشرطة الذين يقفون على النواصي انك لست لصا .

لحظة الخطر يفكر العقل بسرعة : فرق كبير أن اكون أنا  
نفسى طرطورا ، وبين أن يوضع فوق رأسى طرطور للحظة  
عابرة .. أسلمه رأسى اذن . الفم الذى تحت الطرطور يقول :

— يشترط أن يكون شعرك نظيفا حتى أقلدك إياه .

يفحص شعرى ، يهتف محببا وهو يضع الطرطور على  
رأسى :

— أبشر .. أبشر .

الشارع كله يقفز راقصا :

كل سنة وانت طيب ..

الصواريخ تنطلق ، أصوات من المنازل تهلل فى صخب :

— كل سنة وانت طيب ..

الجميع يرددون :

— كل سنة وانت طيب ، كل سنة وانت طيب .

الثغرات المضيئة فى المنازل تطفأ ، بعد لحظات ستضاء ،  
الآن صديقى سعد يقبل زوجته ، صديقى أنور يقبل عشيقته ،  
أمى ترقد وحيدة فى المنزل .. ومن الآن وحتى تضاء الأنوار  
مرة أخرى سأضع يدي على محفظتى ، أمى تحذرني دائما من  
الزحام والنشالين ، ومن الظلام والعفاريث ، العفاريث صاحبة  
الأقدام المسلوخة .

ولم يكن لبس الطرطور هو السبب ، كانت الساعة الثانية عشرة تماما ، والجميع ينصافحون ، تنتقل اليد من يد لأخرى صارخة :

— كل سنة وأنت طيب ..

الأنوار نضاء .. أصدقائي الآن يصافح أحدهم الآخر ..  
بجوار الحائط توجد لمة من عدة أشخاص ، لابد أن أعرف السبب ، أحدهم يمسك براديو ترانزستور ، المدياع يقول :

— وقد اتفق الطرفان المتحاربان على هدنة مدتها أربعة وعشرون ساعة بمناسبة العام الجديد .

أحدهم يسكت المدياع . لابد أن أعرف السبب . يضحكون .  
اندرس بينهم . يضحكون . بجانب الحائط انسان يتقيأ ..  
مدير البنك قال لى :

— لا أضمن ان كان رصيدك كبيرا أو صغيرا من المؤكد انه يتناقص عاما بعد عام !

الشخص الذى يتقيأ أصحابه يكملون ضحكاتهم .. المدير اكمل كلامه همسا :

— مادام ليس باستطاعتك أن تضيف اليه شيئا !

الأصوات من حولى تقول للذى يتقيأ :

— بدأ عامه سعيدا حقا !

يضحكون :

- أفرغ كل ما في جوفه ..
- ... بإمكانك الآن شرب المزيد !
- يضحكون :
- أكل في العام الماضي ..
- ... وتقياً في العام الحالي ..
- يفرقون في الضحك .. اقول لنفسي :
- ما داموا يضحكون جميعاً فلا بد أن الأمر مضحك فعلاً .
- قلت لأصدقائي في الصباح :
- لا افهم معنى لمرحكم ؟ !
- في البنك قيل لى قبيل انصرافى :
- سيأتى يوم ينفد فيه كل رصيدك ، وتبحث عن بنك آخر غيرنا ..
- يقولون للذى يتقياً :
- ولا يهمك ، كل سنة وأنت طيب ..
- يضحكون .... وأنا أضحك .

## بلا حكمة

عرف الجميع تفاصيل الحادث ، ومع ذلك لم ينصرفوا ، ظلوا واقفا حول الجثة ، ينظرون اليها ، رغم الدماء المحيطة بها ، رغم التشويه الذى حدث بالجمجمة ، رغم محاولة رجال الشرطة لابعادهم .. وان انصرف احدهم وقف مكانه عشرة ..

فى ميدان العتبة وقع الحادث ، فتجمع حوله هذا الجمع الكبير من الناس ، رجال كبار وشباب ، واولاد صغار ونساء ، من الصعيد او من الدلتا او من القاهرة ، بل وحتى بعض السائحين .

والجميع عرفوا التفاصيل كلها ، رجل مات بطريقة ما ، وبكيفية غير مقصودة ،

وفى حادث لم يدبره انسان ، وتحت تأثير  
ظروف لا تخل لبنى آدم فيها ..

والجمع يجنب المارة ، فيدفعهم  
القصاصول الى معرفة ما الخير ؟ ما سر  
الزحام ؟

يسأل رجل معمم عن الحكاية ويعرفها ، فيضرب كفا  
بكف وهو يقول :

- لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

ثم يهز راسه يؤكد حقيقة لنفسه :

- صحيح الاعمار بيد الله .

يشرح أفندى مخترم من الواقفين - توحى الشعيرات البيض  
في رأسه بالوقتار والهيبة - يشرح الأمر لسائله ، ولما بزي  
الحزن مرتسما على وجهه ، يقول له مهونا الأمر :

- نصيب !

وكانما وجد في هذه الكلمة التفسير المطلوب والعزاء ،  
فقد خف الحزن المرتسم على وجهه ، وقال مؤمنا :

- حقا .. قدر أعمى .

أما الشيخ الذى عرف بالحادث على عجل ، أخذ يهز  
رأسه وهو يستمع الى باقى التفاصيل ، وينصرف والدماغ قد  
فرت من وجهه :

- انا لله واننا اليه راجعون .

ثم يقول لنفسه وقد بعد ، مجيبا على عدد من الأسئلة التي هاجمته ، والتي لم يجد لها جوابا :

— قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا .

ومن تحت القفة ، أراد الرجل الصعيدي أن يسأل عن الترام الذاهب الى ميدان السيدة ، ومن خلفه زوجته وهي تخفى الجزء الأكبر من وجهها عن فضول الرجال ، مما ركوا الأنظار على عينيها وعلى الكحل الذي في الرموش ، يعرف رقم الترام ، ومكان محطته ، ثم تسأله زوجته عن سبب هذه اللمة ، فينقل بدوره السؤال الى مجيبه السابق ، ويعود لينقل الإجابة الى زوجته ، رغم تأكده من أنها سمعتها معه ، ويرى أن من واجبه أن يعلق على الحادث فيقول :

— المقدر على الجبين لازم تشوفه العين .

• وترجح زوجته أن للمأسوف على شبابه أولادا أو زوجة أناسا يعرفونهم ، وأنهم الآن في انتظاره . ويشد انتباهها تلك الريفية التي كانت سائرة في الجانب الآخر ، وخطخال فضي يلمع في قدميها . لكنها تعود الى الحادث ثانية ، وتنظر الى اليد اليسرى للرجل الميت : « الدبلة » في أصبعه .. متزوج اذن !

تهتز المرأة ، وتعلق على ذلك بمضمصة خزينة من شفتيها !

تعرف السيدة الأنيقة بالحادث ، ويقول محدثها معلقا :

— لو انحرف مترا واحدا عن خط سيره ، لكان الآن حيا يرزق .

تقيس السيدة الأنيقة مسافة المتر بنظرها ، وتدرك ان هذا الكلام صحيح ، فلا تجد ما تنطق به الا كلمة واحدة :



## — حفظ !

المصور الصحفي ينهمك في تصوير الحادث ، وتشغله  
الصور عن السؤال أو عن التعليق ، وان كان ضايقه اقتراب  
الناس من ول القتيل حتى يظهروا في الصور التي يلتقطها .

ولا يقدر الأفندي السائر متعجلا على مقاومة فضوله ،  
فيخرج عن طريقه ، ويشق لنفسه طريقا وسط الزحام ، حتى  
يصل الى حيث الجثة على الأرض ، ويصدمه ما يرى ، انه يعرف  
القتيل ، يجلس معه على المقهى احيانا ، لا اله الا الله .. والضابط  
يسأل ان كان أحد الناس يعرف « المرحوم » .. ويهم بأن يدلى  
بما عنده ، غير انه يتذكر انه على موعد هام بعد دقائق .  
والتحقيق سيؤخره ، فيسكت .. لكنه يتساءل في عقله « لكن  
أولاده يحتاجون اليه والى خنانه ، عيال صغار بلا سند » .  
يهتز انفعالا ، ويقول عاجزا عن تفسير ما يرى :

## — حكمة ربنا !

كان القس يريد ان يشتري بعض الهدايا الرخيصة يعود  
بها الى قريته ، حيث أولاده وكنيسته في انتظاره ، يرى الميت ،  
فيمسك لحيته في أسى :

— صحيح ، كما جاء في الكتاب ، من التراب والى التراب  
نعود .

ويسمعه الرجل الواقف بجواره ، فيؤكد على كلامه ..  
ويجدها القس فرصته ليوضح رايه أكثر فيكمل :

— حياة الانسان بخار ماء يكبر ثم يضمحل .

— تمام ، حزنى على من ينتظره من احبائه .

يقطب القسيس وينصرف مترحما ، وفي ذهنه اولاده  
وكنيستته .

أما ابن البلد فقد كان يقص نادرته ربما للمرة المائة :  
- يا سلام يا جدعان ، كنت سائرا وراءه بينى وبينه  
مسافة لا تزيد عن المتر .

وتحمر كفاه من كثرة صفق أحدهما بالآخرى ، ويقول له  
السامعون :

- قلدر !

- كون ، ومنظمه سيدك ..

عندما لا يجيب أحد الضابط ، يمد يده فى جيوب القليل  
يبحث عن بطاقته فيجدها ، ومن لونها يعرف الجميع أنها  
بطاقة عائلية ، تلوا المصصات من الدائرة الادمية ، ويبدو الكثر  
على وجه الضابط وهو يقلب صفحات البطاقة .

له زوجة شابة ، مولده الأول اسمه عادل ، والثانى  
مباس ، والثالثة عواطف ، والرابع عزيز .. وبعد ذلك أوراق  
بيضاء لا أسماء فيها ..

تهتف المرأة :

- مسكينة زوجته ، شابة ترملت صغيرة !!

يهتف الأفندى الذى يعرفه :

- واولاده ، من يعولهم ومن يعوضهم حنانه ؟ !

ثم يصرخ قائلا :

- يا الهى ، لماذا هو بالذات ؟  
يهزه جاره :
- يا استاذ اتق الله ، حكمته يا ابنى حكمته .
- ألم يكن من الأفضل ان يموت بدلا منه انسان عاطل  
او شرير ، او حتى مريض يعذبه المرض !  
وينصرف على عجل الى موعدة ..
- شابان احدهما شغوف الى معرفة سر هذه اللعة ، والاخر  
لا يريد ان يعرف ، فيقف مكانه فى انتظار صاحبه ، الذى  
يعود حزينا يقص الخبر متأثرا ، فيقول له صاحبه :
- واحد مات ، ماذا فى ذلك ؟ وكل يوم يموت آلاف الناس !  
- انت لا قلب لك ..
- كيف ذلك ؟ ! ولماذا لا تحزن على المئات الذين يموتون  
كل يوم فى الحروب والمجاعات ؟ !  
يسكت صاحبه ، فينهال عليه :
- تكلم . قل لى لماذا يموتون ، وما ذنبهم ؟
- سيدة قوية الملاحظة سمعت اسماء الأولاد ، عادل وعباس  
وعواطف وعزيز ، تقول لجارها مشيرة الى الميت :
- يبدو أنه مغرم بحرف العين ، كل اولاده تبدأ اسمائهم  
بحرف العين .
- يرد جارها الظريف مجاريا اياها فى قوة الملاحظة :
- ومات فى ميدان يبدأ اسمه بحرف العين ايضا ، العتبة .

يكاد أن يبتسم ، وتكاد أن تبتسم ، ولكنهما يخجلان ،  
ويرسمان على وجهيهما حزنا واضحا .

يفطى الناس الرجل بأوراق الصحف ، ويقول أحدهم  
في ألم :

— غدا يصبح حديث الصحف .

تأتى سيارة الاسعاف ، يفسح الناس لها الطريق ، رجال  
الاسعاف لا يبدو عليهم أى تأثر ، هذه مهنتهم ، نقل الموتى ..  
ينقلونه ويضعونه فى السيارة ، وتسير وهى تدق أجراسها ..  
دقات رنانة ولحوقة ..

المحقق يظل يسأل ، ويسأل ، ويدون ملاحظاته ، ويشمشمشم  
هنا وهناك ، ويملا الكثير من الورق الأبيض بالأسئلة والأجوبة ،  
وينتهى حيث كان فكر فى البداية ، فينتهى الصفحات البيضاء  
التي سودها الحبر :

« الحادث قضاء وقدر » .

يخلو الميدان ، الا من الحركة العادية ..

بعد ساعة يمر عدد من الناس ، لا يلتفت نظرتهم منظر الدم  
على الأرض .. ويمر غيرهم ويرونه ولكن منظره لا يؤثر فيهم ..  
والذى لاحظته وسأل زميله :

— ترى ما سبب هذه الدماء ؟ دماء من هذه ؟ .

— اكيد .. دماء دجاجة ذبحت ..

## أشجار الدخان . . و « ماتسودا » المجنون

---

- الصوت يدوى ، تنفجر الأحجار .
- الصمت الوحشي ، الحافل بالأسرار .
- شبت في كل الأشياء النار .
- وامتد عمودا من رعب ودخان .
- امتد ذراع الصاعقة الجبار .

ويقولون عني أنى مجنون !!

ويقول أهل القرية : « ماتسودا ، أنت فلاح ياباني عبيط » .

ويهمس خطيب إبتنى لها : « أتر طول العمر على عقل الأب  
ماتسودا » !

نظرت خلفي . .

فاذا شجرة من الدخان الأبيض الكثيف ترتفع الى السماء ،  
عمودا من الرعب ، ذراع صاعقة جبار .. خلت السماء من الهواء  
المتحرك ، بدأ الدخان الأبيض يخضب بلون اللهب الأحمر ،  
بلدى العزيز يحترق ، فى غمضة عين يحترق ! . حملت ابنتى  
واردت العودة . منعونى .. لكن : زوجي وأمى وطفلى الرضيع  
هناك ! . ولكنهم أصروا على منى من العودة .. ارتفعت شجرة  
الدخان .. وهربت الطائرة الحديدية !!

وعام ١٩٤٥ استوطنت هذه القرية - نفس عام شجرة  
الدخان الخانق - عاملنى الفلاحون بعطف ، احترموا صمتى .  
عاملوا ابنتى برقة . دفنت أحزاني فى الفلاحة . أصبحت فلاحا  
أكثر من أهل القرية الأصليين . أصبحت مائسودا الفلاح ،  
المعجوز مائسودا .

ابنتى الخبيبة الوحيدة تكبر بسرعة ، كزهرة جميلة ، رقيقة  
كنسمة الربيع ، أدركت ذلك عندما بدأ شبان القرية يتهافون  
عليها . جلست الساعات الطويلة أمامها . ملأت على الكوخ  
سعادة وهناء .

### \* الصوت يدوى ، تنفجر الأحجار .

- أبى ، هل ستذهب غدا الى هيروشيما ؟
- نعم يا بنيتى ، فهذا موعد زيارتي الأسبوعية .
- تزور أقاربنا هناك ؟
- أقاربنا وأصدقاءنا .
- لماذا يزوروننا ؟

- ليس بإمكانهم ذلك يا زهرتى الجميلة .
- اذن خذنى معك ازرهم .
- يوما ما ستأتين معى .
- قلت لخطيب ابنتى :
- اخترتك خطيبا لوحدتى لأنك تقرأ الصحف .
- قال بأدبه المحبب :
- سأحضر كل مساء أقرأ لك الجريدة .
- فى المساء الأول قرأ لى العنوان الرئيسى : « الطائرات الأمريكية تضرب هانوى بالقنابل » .
- صعقت . شجرة الدخان مرة أخرى !!
- فى المساء الثانى قرأ لى : « الطائرات الأمريكية تلقى قنابل النابالم الحاوقة على مدن فيتنام الشمالية » .
- فى المساء الثالث خطفت منه الجريدة ، لأرى صورة طفل فيتنامى فقد عينه اليسرى ، وشوهت الحروق نصف جسده الأيسر ، وأمه المسكينة تحتضنه فى لوعة . كان النظر ليس غريبا على !
- فى المساء الرابع قلت لخطيب ابنتى :
- هل تعرف أن جسم الانسان عندما يحترق يتصاعد منه دخان ؟؟
- دهش لكنه إجاب :

– نعم ... قليلا ..

– فلو أحرقنا ربع مليون انسان ، تكونت منهم شجرة دخان هائلة ؟ !!

نظر لى بعدم فهم .

وفى المساء الخامس قرا لى : « نبأ زيارة غواصة ذرية أمريكية لموانى اليابان » .

✽ الصوت يدوى ، تنفجر الأحجار .

✽ الصمت الوحشى ، الحافل بالأسرار .

فى المساء قبل أن انام قضيت وقتا أصلى ، وقتا قصيرا ،  
الالهة لا تطلب صلوات طويلة . الانسان يتطلب جهدا كبيرا حتى  
يفهم ، يلزمه وقتا طويلا حتى يعقل . النيران على الأرض هى  
الجدور ، الدخان المتصاعد الى السماء هو الساق ، يرداد الدخان  
فتظهر الشجرة ، الشجرة الخائفة .

فى اليوم التالى قلت لخطيب ابنتى :

– عام ١٩٤٥ جاءت طائرة حديدية ، أحرقت مدينتى  
الحبيبة : هيروشىما العزيزة ، أحرقت ولدى وزوجى وأمى  
وأصدقائى ، منهم جميعا تكونت شجرة الدخان ، لو كنت أنا فى  
المدينة لحظتها لكنت احدى أوراقها .

شجرة الدخان الجديدة فى فيتنام بدأت جذورها تنمو ،  
ان لم نطفىء النيران هناك سريعا فستظهر الشجرة ، فجأة  
نراها ، ونحن لاهون عنها داخل بيوتنا .



قلت لابنتي :

— غدا كعادتي الأسبوعية ، سأوجه الى هيروشيما ،  
وستأتين معي .

فرحت الزهرة الجميلة . قلت لخطيبها :

— وانت أيضا ستأتين معي .

قبل يدي امتنانا . قلت له :

— لأن العالم صغير ، يجب أن نبذل جهدنا لاطفاء جلدور  
شجرة الدخان الجديدة !!

نظر الوالد الى مصعوقا ، تبادل النظرات مع ابنتي ، ماذا  
جري للأب ماتسودا ؟ ! يبدو انه كبير في العمر ؟ ! يقول كلاما  
غير مفهوم !!

✳ شبت في كل الأشياء النار .

بهزت الزهرة الجميلة وهتفت :

— هيروشيما كم هي رائعة وجميلة يا ابني !!

قلت :

— منذ أكثر من ثلاثين سنة ، وحتى عام ١٩٤٥ كانت  
هناك هيروشيما أخرى غير هذه ، فيها ولدت .

انشغلت عني بهيروشيما الجديدة وبخطيبها . قلت :

— الا تريدان زيارة أقاربك ؟

— حالا الآن .

✽ وشبت في كل الأشياء النار .

✽ وامتد عمود من رعب ودخان ..

.. امتد ذراع الساعة الجبار ..

دهشت الزهرة الجميلة ، وقالت محتجة :

— قلت سنزور أقاربنا يا ابني ، فأذا بك محضرنا الى  
هذا المكان !

— هذا هو النصب التذكارى لربع مليون يابانى قتلوا في  
٦ أغسطس ١٩٤٥ م .

— واين أقاربنا ؟ !

— اخوك الرضيع وأمك وجدتك ، ثلاثة اشخاص من الربع  
مليون انسان !

اهتزت المسكينة ، استندت على ذراع خطيبها . قلت له :

— اقرأ يا ولدى المكتوب على هذا النصب .

قرا : « استريحوا في سلام قلن نسمح بتكرار هذه الفلطة  
مرة أخرى » .

قلت لهما :

— من هذا المكان صعدت شجرة الدخان الخانق الى اعلى ،  
الى السماء . حاملة ارواح ربع مليون انسان ..

عادا ينظران الى بعضهما البعض مرة اخرى طلبت من ابنتي  
ان تكرر ما قرأه خطيبها ، فقالت :

« استريحوا في سلام ، فلن نسمح بتكرار هذه الغلظة  
مرة أخرى » .

— علينا الا نسمح بتكرار هذه الغلظة مرة أخرى .

ويقولون عني اني مجنون ، عجوز مخرف ..

قلت لزهري الجميلة وخطيبها :

— لقد دبرت الأمر منذ اسابيع حتى يصلهم صوتي .

لم يفهما شيئا اخذتهما الى مكتب جريدة امريكية ، طعنت  
انها واسعة الانتشار في بلدها . قلت لندوبها :

— اريد ان انشر اعلانا في جريدتكم وبلغتكم .

تسأل المندوب :

— قريب لك فقد في امريكا ؟؟

— الأمر أخطر من ذلك ، سامليك الاعلان وانت تترجمه  
الى الانجليزية .

أخذت أمليه : « انا فلاح ياباني ، أحب الأرض والانسان  
والطيور ، أحب على الأخص الحمام وأكره العقارب ، وأكره في  
الناس من يصيد الحمام ... »

قاطعتني ابنتي :

— ولكن يا أبى ، من أين لك بأجر هذا الاعلان ؟ !

– من مال زفافك يا زهرتي الجميلة .

صرخ الخطيب :

– لكن ذلك سيؤجل زفافنا !!

– استطيع ان اقتصد غيره في ثلاث سنوات .

كان الاتهام هذه المرة واضحا ، نظرات الشاب قالت لى :  
« ماتسودا عجوز يابانى مخرف » .

قلت له :

– هناك فى نهاية هذا الشارع مستشفى كبير ، تحفة فى  
الجمال المعمارى ، لكن فى داخله ذكرى قاسية ، قسوة قلوب  
زارمى اشجار الدخان ، هياكل بشرية ، عشرات المشوهين ،  
من لم يحترق ليوضع فى النصب ، يعيش هناك .. ينتظر الموت .  
فقط ينتظر الموت ، فقط ينتظر الموت ..

اكملت رسالتى وختمتها : « .... فلنكره معا زارمى  
اشجار الدخان ولنطردهم من على الأرض » .

ثم طلبت من مندوب الجريدة ان يضع لها عنوانا :  
« رسالة شخصية من مورهيو ماتسودا » مواطن من اليابان .

احتج الولد :

– الرسالة طويلة وستأخذ مالا كثيرا !!

صرخت فى وجهه :

– كم ؟ ألف ين ! مائة ألف ين ؟ ربع مليون ين ؟ . مات  
أكثر من ربع مليون انسان !!

ويقولون عنى انى مجنون !!

عدت الى القرية ..

ليقول اهلها : « ماتسودا فلاح يابانى عبيط » !!

ويهمس خطيب ابنتى : « اثر طول العمر على عقل الأب  
ماتسودا » .

لم يدركوا بعد ما يقوله كهنة بوذا الأخيار : « ان حياتنا  
الماضية تؤثر فى حياتنا الحاضرة » .

● الصوت يدوى ، تنفجر الأحجار .

● الصمت الوحشى ، الحافل بالأسرار .

● شبت فى كل الأشياء النار .

● وامتد عمود من رعب ودخان ..

● امتد ذراع الصاعقة الجبار .

ثم ماذا حدث ؟ ! بنى النصب الصغير ، وكتبت الكلمات  
القليلة !! ويقولون عنى « انى ماتسودا المجنون » .

## المكان والزمان

يطن السؤال في رأسها :

« ماذا كنت تريد من عمله ؟ ماذا كنت تريد من قوله ؟  
ماذا ؟ ماذا ؟ » .

واقفة وسط الفصل ، ناقرة بقلم على ذقنها ، تحاول أن  
تتذكر ، إن تطرد الركود من ذهنها .

تتعب من طول الوقفة ، تجلس على المقعد في مواجهة  
التلميذات الصغيرات ، ترمقهن في عطف وحنان ، قطط صغيرات  
لطيفات ، منهكات على كراريسهن ، تهرش تلميذة في شعرها  
مفكرة ، مسألة جمع . تعض أخرى في قلمها سارحة ، مسألة  
طرح . تضيق ثالثة من عينيهما في محاولة للتذكر ، مسألة  
ضرب . تعصر رابعة ذاكرتها ، مسألة قسمة .. كل واحدة منهن  
لا تدري لماذا تفعل ذلك .. والمدرسة تحاول أن تتذكر .

يفرق أصبع من ركن الفصل ، يتبعه مواء لليد :

— استاذة ، أنهيت الاجابة يا استاذة .

بخطوات مترددة تقترب قطعة صغيرة ، مادة يدها  
بكراستها ، مركزة عينيها في عيني مدرستها ، في وجل وخوف  
نزيله ابتسامة مشجعة .

تمسك يد المدرسة بالقلم الأحمر ، تبدأ تصحح الاجابة ،  
توتر اعصاب التلميذة في ترقب ، اللون الأحمر يخط في الكراس ،  
يتوقف بعد برهة ، الحروف تتراقص في عيني المدرسة ،  
الكلمات تتداخل في ذهنها ، خدر ثقيل يتسلل الى ذهنها ،  
جفناها يتشاقلان ..

المواء اللديد يعود ليعلو في اذنيها ، تسال التلميذة قلقة :

— اجابة صحيحة يا استاذة ؟

تبتسم الأستاذة :

— نعم الاجابة صحيحة .

يجرى القلم فوق الورق شاهدا على ذلك . تبتسم الطفلة  
في فخر ، تعود الى مكانها ناظرة لزميلاتها في تيه .

السؤال يعود ليطن في رأس المدرسة ، تجاهد أن تتذكر .  
يخط القلم فوق « كراس تحضير الدروس » . يرسم دوائر  
كثيرة متداخلة .

ينشط ذهنها قليلا ..

الكان : نفس هذا الفصل .

الزمان : صباح اليوم السابق .

وقفت تلميذتها « نبيلة » بجانبها ، وكراستها في يدها  
لتصحح اجابتها ..

ثم ماذا حدث بعد ذلك ؟

الذهن مكدود ، الذاكرة مشتتة .

تطرق أصابع التلميذات ، تدق رأسها طرقات عنيفة ،  
يعلو مواء التلميذات ، تهتز طبلتا أذنيها في صخب :

— انعمت الاجابة يا أستاذة .

— انا قبلها يا أستاذة .

— شوفي يا أستاذة .

— يا أستاذة ، سهر خطفت مني القلم ..

تهز المدرسة رأسها في عنف . لا تكف الأبواق عن ازعاجها .  
أعصابها مرهقة . أفواه البراعم الصغيرة لا تصمت ، مكبرات  
صوت ركزت على أذنيها .

تتحامل على نفسها ، تمسك بكراسه تحضير الدروس  
الكبيرة ، تتجه الى السبورة ، تكتب مسائل جديدة ، تطلب من  
البنات أن يحلنها ، تعود مرهقة لتجلس ، يئن المقعد تحت ثقل  
جسدها ، تحاول أن تفرد أطراف الكراسة المثبتة ..

سكنت الضجة .. الهدوء يسود الفصل .. ذهنها يحفظ  
شيئا فشيئا ..



الزمان : اليوم السابق .

المكان : الطريق الى منزلها .

أحاطت بها بعض تلميذاتها . حبا أو تملقا . طمعا في  
إبتسامة منها ، أو طلبا لصفة « ممتازة » تكتسبها لهن في  
كراساتهن . سارت بينهن ، يدها اليمنى مشغولة بحقيبتها ،  
يدها اليسرى مشغولة بكراساتها ، فكرها مشغول بطفلها المريض  
في المنزل . أرادت أن تسرع من خطاها ، ثقل جسمها لم  
يساعدها . وصلت متعبة ، وقفت أمام باب شقتها لاهثة ، مدت  
يدها تضغط على جرس الشقة ، لعل رنينه داخل الشقة ..  
لعل ..

يلعل في الفصل مواء لحوح يجلب المدرسة من افكارها .  
يعود بها الى فصلها ..

تلميذة صغيرة تقف عند السبورة ، أصبعها يشير الى رقم  
مكتوب ، تسأل :

— ستة هذه يا استاذة أم واحد ؟

— واحد .

يعود السكون الى الفصل مرة أخرى .. ينشط فكرها  
ثانية .

الزمان : اليوم السابق .

المكان : باب شقتها .

فتحت أمها الباب ، سألتها :

— كيف حاله ؟

- ننام .

- هل بكى كثيرا ؟

- بكى اليوم كله : أخيرا تعب ونام .

القت بكراستها وحقيبتها . هربت الى حجرة النوم .  
لا تريد أن توقظه ، وضعت حنائها وحبها في كفها ، تحسست  
حرارة جبهته ، مرتفعة .. احتضنته ، ظلت بجواره باقى  
النهار ، ظلت متيقظة الى جواره الليل كله .. لم يغمض لها  
جفن ، سهرت على رعايته ، أحاطته بجسدها ، خفق قلبها  
له بكل الحب ، نطقت عيناها بكل الحنان ، نظرت الى وجهه  
طويلا ، خاطبته :

- يا حبيبى يا ولدى ، تأملت كثيرا .

تعلق الجملة في ذهن المدرسة ، تظل ترددها وهى جالسة  
في الفصل ، في رأسها صورة ولدها ، في يدها القلم يرسم  
الدوائر المتداخلة .

تقطع احدى التلميذات تفكيرها :

- اسمعى لى يا أستاذة بالخروج لأشرب .

تسمح لها .. تعود لتخاطب صورة ولدها في ذهنها :

- يا حبيبى يا ولدى ، تأملت كثيرا .

تففز الى ذهنها صورة تلميذتها « نبيلة » تتداخل مع صورة  
ولدها ترفع رأسها تنظر الى الصف الثالث ، مقعد نبيلة شاغر ،  
لم تحضر اليوم ، كانت تريد أن تقول لها كلاما معينا . أن تفعل  
معهما شيئا ما !

تضرب جبهتها ، ستار النسيان تتمزق عن ذهنها القلق ..

الزمان : صباح اليوم السابق .

المكان : الفصل .

وقفت تلميذتها « نبيلة » بجانبها ، اجاباتها خاطئة ، وبخنها  
بقسوة شديدة ، اجهشت التلميذة بالبكاء ..

الزمان : مساء اليوم السابق .

المكان : حجرة النوم .

ولدها في حضنها ، وجهه متألم بالك ، تأملت طويلا ،  
تذكرت وجه نبيلة الباكي . هدهدت ولدها . حاولت ان ترفه  
عنه . عاهدت نفسها ان تفعل شيئا ما مع نبيلة . نظرت الى  
دموعه . عاهدت نفسها ، ان تقول كلاما معينا لنبيلة ، ان تطيب  
من خاطرها .

تهم المدرسة ان تقول وهى تضرب جبهتها : « تذكرت » .

تسمع صوت طرقات على باب الفصل ، تظنها التلميذة التى  
خرجت لتشرب منذ برهة ، تقول لها :

— ادخلى .

من عند الباب يحادثها صوت الشغالة :

— مديرة المدرسة تطلب حضرتك .

— الآن ؟

— نعم الآن .

تتحامل على نفسها ، تمشى تهسدى ، أمام المديرية تقف  
خجلة ، تقول معتدرة :

— لم اكمل شهادات البنات ، ولدى كان مريضاً جداً .  
ترمقها المديرية بنظرة شك . تعطيها مهلة أخيرة للغد .  
مطلوب شهادات التلميذات كاملة البيانات . تأمرها في جفاء  
بالعودة الى فصلها .

تعود الى مكانها أمام التلميذات ، تتأملهن في حيرة ، يعود  
قلمها يخط فوق كراسة تحضير الدروس ، يرسم الدوائر  
المتداخلة .. تنبه لحركة القلم في يدها ، يبدأ من نقطة ليعود  
إليها ، ليته يرسم خطاً مستقيماً .

تتساءل لم رسمت هذه الدائرة ؟ ! لكنها تعود الى  
مساؤلها القديم .. نسيت ما كادت أن تتذكره !!

تسال نفسها مرة أخرى :

« ماذا كنت تريد من عمله ؟ ماذا كنت تريد من قوله ؟ ماذا ؟  
ماذا ؟ ماذا ؟ »

يطن السؤال في رأسها ...

## زفة

---

اخيرا يهبط المعلم الى الشارع ، يجد صبيه في انتظاره  
امام البهت ، ممسكا برباط ثور سمين قوى ، زين بقطع قماش  
ذات ألوان زاهية فاقعة ، وعدد من الأولاد تجمعوا حول الثور ،  
يقفون جميعا في حالة تأهب بمجرد رؤيتهم له ، يهلل الصبي  
هائفا :

— مرحبا بمعلم المعلمين ، أجدع جزار في المركز ونواحيه .

لا يفرح المعلم ، ويومئ لصبيه أن يبدأ ، فيتنحنح عدة  
مرات ويعتدل منها على الأولاد :

— كما قلت لكم ، كلما هتفت انا ، ترددون خلفي قائلين  
بأربعين .. مفهوم ؟

تتحرك الزفة وجهتها السلخانة ..

في المقدمة المعلم بجسده الضخم القوى ، بجانبه صبيه

جاذبا الثور من خلفه ، من ورائهم يسير الأولاد . يبدأ الصبي  
يهتف بأعلى صوته :

- الثور قدامك .

- بأربعين .

- سعر الكيلو .

- بأربعين .

- .. .. .. ..

يسير المعلم في وجوم وكدر ، يختلس النظر الى المارة وهم  
يفحصون الثور بأعينهم ، والى النساء وهن يراقبنه من  
الشرفات ..

- كيف تركيتها تخرج يا أمي ؟ !

- قالت ذاهبة لأمها .

- كان يجب عليك ان تمنعيها .

- بأية صفة ؟

- الست أمي ؟

- أمك ، لكنك كنت تدللها ، ولم يكن لى امر عليها ،

اذهب واسأل أمها .

يتجه الموكب الى الشارع الرئيسى . تندس بعض الكلاب  
بين الأرجل ، والصبي يصرخ ملوحا بعصاه الصغيرة :

- عند جزارة ..

- بأربعين .

- جزارة المعلم ..

- بآرنبيين .

- .. .. .. ..

الموكب يخترق طريقه وسط زحام المارة ، مزاحما عربات  
الحنطور وبعض السيارات .. والعيال يتجمعون حوله ، يشاركون  
في الزفة بدون دعوة . والنسوة يتفحصن جسد الثور ويقسن  
عمره بنظرات خبيرة ..

يخفض المعلم رأسه الى الأرض الطينية تحته ، يبدو محني  
الظهر رغم ضخامة جسده وقوته ، لا يكاد يشعر بما حوله ،  
لا يلحظ تحيات بعض المارة له .

- انظري ماذا اشتريت لك ! حلق وخاتم ، ذهب عيسار  
٢٤ قيراطا ..

- ..... !!

- لا يبدو عليك الرضا يا عروستي الحلوة !

- الهدية لا تليق بجمالي ولا بمقام معلم المعلمين ، يد المارة  
لا تصبح جميلة الا اذا زينها الذهب .  
- غدا اشترى لك { غوايش .

- هكذا الكلام ، الليلة ارتدى لك قميص النوم الجديد ،  
الاحمر .

- تصجيني ، قميص نوم احمر فوق جسدك الابيض ،  
يا صلالة النبي !!

تلف الزفة ميدان المركز ثلاث مرات ، مزاحمين موكبا من  
خمس سيارات لزفة عروس ، ينثرون الملح على الثور مداعبين ،  
لكن المعلم لا يضحك .. تتناثر حبات الملح على وجهه فيفريق ،  
ويهز رأسه مومنا في عصبية لبعض راكبي السيارات الذين  
يحيونه .. يلتفت الى الثور ، تفيظه الكلاب المندسة بين الأرجل .  
يفيظه أن الثور يهز ذيله .

— يا امرأة ، يا امرأة ، ابنتك خرجت من المنزل وقالت  
لامى انها قادمة لزيارتك ، أين هي ؟ أين هي ؟

— يعز على هياجك يا معلم ، اجلس .

— اغدقت عليك وعليها المال ، لماذا تغدران بى ؟ !

— بشرقائه يا معلم لم أرها منذ أيام ، والا ما تركتكَ تلفف  
هكذا أمامى .

— والثور قدامك ..

— بأربعين ..

— باكر منه ..

— بأربعين ..

— غدى أولادك ..

— .. .. ..

الصبي يصرخ والأولاد من ورائه ، منغمين هتافاتهم ..



والزفة تسير مشيرة سحابة ترابية كبيرة عند الأقدام تكبر وتتسع  
كلما ارتفعت في الهواء ، تزكم الأنوف وتلوث العيون .

يلتفت المعلم الى الثور ، يجده سائرا لا يلوى على شيء ومن  
حوله زفته ! يشعر بحنق ، بهم برفع يده الى شاربه ، لكنه  
يخفيها في تخاذهل .. ينظر الى الثورة ، يزداد حنقه ..

— معلم المعلمين تضحك عليه امرأة لا تزيد على العشرين  
عاما ..

— افعى ابنة افعى يا ولدى ، نصحتك الا تتزوجها !

— غدا لن استطيع ان ارفع عينى فى عيون الناس ،  
سيلاحقوننى بعيون الهزء والشماتة ..

— والثور قدامك .

— باربعين .

— .. .. .

— لم يكن لها حديث الا عن القاهرة ، وهذا الرقيق يعمل  
هناك ، كيف لم الحظ ذلك ؟ !

— .. .. !!

— ثور متعاقى ..

— باربعين ..

— .. .. .

— فى الاسبوع الماضى تحولت من امرأة مشاكسة الى  
اخرى مطيعة منكسرة ، كيف لم الحظ ذلك ؟ !

- .. !! .

- باكر منه ..

- بأربعين ..

- .. .. ..

- لم تكن تقول الا حاضر ، حالا ، امرك يا معلم ، أنا  
مخادمتك يا معلم .. اللئيمة الحربية ، كيف لم الحظ ذلك ؟

- .. !! .

- وأنا كاية بهيمة ظننت ان حالها انصلح وانها اصبحت  
مولعة في رجولتي وفحولتي !

في الشارع الرئيسى يندس اولاد آخرون ، يشاركون في  
التهتاف متطوعين ، يسير خلف الموكب ثلاثة من المجناذيب  
يتضحكون في بله ، وكلما اقترب الموكب من المقهى الذى يجلس  
اليه معظم جزارى المركز كلما علا صوت الصبى .

لا يرفع المعلم نظراته عن الثور ، يفضبه الدليل المهتز طربا ..

- الزفة جاهزة يا معلمى .

- قلت لك غر من وجهى ، سأتبعك بعد قليل .

- نعملها الآن ، بعد قليل ستسخن الشمس ويصبح  
الشارع ولا نار جهنم .

- محروقة الزفة ، ومعروق من اشتراك فيها .

- واتفرج يا جدد ..

— بأربعين ..

— فرجة بلاش ..

— بأربعين ..

— .. .. ..

يهتف الصبي والعيال بكل نشاط وحماس ، وهم واقفون  
أمام مقهى الجزائريين . يدور الصبي بالثور حول نفسه عارضا  
سمنته وضخامته لعيونهم .

يرتفع صدر المعلم ويهبط في حشجة ، ناظرا للثور ،  
تتركز نظراته على ذيله المهتز ..

— كيف لم الحظ ذلك وأنا جزار ؟ القطة تظل تتمسكن  
حتى تقترب من قطعة اللحم فتخطفها وتفر هاربة .

— لم تعد فائدة من الكلام ، أستطيع أن أزوجك أجمل  
بنات المركز ..

— الثور قدامك ..

— .. .. ..

— فعلة أبنتك هذه جعلتني لا استحق شاربي هذا ،  
أريدها أن تعود يوما واحدا فقط ، أطلقها أنا فيه وتعيج حرة  
بعد ذلك ..

— لو أعرف مكانها لأحضرتها لك ..

— اما هذا ، واما اصير مضفة لأفواه الشامتين ، والذي  
لا يشتري يتفرج .. !

— والفرجة بلاش ..

— بأربعين ..

— فرجة حلال ..

— بأربعين ..

— .. .. ..

— أعود من سفر يومين الى المنزل لأجدها تركته ،  
ما فائدتك في المنزل اذن ؟

— يا ولدى ، مطلع النهار يبشر بيوم أغبر ، اذهب الى  
زفتك الآن .

— تركتني وهريت ، اين اذهب مع عيون الناس ، اين  
اذهب من الستهم ؟

• مغفل مغفل مغفل .

— نور نور نور ..

يصرخ المعلم بصوت مرتعش ، وهو يسحب العصا من يد  
صبيه وينهال ضربا على الثور ..

يدهل الصبي ، يحاول ابعاد معلمه بين دهشة زبائن المقهى  
من الجزارين . لا يسكت المعلم الا بعد ان تتكسر العصا ،  
يقف لاهثا زائغ العينين محتقن الوجه . يصرخ الصبي في العيال  
ان ينصرفوا ، ثم يقول :

— من اوله ظاهر انه يوم أغبر .

يبدأ المعلم يعود الى هدوئه ، وقد بلل العرق جسده ،  
يقول مرتبكا :

— ظننت الثور يمكن من السير .

يراقب الثور ، يجده يهز ذيله في عصبية ، يكشف أنه  
يفعل ذلك لابعاد الذباب ، يلاحظ قوته وخصامته ، ينظر لذيله  
المهتز ، يفتاظ من الذباب ، يطير الذباب تحت ضربات الذيل  
لكنه يعود ثانية ليضايق الجسد العملاق . يتأمل المعلم الرأس  
الكبير ، يتبع الرباط الملفوف حوله حتى طرفه الآخر حيث يد  
الصبي النحيلة وهي تجلب الثور ، الصبي يسير في حيرة وعجلة  
وقد مال بجسده الضئيل القصير الى الامام ، صاحب الثور  
القوى صوب السلخانة ..

يعود المعلم يراقب الذباب ، يشعر بحرق كبير ، يتأمل  
الذيل وهو يبعد الذباب بلا فائدة .. السلخانة على بعد خطوات .  
الثور مقود اليها .. المعلم يهز رأسه في أسى ..

معلم المعلمين سيصبح مضغطة لأفواه الشامتين ، والذي  
لا يشتري يتفرج !

— لا فائدة من الكلام ، اذهب الى زححك ..

يدخل الثور خلال باب السلخانة ، فيشعر المعلم بغصة في  
حلقه ، ويبدو الأسى والعطف على وجهه ، تمتد يده تربت فوق  
ظهر الثور في حنان وشفقة .

## الفار الذى لم يمت

- عيناك محمرتان يا أحمد ؟ !
- نعم ، فانا لم أنم ليلة الأمس .
- اذلك بسبب خلافك مع المدير ؟
- اتسمى هذا خلافا ؟ ! انها معركة ، وان اتركه ، غدا ساكتب خطابا رسميا اطلب فيه لجنة تحقيق .
- يا عزيزى ، اخذ الشيطان ..
- كيف ؟ ! وهو قد سبنى على السكك ، امام زميلاتي وزملائي فى المكتب !
- ومن اجل هذا لم تنم ليلة الأمس ؟ !
- السبب شيء آخر ، ولكن الذى يفيظنى هو انا .. نعم انا ، كيف لم ارد عليه ؟ ! كيف لم اذافع عن نفسى ؟ ! كيف وقفت

صامتا وهو يعلو بصوته في وجهي ؟ ! كيف ؟ ! كيف تركته  
يهينني دون أن أرد عليه ؟ كيف ؟ ! كيف ؟ !

— اهدأ يا أحمد ، اهدأ .

— كيف ؟ ! أنا خجل من نفسي ، لقد وقفت موقفا  
مخزيا .

— وما فائدة الغضب ؟ !

— .. .. .

— خذ يا أحمد ، خذ هذه ، سوف تريحك .

— لا شكرا .. لكن .. هاتها سأدخلها .

— يا مسكين ، أمن أجل هذا المدير لم تنم ليلة الأمس ؟ !

— ليس ذلك المدير هو السبب .

— اذن ؟

— ساقص عليك الحكاية .. بالأمس استيقظت فجأة من  
نومي العميق .. اتسمع ؟ أقوم من نومي العميق .. استيقظت  
على صوت يتحرك في المطبخ . ظننته لصا ، وأنا أسكن وحدي  
كفا تعلم . فقممت فزعا واتجهت إلى المطبخ في تحفز ، هناك وبعد  
أن أضأت النور لم أجد أحدا ، وعجبت .

— كانت تهيؤات طبعا !

— ولكنني سمعت الصوت ثانية . فجلت بناظري في كل  
مكان .. هل تدري ماذا وجدت ؟ !

— شبح السيد المدير .

— كان فأرا صغيرا ينظر الى بوجل !

— وماذا فعلت معه ؟

— دون أن أشعر وجدت نفسى أمسك « بالشبشب » فى محاولة لقتله .. وما حدث كان عجيبا ، لقد قاومنى الفأر بشجاعة ، حتى انه وثب الى كتفى من فوق النضد فى احدى قفزاته اليائسة . هل تعرف ماذا فعلت أنا ؟ وثبت فزعاً ، فانزاد حنقى .

— احترس السيجارة ستلسعك .

— .. .. .

— اذن فقد حنقت على الفأر لأنه قاوم ودافع عن نفسه ؟ !

— كلا ، كلا .. لقد زاد حنقى من نفسى ..

— وضيق الخناق على الفأر ؟؟

— نعم ، حتى وقف فى احدى الأركان عاجزا ، ينظر الى وهو يلهث . ورفعت يدى بفرض قتله ، ونظرت الى عينيه ..

— ثم ماذا ؟ تكلم .

— لا أدري بالضبط ماذا كان يدور فى داخلى لحظتها .. اذ .. اذ اننى لم أقتله .. أمسكته بورقة .. وهبطت الى الشارع حيث تركته حيا ..



## أشهر رسائل الحب

---

» سامية .. حبيبتي وخطيبتى

هذا هو يومى الأول هنا ، وهذه هى أول رسالة أكتبها  
إليك .

انا عائد الآن من جولة عابرة بهذه المدينة ، لا بأس بها من  
مدينة ، الجو هنا معقول ، محتمل قد يكون ذلك لأننا مازلنا  
فى فصل الشتاء ..

.. انا مشتاق إليك وإلى لمسة من يديك ، تعيد لى حماسى  
وتدققى .. ومن كان يصدق أن طالبا مثلى ينال الليسانس بدرجة  
جيد جدا ؟ ! من يصدق هذا ؟ ولكنها لمسات يديك ونظرات  
عينيك ، بل وحتى وقع قدميك وأنت تهلين على .. كل ذلك  
دفعنى لالتهام الدروس ، والآمال العذبة تتراقص أمامى .

لم أكن اتخيل أنه سيأتى اليوم ، أتوجه فيه الى محطة  
سكة حديد القاهرة لأركب ذلك القطار الرهيب ، ولتأتى تلك

اليد القاسية تدق الناقوس ، فيمرق القطار بى على شريطين  
كثيبين ينتهيان بى الى هنا ، حيث أكتب لك الآن .

رغم ذلك - رغم الألف ميل التى تفصلنى عنك - فان قلبى  
معك . اخذته منى و انت تلوحين لى بيدك مودعة .

غدا سأوجه لاستلام عملى ، وبهذا ادخل اول يوم فى  
حياتى العملية . لكم انتظرنا معا هذا اليوم « كنا نرقبه  
ونستعجله ، وكانت المسافة بينى وبينه يوم تعرفت عليك تزيد  
على العامين ، والآن أصبحت هذه المسافة يوما واحدا وأصبح  
يومنا المنشود هو الغد .

صدقنى يا حبيبتى ، أنا مدين لك بهذا الغد « ..



« لا أرى مبررا لقلقك على ، حقا ان المدينة صغيرة جدا  
لو قيست بالقاهرة ، الا انها نظيفة ، اما عن وقت الفراغ  
فأفضيه فى قراءة المجلات .

السكن ايضا ليس سيئا .. أجمل الأوقات هى التى  
أمضيها مع صورتك أتأملها ، ولكنها عاجزة لا تستطيع أن تلغى  
المسافة بينى وبينك ، عاجزة عن أن تغنينى عنك .

هل تدرين ماذا أتمنى الآن ؟ ستبتسمين ، مؤكدا  
ستبتسمين .. أتمنى أن أكون رائد فضاء واصعد الى القمر ،  
قمرى أنا ، انت حبيبتى ، حتى أمتغ نفسى ببسمة صغيرة لترسم  
على شفتيك ، بلمسة عابرة من يدي لشعرك الأسمر الناعم ،  
ارفع تلك الخصلة العابثة التى تأبى الا أن تقبل خدك الأيسر .

لم اكن ادرى ان امر تعيين ارعن سيفصانى عنك ، ويلقى  
بى على بعد ست عشرة ساعة ، نائيا عنك ، ليجلسونى على مكتب  
حقير فى العلاقات العامة .. وماذا اعمل ؟ ! اتولى الرد على رسائل  
الهيئات والنوادي والمدارس ، شغلة تافهة لا يؤديها متفوق  
ولا تعطى لانسان مثلى ..

لذلك فاني قدمت طلبا لنقلى الى القاهرة مرفا حبي ..  
ملحوظة : ارسلت خطابا الى خالى بالقاهرة ليبلل مسامحيه  
في سبيل نقلى » .

\*\*\*

» .. ان لم افتح قلبى لك فلمن اذن ؟ . البلدة اصغر  
واضيق من ان تحتلبنى : الجربدا يفزو الجو . سمعت ان  
المناخ فى الصيف لا يطاق . اعتقد ان وجهى بدأ يسير ، اصبح  
قائما ، قارب لونى ان يصير مثل لون الاهالي هنا . الاهالي  
هنا لا يصلحون لشيء ، يسير ، والعجيب انهم مغرمون باللباس  
البيضاء . الشيء يحب تقيضه رغم انه يكشفه ويفضحه ، حتى  
أسنانهم ناصعة البياض ..

شوقي لك يزداد ، سأحاول ان احضر الى القاهرة ..  
ملحوظة : الادارة امرت بنقلى الى عمل آخر ، ولكنه هنا  
وليس فى القاهرة . ارسلت خطابا ثانيا الى خالى ليزيد من  
مساعيه واتصالاته . انتظرينى قريبا ، سأحضر اليك ،  
سأحصل على الاجازة بأية وسيلة .. » .

\*\*\*

« .. ما امتعه من اسبوع ، اجمل اسبوع قضيته في حياتي ، ملامحك . ادق ملامحك نسخت هنا في عقلي ، حفرت في روحي . »

اننى اعجب ، كيف تطلبين منى أن احضرك الى هنا ، وهنا العذاب ولن تجدى من تصادقينه ، حتى كلامهم سريع ، سريع جدا ، ياكلون نصفه الأخير ، أسرع من أن تفهميه . لا يعرفون كلمات الجمالة . ولم أندش عندما رأيت احدى السائحات تنفرس في وجه أحدهم ، ثم تخرج آلة تصوير وتسجل صورته .  
يا عزيزتى ..

حبى لك يمنعنى من أن احضرك هنا .

عدت لأجد الوظيفة الجديدة في انتظارى ، أتعرفين ما هى ؟؟ « مرافق » . اسمها هكذا .. عندما تأتى أى رحلة لمشاهدة سير العمل هنا فأنى أرافقهم لأشرح لهم ما يرونه : تصورى ذلك ؟ ! يا لضياح الجهد والوقت ! ترجمان !! نعم خطيبك يعمل ترجمانا بدرجة « جيد جدا » . اصحبهم وأقول لهم : هذه ماكينة تخريم ، هذه كراكة ، وتلك رافعة ، أما ذاك فهو القلاب ، وهذا الذى أدهشكم أسماء العمال « الجبار » .

وان كانوا من الأجانب ، فنفس الكلام ولكنه يكون بالانجليزية : حجمه مثل حجم الهرم الأكبر ست عشرة مرة ، الجرانيت يكون تسعين فى المائة من مواده .. والذى أقوله اليوم أعيده غدا وأكرره بعد غد وكل يوم لدرجة اننى وجدت نفسى أقول قبل أن أنام : أما عن التورينات فهنا مكانها !! .

فكرت فى احضارة شارة نحاسية ألفها حول ساعدى كائى ترجمان .

ملحوظة : أرجو أن تتصلى بخالى وتذكره بوعده لى .  
ملحوظة أخرى : أرجو أن تسالى الطبيب ان كان مستعدا  
لامطائى اجازة مرضية أخرى كالسابقة » .

\*\*\*

» .. اكتشفت وجود حمام سباحة هنا ، اداوم على  
الذهاب اليه ، رغم اننى لا أجيد السباحة ( أصبح دائما فى الجزء  
قير العميق وبجوار الحافة فاطمنى ) .

أول أمس رأيت حادثة عجيبة ، بينما كنت فى جولة مع  
بعض الزائرين ، اذ بأحد العمال - اسمه سيد - يقع على  
الأرض مغشيا عليه . سارعت بحمله الى ركن هادىء بمساعدة  
بعض العمال ، فى انتظار قدوم رجال الاسعاف ثم حاولت بذل  
جهودى لافاقته ، وقد سررنى فعلا انى نجحت فى ذلك .. ثم  
جلست بجواره وتأملت وجهه ، وكانت أول مرة أنفـرس فيها فى  
وجه واحد من الأهالى هنا ، تأملتـه جليا ، وأحسست باحسان  
غريب ، كانت ملامحه تذكرنى بلامح انسان أعرفه جيدا ،  
انسان رأيته من قبل ، له ملامح دقيقة جميلة ، كأنما مثال  
عظيم دق فى نحتها .. ثم تذكرت ، كانت ملامح سيد تشبه  
لامـح الفراغة الى حد كبير . خوfo مثلا أو رمسيس ..

ابتسم لى فى عرفان جميل . عيناه نفاذتان ، ولكن فيهما  
طيبة صادقة . قلت له ضاحكا مهونا :

— قم يا خوfo ، قم ، أنت الآن بخير ..

ضحك ، وضحك رفاقه ، وتركتهم وهم يضحكونه مكررين  
جملتى : قم يا خوfo ، أنت الآن بخير يا خوfo ..

وكانت دهشتى كبيرة فى اليوم التالى - أمس - عندما  
رايته واقفا فى مكانه . يؤدى عمله كالمعتاد . هلال مرحبا بى  
عندما لمحنى شاكرا . فقلت له مداعبا : لماذا لم تسترح  
يا خوفو ؟؟

ضحكوا جميعا من قلوبهم وقال أحد العمال : لقد  
أسميناه « سيد خوفو » .

وظهر اليوم - قبل هذه اللحظة بساعتين - مررت على  
موقعه وكان يتناول غداءه . واقسم أن أكل معه - عيش  
وملح - وتلدوت طعم الخبز - خبزهم - ليس كخبزنا فى القاهرة ،  
ما الله ! كأنه خبز بالسكر !

وتحدثنا كثيرا أثناء تناول إشيائى ؛ واكتشفت شيئا  
مدهلا . أن ليفهم من البهل على الإنسان أن يفهمها ، سريعة  
بعض الأشياء ؛ يخيل للبسامع أنهم يأكلون نصفها ؛ ولكنه إذا حاول  
أن يفهمها فسيجدها سهلة . حدثتهم عن القاهرة وصخبها  
وملاهيها . وهم مبهورون ( لاحظى أننى لم أحدثهم عن جبال  
نساها ) .. وحديثى هم عن آمالهم وأحلامهم فبهزوني من  
الإعياق ، آمال صغيرة ، أحلام بسيطة ؛ ولكنها صادقة ..  
سيد - سيد خوفو - يحلم بمنزل صغير يتزوج فيه ويعيش .  
كان وجهه رائعا وهو يحدثنى ببساطة عن البنت التى تنتظره فى  
قريته ، والتى يضاعف جهده من أجلها .

عندما بدأ يصفها لى سرحت عيناه الى مدى البصر ، حبيته  
هناك ، فى نفس الاتجاه . كانت قريته هى قبلته وهو يصفها  
لى بأصفي الكلمات ، شعرها أسمر طويل ، فابرة القوام

بغمازتين ، أهم ما يعجبني فيها طيبتها ، يجد عندها كل الحنان  
الذي يحتاج اليه ( أنظري في المرآة وستجدين أن هذه هي  
صفاتك ) .

ضحكت وقلت له : كأنك تصف خطيبتى ، اننى ان حاولت  
أن اصفها فلن أجد أبسط وأحلى مما قلت ..

غير أن الذي لا أنساه هو وجهه ، ما أروع وهو يصف  
جيبتيه ! ما أبدع أنفجالاته !! ما أعذب رنين صوته !!

حقاً يا جيبتي ، ما أروع ذلك الذى يسميه جيا ..

ملحوظة : تصويري هذا : اسم فتاته هو « سلمي » واسم  
جيبتي أنا « سامية » .. يبدآن بحرف السين ويشتركان في  
الميم والياء .. « .



« .. معك حق في تسمية خطايبى السابق : بخطاب سيد  
خوفو ، لقد صار سيد صديقى ، وأصبحت سهراتى المفضلة  
معه ومع أصحابه ( الجو هنا يشجع على السهر ) . وسمهم  
من نوع جديد ، يتحدثون دائماً عن الولد ، الولد كبر ، الولد  
حقن اليوم لتفديته وتقويته ، الولد شب وغطاظ الأمريكان ،  
توربينات الولد أصبحت جاهزة ، الولد سيروي المزيد من  
الأرض ، الولد ، الولد ..

فاذا سألت عنى يكون هذا الولد اجابوك في دهشة :  
الولد الذى غلب النيل وجعله يحيد عن مساره ، السنن ترقب  
نموه يوماً بعد يوم !

تضوري ؟ السيد العالي ، العملاق الضخم الشاهق :  
ولدهم !!

وأحيانا ينطلق أحدهم بالغناء ، هكذا دون دعوة من  
أحد ، فقط يشعر بالرغبة في ذلك فيفعل ، وفي الحال يصمتون  
ويعتدلون في جلستهم ، وتبدل ملامحهم فتلين . وتصفو عيونهم  
إتحلم .. من يدري ؟ ربما بالزوجة أو الحبيبة ، بالأهل ،  
بالأرض ، بمهد الطفولة .. لا ينظرون لمطربهم .. يخيل إليك أنهم  
لا يستمعون إليه . منهم من يجلس سائدا ذقنه على ركبته ،  
ومنهم من يغمض عينيه ، منهم من يرسل ببصره إلى شيء ما ،  
وزميلهم يفنى ( بلا موسيقى طبعاً ) . بصوت مشروخ فيه رنة  
جزن .. لا أدري لماذا ؟ فيه بحة شاكية ؟ !

ويوم انطلق سيد مغنيا كانت كلماته تشكو البعد وتدعو  
لللقاء الحبيب ( أنا أيضا أفعل ذلك . ولكن بطريقتي الخاصة ،  
بالورق وبالقلم وبالخطابات التي أرسلها لك ، ولو كنت أعرف  
الغناء لغنيت لك مثلهم ) .

الأعجب من ذلك كله انني عندما سألت سيد عن حفظ  
عنه كلمات هذه الأغنية ، رد في تواضع بأن : « الكلام الذي في  
قلبي يضعه على لسانه ، بعد أن يلبسه اللحن الذي لم يعلمه له  
أحد معين » . أغانيهم تشجيني ، لم أعد أطيق سماع أغاني  
الراديو ، فقد أصبحت أفتقد فيها الصدق ..

هأنذا عدت ثانية الى الحديث عن سيد ، وهذه المرة  
ليس عنه فقط بل عنه وعن أصحابه أيضا !!  
ولكن يا عزيزتي ..



ما بيدي حيلة . الناس هنا مدهشون ، يهزمون الانسان بكرمهم ، ويأسروه باقبالهم عليه . الغريب انهم مصرون على تسميتي « نبيل المرافق » ويبدو ان هذه عادة عندهم ، سبق ان اعجبتهم طريقة عمل احد الأجهزة فأطلقوا عليه الجبار . وأصبح هذا اسمه ، لدرجة انني نسيت اسمه الحقيقي ، ولدرجة ان الخبراء الروس اعترفوا بالجبار اسما لهذا الجهاز !

حدث في بدء عملي ان سألتني سائحة عن احدى الآلات وهل هي آلة اجنبية ؟ ويومها اجبتها بنعم . لو سألت اليوم هذا السؤال لاختلفت اجابتي .

على انهم قد يكون بإمكانهم تغيير كل شيء - حتى مجرى النهر - الا ان امرا هاما لم يتغير في : هو حبي لك ، بل أصبح أقوى وأعمق ..

سيد يرسل لك تحياته . اقسمت له ان أبلغك سلامه . وقد اعجب جدا بصورتك عندما رآها معي . قلت له ان الأصل أجمل .. « .



« .. حلم جميل هذا الذي سأقصه عليك في هذا الخطاب ، حلمت أمس بك وبى وبانسان ثالث ، ولدنا .. كان لطيفا جدابا ، وقد أسميناه سيد .. » .

## فاتح الكوبرى

وجدت نفسي أسير في سرداب طويل معتم ، قاتم اللون  
 خائق الرائحة . تلفت حولي باحثاً عن مكان أخرج منه ، حتى  
 المنفذ الذي دخلت منه اختفى ، سد ، وقف عليه حارس  
 ذو قناع رهيب ، ممسكاً بحربة ذبذبت رهوس عديدة . سرت  
 مدفوعاً بقوة غريبة لأجد أمامي منصة قضائية عالية ، سوداء  
 اللون . رفعت رأسي لأعلى حتى يطاول نظري قممتها ، فوقها  
 كان يجلس الشيخ رضوان ، ناظراً الى من أعلى بلا انفعال .  
 رغم جمود وجهه لمحت اتهاماً في عينيه ، اتهاماً واضحاً .. وكان  
 لابد أن أدافع عن نفسي :

« يا شيخ رضوان ، يا حضرة القاضي ، أرجوك ، ارس  
 بي على بر الأمان ، اعترف بأنني فتحت الكوبرى ، وفي غير ميعاد  
 فتحه ، امروني أن أفتحه ففعلت ، هذا على أكل عيشي ..  
 ولكن .. » الصمولة « لم تكن مفكوكة ، وهذا هو المهم ،

الصموالة لم تكن مفكوكة .. نعم أخذت علاوة ، ولكن ليس الذنب  
ذنبى ، أدبت واجبى وحسب .. يا حضرة القاضي . أرحمنى ،  
كانوا ٥٧ تلميذا ، ماتوا ، غرقوا .. لكن مالى أنا ؟ حاكموا من  
أصدر الأمر ، أنا عبد المأمور ، ولم تكن الصموالة مفكوكة ..  
ولم يكن قصدى أن أدوس على ذيل القطة .. » :

من جميع أنحاء السرداب ، من جدرانه ، من سقفه ، من  
أرضه ، سمعت أصوات أناس غاضبين ، هاتفين ضدى بلا رحمة ،  
صرخت بكل قوتى :

« ولكنهم تلاميذ أغبياء ، يريدون تغيير الكون واسقاط  
الملك بمظاهرات ساذجة .. » .

عادت الأصوات وثارث ضدى ، تلفت حولى ، فى كل  
مكان .. أين هم ؟ أين هم ؟ ! : أصبت برهب . نظرت للشيخ  
رضوان : « ألا تفعل شيئا » .. أمسك بمطرقته ، أخذ يطرق  
بعنف حتى تمكن من انكشاف هذه الأصوات .. ثم بدأ  
يحذثنى ، ولضوته صدى رهيب ، تخرج الكلمة من فمه فتدور  
فى أنحاء السرداب من أوله الى آخره ، لتعود لى ألف كلمة  
غاضبة ، تطرق أذننى فى وقت واحد ، بدوى رهيب مفرغ :

« يا عباس ، قتلت أولاد الناس ، حكمتنا عليك بالموت زمنا  
بالرصاص » .

رجعت على أعقابى هربا ، وجدت فى وجهى مجموعة من  
العساكر صوبوا بنادقهم الى صدرى ، نفس العساكر الذين  
سدوا الكوبرى فى وجه التلاميذ ، جدران السرداب نفسها  
انشقت عن عيون ناقمة ، عن أفواه تريد أن تلتهمنى :

« يا ملعون من كل الناس ، يا ملعون من كل الناس ،  
يا ملعون من كل الناس .. »

— بل انت حبيب كل الناس ، حبيب كل الناس ، يا عباس  
يا ولدى ، عاد الكابوس يفرعك ثانية .

— هذه ثالث ليلة با أمى أحلم فيها نفس الحلم ، منذ ذلك  
اليوم المشؤم .

— اللدب ليس ذنبك ، انت نفدت الأمر فقط .

— ولكن الناس ، الناس في الشارع تغيرت معاملتهم لى .

— عين حسود أصابتك ، ساعد لك البخور .

تخرج الأم . ويتجه عباس الى النافذة ، يلقى نظرة الى  
الشارع ، الى المقهى الصغير هناك . يقول لنفسه :

« هذا هو « حسين » المخادع الكاذب جالس على  
مقهى الشارع ، ومن حوله أبناء الحي ، يتحدث اليهم ،  
ويستمعون له في احترام ، سرق منى الاحترام بأقاصيصه  
المزيفة ، انا متأكد أنه يقص عليهم الآن حكايته المقتولة من بطولته  
المزعومة ، جاء الضابط وأمره بفتح الكوبرى ومظاهرة التلاميذ  
تسير فوقه ، ورفض هو ، وغافل الضابط وفك « صمولة  
الجهاز » خلسة ، وتحجج بأن الجهاز عطلان ، وعلى ذلك لايمكن  
فتح الكوبرى .. وعند ذلك يهمل الناس له ، ويفرقونه في بحر  
من الثناء ، الأسطى حسين البطل ، الأسطى حسين الشجاع ،  
حسنا فعل ، حسنا أتى ، ثم يسكتون ويقتربون منه ليشتبكوا  
في دفنى .. وعباس — عباس انا — ماذا فعل ؟ .. يضحك حسين  
الخبيث ويلقى بأكذوبته الكبرى ، كان الضابط قد يشس وكاد

أن ينصرف ، عند دخول الأسطى عباس ، فلماذا فعل عباس ! ؟  
ربط الصمولة ، وأدار الجهاز وفتح الكوبرى ، وغرق ٥٧ تلميذا ،  
وبذلك يضعنى فى الحفرة ويبدأ الناس فى اهالة التراب على ،  
عباس الجبان ، عباس الخائن ، عباس الذى خدعنا بطيبته  
المزيفة ، عباس القاتل ، عباس عدو الطلبة » ..

— آه يا أمى .. كتموا أنفاسى ، لم أعد أطيق السير فى  
الشارع وعيونهم تطاردنى ..

— تعال يا عباس ، هداك الله ، تعال .. خط فوق البخور  
سبع مرات ، وأنا بهذه الابرة سأخز سبع وخزات ، الأولى فى  
عين الشيطان حتى يبعد بوسواسه من روحك ، والثانية فى عين  
الجان حتى يتركوا جسدك فى أمان ، والثالثة فى عين الحسود ،  
جسدوك يا ولدى ، ورب الكعبة جسدوك يا ولدى .

— والوخزات الأربع الباقية ؟؟

— الرابعة فى عين من يشاركك عملك ، زميلك فى العمل  
الأسطى حسين ..

— الفشاش المخادع اللئيم الحقود ..

— كرهك منذ خطبت « فتحية » .. وكان يتمناها  
لنفسه ..

— سمعت أنها تريد أن تفسخ الخطوبة !

— لا تصدق ، أمها صديقتى ، ولن تطاوعها على فعل ذلك  
لن توافقها أبدا ..

— الذى يدهشنى ما يحدث فى الحلم ، لماذا الشيخ  
رضوان بالذات ؟؟ لماذا هو الذى يخاطبمنى ؟ !

— الشيخ رضوان صديقك وانت من مريديه ، اذهب  
اليه ، استشره حتى تطمئن ..

— والناس فى الشارع ، الناس فى الشارع يا أمى ؟؟

— سيعودون الى سابق عهدهم معك ، ويعود جبهن لك .

هذه أوهاى يا أمى ، كنت بمجرد ظهورى فى الشارع يحيينى  
الجميع فى حب وود ، أما الآن .. فهنا هو محمود العجلانى  
يدخل الى دكانه خينما يرانى حتى لا يزد تحيتى ، وكان منذ  
اربعة أيام فقط : « أهلا بالأسطى عباس ، خبيبي وخبيب كل  
الناس » .. وذلك الطعنجى القلندر ، بالأنس رفض الرد على  
تحيتى واهمل يدي المدودة له ، ونسى أن هذه اليد كثيرا  
ما انقلته ودفعت عنه ايجار شقته : « يا مزحبا بمن انقلدى  
من نوم الرصيف » .. ملعون انت وملعون هؤلاء الجالسون على  
هذا المقهى ، وعلى رأسهم حسين لم اكن اعلم أن بالناس مثل  
هذه المقدرة على الكره ..

وتقولين يا أمى ان الناس سرعان ما ينسون ، هذه أوهاى  
من وحى طبيبتك !!

وتلك المتشحة بالسواد ، التى تنظر لى فى حقد من نافذة  
منزلها : يا سيدتى ابنتك سقط من فوق الكوبرى لأن العساكر  
كانوا يطلقون على التلاميذ الرصاص ، كل الذى فعلته انا انى  
فتحت الكوبرى ، تنفيذا لأمر رجل غبرى ، وجهى خقدك اليه ،

الى من اصدر الأمر .. فلم تكن الصمولة مفكوكة .. ولم  
أقصد أن ادوس على ذيل القط .

آه يا أمي ، كل الشارع أصبح يكرهني ، نوافذه أصبحت  
عيونا حاقدة تلعنني ، ابوابه أضحت أفواها مفتوحة تشيعني  
بشتائمها .. وذلك الطفل الذي التقط الحجارة من على الأرض ،  
وجاء يركض خلفي .. يا ولدي ماذا تقصد ؟ .. حسنا ،  
هانت القيت بالحجر على ظهري ، الآن اجر الى خضن امك  
لتقبلك .. يا الهى ، يعلمون اولادهم كرهى ، لم أعد أطيق ،  
يرضعونهم بغضهم الأسود مذابا في لبنهم ، لم أعد احتمل .

— اين انت يا شيخ رضوان ؟ .. اين انت ؟

بين صفين من الرجال المتمايلين على دقات الدفوف ،  
يذكرون مكبرين اسم الله ، يسير عباس مخترقا حلقة الذكر ،  
حتى نهايتها ، حيث يجلس الشيخ رضوان بين مجموعة من  
الشيخوخ يفيض هيبة وجلالا ، يلثم عباس يده فيسحبها  
مستغفرا ربه .

— يا فضيلة الشيخ رضوان ، لثالث ليلة وأنا احلم بك .  
وفي كل مرة تحكم فيها باعدامى ، لماذا ؟

— يا عباس يا ولدي ، اهدأ ، اجلس ..

— يا شيخ رضوان أرجوك ، ارس بى على بر الأمان ،  
اعترف بأننى فتحت الكوبرى ، أمرونى أن أفتحه ففعلت ، هذا  
عملى ، أكل عيشى يا سيدى الشيخ ، ولكن الصمولة لم تكن  
مفكوكة ، وهذا هو المهم ، والقط هو الذى نام فى طريقى قدست  
على ذيله .. وفى ذلك المساء المشئوم ...

{٠١

{ ٢٦ - الوليف }

يسكت فجأة في ضيق . يشيح بيده في ضيق منزعجا من صوت الدفوف المرتفع . يصرخ يعلو بصوته على طرقاتها :

- في مساء ذلك اليوم المشؤم .. عدت الى الشارع متوجها الى منزلى ووجدت ثلاثة منازل تنبعث منها أصوات صراخ وعويل ونواح مؤلم ، وعلمت أن من ضحايا المظاهرة ثلاثة تلاميذ من شارعنا ، لم أتم ليلتها .. وحلمت بقطى وذيله .. وفى الصباح عندما ذهبت للسير فى الجنازة ، قالوا عني « يقتل القتل ويسير فى جنازته » .. مع أنى نفذت الأمر فقط ، ولم تكن الصمولة كما يزعم حسين الشرير مفكوكة ..

يحاول الشيخ رضوان تهدئته ، ويفسر له الآيات التى تتحدث عن الثواب والعقاب ، وأخيرا يقول له :

- يا عباس اسأل ضميرك أولا ، المهم هى راحة الضمير  
اسأل ضميرك أولا ..

\*\*\*

- يا أمى ، يا أمى ، حتى خطيبتى تخلت عني ؟ ..

- لماذا لم تذهب الى الشيخ رضوان ؟

- ذهبت ، ولم يكن هناك جدوى من زيارته ، عجز الشيخ أن يفتينى بشئ ، وراغ منى فى الإجابة ، وهل قصده ليقول لى : اسأل ضميرك ضميرك ؟ .. مستريح أيها الشيخ .. ولكن الناس هم سبب عذابى ، وبالتحديد عيونهم ، خلق الله عيون الناس لتعذبني ، لتسألنى : اضحيج انا عباس فاتح الكوبرى ؟



أصبح أن الصمولة كانت مفكوكة ؟ .. أما عن ضميرى فهو  
مستريح ، اليس كذلك يا أمى ؟ .. أمرونى فنفلت الأمر ..  
لماذا لا يوجهون لعناتهم لذلك الرجل الذى أصدر الأمر ؟ ..  
لماذا لا يتوجهون بها الى رئيس البوليس السياسى والى الملك ؟

— سنبحث لنا عن مكان فى غير هذا الشارع ، ونتركهم .

— الى أين ؟ ! والناس فى كل شارع عرفوا بحكايتى ؟

— أنت هكذا دائما ، تعمل من الحبة قبة ، يوم دست  
بقدمك سهوا على ذيل القطة فاشتريت لها كوبا من اللبن حتى  
تعوضها عن المأوى ، وظللت أسجوعا كاملا كلما برأيتها تربت على  
ظهرها . قائلا لها : سامحيني يا قُتتى ، سامحيني يا صغيرتى .

— وهربت القطة من المنزل فى اليوم الثامن .

— يا ولدى ، لا تياس من رحمة الله ، غدا يعود كل شيء  
الى سابق عهده ..

— يأتى صوت من الشارع ينادى عباس ، فينظر من النافذة  
ليجد الأسطى محمود العجلانى يقول له :

— لماذا لم تعد تحضر الى المقهى كسالف عهدك يا أسطى  
عباس ؟ تعال . تعال يا رجل نتسامر مع أهل الشارع ، انهم  
جميعا فى انتظارك ..

يفرح عباس ، ويكاد يطير . قلب الأم من غبطته ، ويهبط  
ويتوجه الى المقهى ، انه ملئ بأهل الشارع ، زبائنه أكثر من  
أى يوم آخر ، وجميعهم ينظرون له ، يسمع أصواتا جامدة  
ترحب بمقدمه . ويجلس فى المقعد الوحيد الخالى ، وسط

الجالسين ، أصبح مركزا لدائرة من رجال الشارع ، يقتربون  
منه رويدا رويدا ، يتسسم لهم في تزلف .. لكن مقاعدهم  
تزحزح لتضييق دائرتهم ..

يقدم له أحدهم الجريدة المسائية ، ويشير الى عنوانها  
الكبير :

« اغتيال رئيس البوليس السياسى - القاتل مجهول -  
جائزة مالية كبيرة لمن يرشد عن القاتل » .

تموت ابتسامه عباس ، تميد به الأرض .. من أجل هذا  
أذن دعوتهموني ؟ .. من أجل هذا التفتت حولى الآن .. أكثر  
من خمسين رجلا ، بما يزيد عن مائة عين شامته تتطلع الى !

ينظر حوله ، هناك فم لا بل اثنان ، بل عشرة ، بل مائة ..  
عدد كبير من الأفواه فتحت في وقت واحد ، لتخرج منها عبارة  
واحدة : « الذى أصدر الأمر قتل ، بقى من نغذه » .

يفر الدم هاربا من وجهه ، يهب مزعورا، يزيح الناس  
من طريقه :

- لن تنالوا منى ، سأفضحكم يا كلاب، وسترون ما أنا  
فاعل . سأشكركم الى الملك .

يتوجه الى دار المحافظة . يدخلونه على الفور الى مديبر  
الامن . يستقبله بالترحاب ، ويهنئ فيه شجاعته الأدبية ..  
ثم يسأله ..

- هل حقا تعرف القاتل ؟ ..

— نعم اعرفهم ، فقط اطلب الحماية ..

— عصابة منظمة اذن ، هذا ما توقعنه ، كم عددهم ؟ ومن هم ؟ .. ثق اننا ستوفر لك الحراسة الكافية .

— الأسطى حسين ، ومحمود المجلاتى ، والطعيجى ، وصاحب المقهى ، وصبيه ، وأقارب السبعة وخمسين تلميذا وكل الناس ، حتى الأطفال حتى خطيبتى .. أرجوك ان تحمى قتلوا الأمر ، والدور الآن على من نفذ الأمر ، على أنا ، عباس فاتح الكوبرى .. هكذا قالوا لى .. احمى أرجوك ..

ينفجر غضب الضابط .. ويطرده .

يعود الى الشارع ، المقهى ملئ بالناس ، ويقرا على الحائط فى كل مكان : « الموت لقاتلى الطلبة » .. يقول لنفسه : يجب ان اقتنعهم ببراءتى ، يجب أن يفهموا أننى لست قاتلا ، لست خائنا ..

يتقدم الى المقهى . يواجه الجالسين . يملأ صدره بالهواء فتتسع فتحتا أنفه ، ثم يرفع صوته :

— يا ناس يا خلق الله ، افهمونى ، فتحت الكوبرى ، هذا عملى ، اكل عيشى .. ولم أدرس على ذيل القط برغبتى ، كما زعم حسين لكم ..

يلمح زبائن المقهى فى عينيه بریق جنون ، فيبدعون فى الانصراف .. ويستمر فى دفاعه عن نفسه ، وقد وقف فوق أحد المقاعد حتى ينصرف كل الزبائن ، ولم يعد أمامه الا المقاعد الخالية ، وهو مستمر فى دفاعه ، ولا يسكت الا لفترة يسترد

فيها انفاسه اللاهثة ، ثم يتابع حديثه في اصرار الى المقاعد  
الخالية :

- ألم اقل لكم ؟ ! لماذا تصدر عنكم اصوات الاستنكار ؟!  
لماذا اسمعكم تهيمون في اذني بريبة ؟ لماذا تزومون في وجهي  
انا عباس البريء ؟ الا تصدقونني ؟ لم تكن الصمولة مفكوكة .

ينكس رأسه لفترة ، والحزن مرتسم على وجهه ، فجأة  
يملؤه نشاط حماسي ، فيتقدم من المقاعد ويبدأ في رصها في  
صف واحد طويل ، مكونا منها ما يشبه الكوبري ، ويتراجع عدة  
خطوات يراقب ما فعله ، يبدو عليه الرضا ، في ثوان ينقلب  
الى انسان صارم ، يصرخ وهو يشيح بيده وعيناه على  
كوبرى المقاعد :

- لا ، لا ، لا يا حضرة الضابط ، لن أفتح الكوبري والتلاميذ  
من فوقه ، لن أفتح ، أعبروا يا اولاد ، أعبروا في سلام  
آمنين ، أعبروا بلا خوف الى بر الأمان ، هيا يا كتايت هيا ..  
قلت لك لن أفتح ، لن أفتح ، الا تفهم ما أقول ؟ ! ألف مرة  
قلت لك : لن أفتح والتلاميذ من فوقه ، ألف مرة قلت لك  
هذا .. لن أفتح .. انا لا أخافك ولا أخاف الملك .

يهتز جسده . يدفن رأسه في كفيه . يتساقط راحها ،  
وكل جسده يبكي :

- نعم الصمولة كانت مفكوكة .. كاثت مفكوكة ..  
مفكوكة ..

## اللحظة الطويلة

هناك بجانب المذاياع جلست فوق الأريكة ، تسند رأسها فوق كفها ، شاردة بفكرها ، ساهمة نظراتها الى الأرض ، لم تكن تنظر الى شيء معين ، بل كانت نظراتها تائهة قلقة ، تنظر الى كل شيء دون ان تعي أى شيء ، فكل شيء فقد معناه .

مثل عينيها كان فكرها ، لم تكن تفكر في شيء معين ، بل كانت تفكر في أشياء كثيرة عجيبة ، غير مترابطة ، تربطها صفة واحدة هي القلق والحزن ..

كانت تنظر الى السجادة ، ثم تقول لنفسها غدا سأجعل الخادمة تنفضها ، ثم تتحول أنظارها الى القطة النائمة في استرخاء في ركن الحجرة ، فيرسم على وجهها مشروع ابتسامة راضية ، سرعان ما تختفى .. كانت غير راغبة في الابتسام ، شعور غريب بالذنب جعلها تستكثر على نفسها أن تضحك أو أن تشعر بالسعادة .

تنهدت ملء رئتيها ، ثم تمتمت :

— اللهم الحمد لك ، أنا راضية بحكمك ، وطالبة الصبر  
منك ، الصبر ياربى الصبر ..

تعود فتسهم بعينيها مرة أخرى الى أرض الحجرة ، ثم  
ترتفع بنظراتها الى الحائط تمسحه بنظرات ملساء مبهمة لا معنى  
لها ، لا تتوقف عند شيء بل تنزلق على الحائط ، دون أن تهتم  
بما عليه أو بما هو موجود بجانبه ..

ولكن ما أن وصلت نظراتها الى تلك الصورة المعلقة على  
الحائط حتى تسمرت مكانها ، وكأن مغناطيسا جذبها . لم تعد  
هذه النظرات ملساء ، بل أصبحت لزجة ، لزجة جدا ،  
فالتصقت بهذه الصورة ، ولم تعد راغبة في أن تبتعد عنها ،  
وأضحت وإعية غير مبهمة ، حانية حاوية كل عطف ، كل حنان  
وكل حب ..

وضيقت « الست خديجة » من عينيها ، متمنية ان تجعل  
من نظراتها أيادى عطوفة تربت على هذه الصورة وتداعبها .

ثم تنهدت .. وشرح فكرها ، وشرذ ذهنها .

هناك يا خديجة بين هذا الاطار ، وفي هذه الصورة جزء من  
حياتك ، ونسمة من ديبعك .. هناك يا خديجة حيث تقفين  
باسمة متفائلة ، سعيدة بطرحك وبملابسك البيضاء المسترسلة  
الطويلة ، وببدك منديل أبيض اللون هو الآخر كل شيء فيك  
أبيض ، وكل جزء فيك يضحك ، مثل قلبك الذى كان يرقص  
طربا على ايقاع دقاته السريعة المتتابعة ..

ثم هذه الوردة المثبتة في عروة حلته ، ليست بيضاء هي  
الأخرى ؟ انه « حسين » زوجك وزميل العمر كله ، يقف بجوارك ،  
ترسم على وجهه جدية مصطنعة ، لم تستطع أن تخفى فرحته  
الطاغية ، لقد كان يحب الورد الأبيض ..

ايه يا خديجة .. انها أيام حلوة لن تعود ، أيام جميلة  
تعيشين على ذكراها ، تجترين سعادتها كلما قسا عليك الزمن  
كانت حياتكما معا حياة بسيطة غير معقدة ، مرت هادئة سهلة  
طبعاً لم تتزوجا عن حب .. ولكنه - الحب - جاء بمرور الوقت  
وبالعشرة ، حسين والحق يقال رجل ولا كل الرجال يا خديجة  
الله يرحمه ، كان يخاف عليك وكان رغم ما يبدو عليه من تجهم  
ومن قسوة كثيراً ما يدلك ويناديك « خديجة يا روح حسونة » ..

انت أيضاً كنت تحبينه ، وكثيراً ما سهرت طوال الليل اذا  
تأخر خارج المنزل ، لا يهدأ لك بال ولا يغمض لك جفن حتى  
تسمعي صرير مفتاحه بباب المنزل ، عندئذ كنت تنهضين  
لتستقبليه بابتسامة حلوة طيبة تنسينه همومه وتلهينه عن  
متابعه .

صحيح حدث بينكما بعض الخلاف الذي أدى الى شجار ،  
ولكنك .. ولكن انتظري يا خديجة . انتظري . ان الصورة  
منحرفة بعض الشيء في تعليقها .

دققت « الست خديجة » النظر الى الصورة لتتأكد ان كانت  
منحرفة في وضعها ام أن عينيها خدعتها ، ولما تأكدت من صحة  
ما رأت تحاملت على نفسها وقامت متجهة ناحية الحائط ،  
وكالعادة كلما سارت سارعت القطة لتتمسح في قدمها .. بعد

أن أصلحت من وضع الصورة ومن تنظيفها من بعض القبار  
العالق بها ، عادت الى مكانها بجانب المذيع الذى كان مازال  
يذيع الأفانى .

لوحت بيدها دلالة على الملل .. أف ، ألا تنتهى هذه الأغانى؟  
ولماذا لا يذيعون أغنية « يالى زرعوا البرتقال » .. لقد كان  
يجبها حسين ، الله يرحمه ويجعله من أهل اليمين ..

اليمين !؟ اليمين يا خديجة ، كان يقول لك دائما انك  
ذراعه اليمينى ، وانت الآن من بعده أصبحت فعلا ذراعه اليمينى .  
ذراع بدون جسد . هذك التعب ، وهزمك المرض ، وقعت  
أعصابك . لم تكونى هكذا أبدا فى أى يوم ، ففى كل شجار تشب  
بين حسين وبينك كنت تصبرين عليه حتى يهدأ ثم تعاتبينه  
وسلاحك فى ذلك ابتسامتك اللطيفة ، فيتقهقر سريعا ، ويعتذر  
لك قائلا وهو يقبل رأسك : « انت ست كاملة يا خديجة ،  
حلوة وكاملة وعاقلة » .

مدت يدها بالمنديل تمسح دموع الذكريات ، وهى لم تكن  
تبكى زوجها فقط ، ولم تكن تبكى أيامها السعيدة فحسب ، شىء  
آخر هو الذى كان شغلها الشاغل فقد عادت تنظر الى زوجها  
فى الصورة ، بأسى وبألم ، وأخلت تحدثه :

— عاقلة ؟ عاقلة ؟ لست عاقلة يا حسين ، لست كذلك ،  
من بعدك لم أعد عاقلة أبدا ، هل تصدق ؟ هل تصدق هذا ؟  
ابنى يا حسين ، ابننا .. لقد تركته يسافر وهو غائب منى ،  
ترك المنزل بعد أن جلب الباب وراءه بعنف ، تماما كما كنت  
تفعل أنت كلما أثارك شىء ، ولا أدرى كيف طاعنى هذا الملعون



قلبي في أن أدعه - ولدى حبيبي - يسافر الى اليمن ، الى  
الحرب ، وهو غاضب مني .. وأنا لست متأكدة ان كان سيعود  
لى أم سأحرم الى الأبد من لقائه ؟ :

وهنا تنبّهت الى صوت المدياع .. لقد كفت الأغاني .  
المديع يتكلم : « هنا القاهرة . نستمع الآن الى أغنية .. » ..  
فما كان من « الست خديجة » الا أن قالت غيثا تحدث نفسها :  
« أغنية ؟ ! ينتهون من أغنية ليديعوا أخرى ! » .

ثم تململت في وضعها ، ومرة أخرى مسحت دموعها  
وبدأت تسترد أنفاسها . نظرت الى الأرض فرأت القطة نائمة :

— بس بس ..

واسرعت القطة تثب الى الأريكة لتنام في حجر سيدتها .  
فهو دافئ لين .. والدنيا برد ، برد قارس ، جعل الست خديجة  
تفكر في ولدها مرة أخرى ..

إيه يا خديجة ، ترى ماذا يفعل ابنك الآن في هذا الشتاء  
الشديد البرودة ، وفي العراء ؟ ترى ماذا يفعل في برد يناير ؟  
هذا اذا كان ما يزال .. ولكن لا .. أنه حتى ، بإذن الله حتى ،  
قلبي يقول لى ذلك .. يارب أنت عالم بالحال احفظه لى ،  
لم تعد لى في الحياة الا أيام معدودة ، فدعنى أمت قريبة  
العين ، راضية بابنى فرحة به يارب ..

تنهض من مكانها ، وتمد يدها الى سجادة الصلاة . بعد  
أن تنتهى من صلاتها تدعو لابنها بطول البقاء وبالسلمة ، وتعود  
الى مكانها بجوار المدياع ، انه مازال يغنى ، يغنى ، يغنى . مدت

يدها لتسكته ، ولكنها عادت فسحبته ، ان هذا المطرب الذى  
يفنى يحبه ابنها ، وستسمه من أجل خاطره ، ابنها سبب  
عذابها وسر لها .

لقد جاءها ابنها « سامى » قبل سفره يخبرها بأنه طلب من  
قائده ان يدرج اسمه مع المتطوعين ليحارب فى اليمن ، ولم  
تحاول ان تناقشه فيما فعل ، فهي تعلم أنه مثل أبيه ، ان  
اقتنع بشئ يفعله مهما كانت العاقبة ومهما كانت المشاق .  
ثم أخبرها « سامى » بأنه سيطلب يد « سعاد » بنت الجيران  
قبل أن يسافر حتى يضمنها عروسا له فهو يحبها .. ولكن  
الست خديجة أعلنت رفضها لهذه الخطوبة ، وسخطها على هذا  
الحب ، فهي ترجو لابنها بنت خالته زوجا له ، فبنت أختها  
مخطوبة له وهو طفل ، مقسومة له من زمان .. فكهدا قدرت  
الست خديجة ، وهكذا اتفقت مع أختها .

حاول سامى اقناعها بكل الطرق بأنه هو الذى سيتزوج  
وليست هى - أمه - وأنه عليه هو وحده ان يختار زوجته  
وشريكة حياته التى يحبها ، ثم حاول ان يذكرها بأن الزواج فى  
عام ١٩٦٣ ليس كالزواج على أيامها هى يوم ان تمت خطوبتها  
وتزوجت ولم تر زوجها الا ليلة الزفاف ! ..

ولما لم تقتنع قال لها بأنه صمم فعلا على ان يخطب سعاد  
وهو انما أخبرها من باب الأدب ، وحتى تكون على علم بما  
سيحدث .. فما كان من الست خديجة - بعد ان سمعت هذا  
الكلام - الا ان أقسمت برحمة زوجها وهددته بأنه ان فعل هذا  
فلا هو ابنها ولا تعرفه .

وكانت هي الكلمة الفاصلة . فقد وقف سامى مأخوذاً لحظة ثم خرج ولم يعد حتى هذه اللحظة ، حيث الست خديجة جالسة بجانب المديع ، وحيدة الا من قطتها ومن شجونها واحزاتها ، تاركة نفسها للذكريات تبعث بها كمها تشاء ، مستسلمة لتأنيب الضمير يحطم أعصابها ويمزق راحتها ، انها الآن تنتظر شيئاً ما .. تتوقع أن تسمع شيئاً معيناً من المديع .. شيئاً فيه ومضة من الأمل ..

الأغنية تنتهى الآن .. والمديع يتكلم « هنا القاهرة » إليها المواطنين ، اليكم الآن رسالة جنودنا في اليمن ... »

أخيراً .. أخيراً يا خديجة ، هذا ما كنت تنتظرينه .

وأصبحت كل حواسها آذاناً مصفية ، والمديع مازال يتكلم : « اليكم بعض رسائل جنودنا الأبطال الذين يحاربون مع أخوانهم اليمنيين ضد الرجعية وضد الطفافة » . ثم بدأت الرسائل تتوالى ، كل جندي يقول كلمة بصوته تداع له في المديع حتى يسمعه أهله فيطمئنوا عليه ، والست خديجة تمنى نفسها بسماع صوت ابنها « سامى » اليوم . كل ليلة تستمع الى هذا البرنامج ، وكل ليلة يتكلم كثير من الجنود فتنام أمهاتهم قريرات العيون .. الا هي ، فحتى هذه اللحظة لم تكن قد سمعت صوت ابنها ..

وتستمع الى الراديو . ان الجنود يتكلمون واحدا وراء الآخر :

« انا نقيب محمد عمار من محافظة النوفية ، أهدي سلامى الى ... »

ليس ابنك يا خديجة ، ليس ابنك ، لابد انه التالى :  
« انا عريف فاروق صادق من محافظة المنيا ، سلامى الى  
والدى العزيز واخوتى و ... »

ولا هذا ، ليس هذه المرة ايضا يا خديجة ، اصبرى ،  
الصبر طيب ، ربما يكون هو الجندى التالى :  
« ... مهندس عبد السلام النقيب ، الى زوجتى العزيزة  
أهدى ... »

لم تحتلم « الست خديجة » الانتظار يعذبها .. بكت ،  
بكت قائلة :

— اين انت يا سامى ؟ اين انت ؟ اين صوتك ؟ لماذا  
لا تتكلم اريد أن اسمع صوتك ؟ لا اطلب أكثر من هذا ..

وجاء صوت المدياع ، ولم يكن الصوت هو صوت ولدها ..  
وتوالت الأصوات ، أسماء كثيرة ، لم يكن بينها اسم « سامى  
حسين » ابنها .. حتى كادت تياس ، فمدت قدمها تنوى القيام ،  
ولكن ساقها تسمرت فى منتصف المسافة بين الأريكة والأرض ..  
هذا الصوت تعزفه جيدا ، هذا الصوت الذى تهنادى الى  
أذنيها الآن خلال المدياع ، إنه الموسيقى تعزف ، البلبل تغرد ،  
الملائكة تنشد :

« انا سامى حسين ... »

حبيبى يا ولدى ، وأخيرا ، هل أنا فى حلم ؟ تكلم يا روحى ،  
انا أمك ، استمع اليك ، أمك التى تحبك والتى تمشى من أجلك ،  
قل أى شئ فكل كلمة منك حلوة على اذنى ، منعشة لحواسى  
مريحة لقلبى ..

ثم مدت اذنيها اكثر مقتربة ناحية المذبح ، وسمعت ..  
 » .. جندي مؤهلات بفرقة الصاعقة .. إنا بخير  
 والحمد لله » .

ومن بين انفعالات متباينة ، من بين القلق والترقب والرجاء  
 والخوف ظهر انفعال واضح ارتسم على وجه الست خديجة ،  
 انفعال الراحة والاطمئنان ..

نعم يا حبيبي ، الحمد لله ، الحمد لله ألف حمد والف  
 شكر ، غدا ان شاء الله ، غدا سأوقد عشر شمعات لأم هاشم  
 من أجلك يا ضنايا .. ولكن ، اليس عندك أى كلام لأمك ؟ ! .  
 » .. سلامي الى الأهل والأقرباء .. «

هكذا يا ولدي ، الأهل والأقرباء وتتناسي أمك ؟ ! اذن  
 فانت لم تزل غاضبا مني ، حقك على يا ولدي ، عند عودتك  
 سأقبل رأسك متأسفة لتسامحني ..

» .. وأرسل أحر أشواقى الى ... «

الى من يا سامي ؟ ! الى من ؟ ! قل .. لماذا تسبكت ؟ !  
 قل الى من ؟ ! لي أنا أمك ؟ ! أم الى الأخرى بنت الجيران ؟ !  
 قل ..

وحبست أنفاسها .. حتى تلاحظ النبرات .. وجاءها صوت  
 ابنها وكان مخنوقا بالعبرات :

« ... أمي الحبيبة ... »

تراخت أعصابها .. الحمد لله ، ألف سلام لك يا روحى  
 انت يا ضنايا .. يا عقلى . ثم عادت تستمع ..

« ... وأرجو يا أمي أن تسامحيني وألا تكوني غاضبة مني ... »

بكت ارتياحا وكأن كابوسا ثقيلا انزاح من فوق صدرها ،  
بكت لكنها تذكرت أن ولدها لم ينته فعاتت تحبس أنفاسها  
قائلة : مسامحك يا حبيبي ، مسامحك من كل قلبي ..

« ... كما أهدى سلامي الى ... »

وهنا جمدت ملامحها ، اذن فلا فائدة ، لا فائدة من كلامها  
معه ، لقد قال ابنها : « ... الى خطيبتى سعاد ...  
وأهدى ... »

وصمتت برهة ، ثم بدأت تحدث نفسها مرة أخرى ، موجهة  
الكلام لصورة ابنها في خيالها : اذن فانت مصمم يا سامي على  
خطوبتك لسعاد بنت الجيران ؟ مبروك ، مبروك يا حبيبي ..

وفي لحظة كانت شعلة من المرح والسعادة حتى انها  
نسيت امراضها ، واخذت تمسح بيدها في رفق وحنان فوق  
ظهر القطة ، بابتسامة عريضة على الشفتين وفرحة عارمة في  
القلب :

— خلاص يا بس بس .. غدا باذن الله اذهب الى والد  
سعاد ، اخطب ابنته سعاد لابني سامي ، وان شاء الله يعيشان  
في تبات ربات ويظفان « صبيان وبنات » ..

تذكرت بنت أختها ، فتنهدت قائلة :

— كل شيء قسمة ونصيب ، كبدى يا بنتى !!

## كتب المؤلف

- ١ - فوستوك يصل الى القمر - قصص ١٩٦٧
- ٢ - خمس جرائد لم تقرأ - قصص ١٩٧٠
- ٣ - الأيام التالية - قصص ١٩٧٢
- ٤ - دوائر عدم الامكان - رواية - طبعة اولى ١٩٧٢  
طبعة ثانية ١٩٧٥  
طبعة ثالثة ١٩٨٦
- ٥ - ابناء الصمت - رواية - طبعة اولى ١٩٧٤  
طبعة ثانية ١٩٨٤
- ٦ - غرائب الملوك وديسائس البشوك ( حكايات  
حول قناة السويس ) ١٩٧٦
- ٧ - الهؤلاء - رواية - طبعة اولى ١٩٧٦  
طبعة ثانية ١٩٨٣
- ٨ - الوليف - قصص ١٩٧٨

٤١٧

( م ٢٧ - الوليف ٢ )

- ٩ - غرفة المصادفة الأرضية - رواية ١٩٧٨
- ١٠ - مغامرات عجيبة - رواية للأولاد والبنات ١٩٨٠
- ١١ - كشك الموسيقى - رواية للأولاد والبنات ١٩٨٠
- ١٢ - حنان - رواية ١٩٨١
- ١٣ - ريم تصبغ شعرها - رواية ١٩٨٣
- ١٤ - علاء الغروب - رواية ١٩٨٦
- ١٥ - الحادثة التي جرت - قصص ١٩٨٧
- ١٦ - تغربة بنى تحتوت الى بلاد الشمال -  
رواية ١٩٨٨
- ١٧ - حكاية ريم الجميلة - رواية ١٩٩١
- ١٨ - الأعمال الكاملة ( ١ ) تشمل المجموعات  
رقم ٨ ، ٣ ، ٢ ، ١ من هذا القهرس ١٩٩٢



## الفهرس

### • الوليف :

- ١ - الوليف ... .. ٥
- ٢ - اغماض العين ... .. ١٤
- ٣ - بعض المنحيات ... .. ٣٥
- ٤ - جميلة مثلها ... .. ٤٩
- ٥ - للذكرى ... .. ٥٩
- ٦ - شكاوى ملاك الموت الفصيح ... .. ٦٣
- ٧ - دمبوع ... .. ٧١
- ٨ - رحيل ... .. ٧٦

٩ - النظرة فالابتسامة .. والعمر قصير ... ٨٤

### ● الأيام التالية :

- ١٠ - لا يذكر البداية ... .. ٩٥
- ١١ - الوباء الرمدي ... .. ١٠٥
- ١٢ - غمزة العين ... .. ١١٧
- ١٣ - المنأخ ... .. ١٢٦
- ١٤ - المدول والقلوب ... .. ١٣٤
- ١٥ - نبض الجناح ... .. ١٦٢
- ١٦ - رأسها فوق صدرى ... .. ١٧١
- ١٧ - اننا تؤجل ... .. ١٨١
- ١٨ - الأيام التالية ... .. ١٨٧
- ١٩ - هجرة الضحك ... .. ١٩٧

### ● خمس جرائد لم تقرا :

- ٢٠ - خمس جرائد لم تقرا ... .. ٢٢٣
- ٢١ - الجاحظون ... .. ٢٣١
- ٢٢ - الفشاء ... .. ٢٤٠

٢٤٨	... .. مطارحة غرامية
٢٥٥	... .. أزمنة
٢٥٨	... .. مائة مليون نخلة في الرأس
٢٦٩	... .. حكايات الزوايا
٢٨١	... .. ثقب في الأوراق الخضراء
٢٨٩	... .. كل الأنهار
٢٩٨	... .. كل الرجال .. كل النساء

### ● فوستوك يصل الى القمر :

٣٢٥	... .. فوستوك يصل القمر
٣٣٣	... .. الوجه الآخر
٣٤٤	... .. الرصيد
٣٥٢	... .. بلا حكمة
	٣٤ - أشجار الدخان .. و « مانسودا »
٣٥٩	... .. المجنون
٣٦٨	... .. المكان والزمان
٣٧٥	... .. زفة

٢٨٤	...	...	...	...	...	٣٧ - الفار الذي لم يمت
٢٨٧	...	...	...	...	...	٣٨ - أشهر رسائل الحب
٣٩٦	...	...	...	...	...	٣٩ - فاتح الكوبرى
٤٠٧	...	...	...	...	...	٤٠ - اللحظة الطويلة
٤١٧	...	...	...	...	...	٤١ - كتب للمؤلف



رقم الايداع ١٩٩٢/٤٠٦٧

---

الترقيم الدولى 0 --- 3040 — 01 — 977 I.S.B.N.

---

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



يشتمل المجلد الأول من الأعمال الكاملة للكتب الجديدة طوبيا على أربعين قصة مصرية كبرى من الفترة من ١٩٦٠ - ١٩٧٨ م ، وهي فترة حفلت بتطورات اجتماعية وسياسية هائلة وشهدت الاهتمام بحقوق الإنسان والبيئة الفضاء .

ولقد انعكست هذه التطورات على قصص طوبيا ، فخلال نسج قصصه يحفل طوبيا بالمرحلة للمجتمع وتراثهم الشعبي ، كما يتميز بتقاطعه مع إيقاع الحاضر وتدفقه في تيار يسبح مثل نهر النيل ، حيث ولد المؤلف على ضفاف بحيرة المنية بمصر .